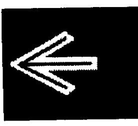
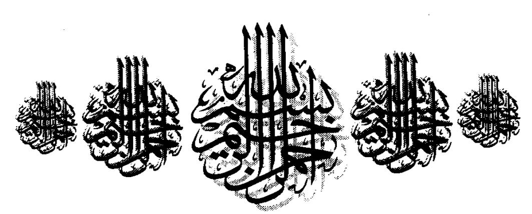


فوزي محمد أبوزيد

دار الإيمان والحياة





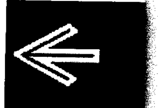
الكتـــاب	الفتح العرفانى
المؤلـــف	الأستاذ فوزى محمد أبوزيد
الطبعـــة	الأولى
الطبعـــة الأولى	غرة محرم ١٤٣٠هـ الموافق للتاسع والعشرين من يناير ٢٠٠٩م
عدد الصفحات	٢٠٨ صفحة
المقـــاس	١٧ سم * ٢٤ سم
الـــورق	٨٠ جم
الطباعة الداخلية	١ لون، أسود
الغـــلاف	كوشيه لميع، ٢٥٠ جرام
طباعة الغـلاف	٤ لون، سلوفان لميع
إشـــراف	دار الإيمان والحياة – ١١٤ش ١٠٥ – المعادى – القاهرة – جمهورية مصر العربية، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠ – ٢ – ٠٠٢٠، فاكس ٢٥٢٦١٦١٨
طبـــاعة	دار نوبار للطباعة
رقم إيداع محـــلى	٢٠٠٩/٣٥١١
الترقيـــم الدولى	ISBN: 977-17-6644-9





بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ
مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ
حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن
يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ
حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ
أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ
شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾ (الطلاق)



مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نعماه، والشكر لله على واسع عطاياه، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ﷺ حبيب الله ومصطفاه، وآله وصحبه ومن والاه.

وبعد،

إن لله ﷻ رجالاً لم تشغلهم الدنيا بزهرتها، ولم تحجبهم الآخرة بزينتها عن مطلوبهم ومرادهم ومقصدهم الأعظم .. وهو رضوان الله ﷻ، وفيهم يقول الله ﷻ فى [٢٨ الكهف]:

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾

وعنهم يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

وجنة الخلد لو ظهرت بطلعتها ... لفارقت حسنها بالزهد همتهم

هؤلاء الرجال لما كان مقصدهم الله، وكانوا يرددون فى كل توجه لحضرته جلَّ فى علاه ... إلهي أنت مقصودى .... ورضاك مطلوبى .... ووجهك محبوبى

فإن الله ﷻ أعدَّ لهم من العطاءات الإلهية، والفتوحات الوهبية، والمنح الربانية، ما لا يستطيع أن يدركه إلا أهل الخصوصية.

فهؤلاء القوم !!! كيف يصلون إلى مطلوبهم ؟ وما الجهاد الذى يوصلهم إلى رضاء محبوبهم ؟ وما ألوان التكريم وأنواع العطاءات التى يخصهم بها الله ﷻ ؟

هذا بعض ما قمنا بالحديث عنه فى هذا الكتاب الخاص بأهل الإختصاص، وأبحنا فيه ما تستطيع أن تدركه العقول ...؛ مؤيداً بالنقول ...؛ لأن علوم القوم الخاصة ...



يقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

علمنـــا فـــوق العقـــول مكـانـــة ... كيف لا وهو الضيا الغيب الصراح
خـــصنا بالفـــضل فيـــه ربنـــا ... ذاك سـرٌّ غـامض كيـف يبـاح
والفتـــى المجـــذوب بالحـــب لـــه ... آيـة إن ذاق خمـر الحـب صـاح
وهـــو محمـــول العنايـــة إن يـــبح ... بالحقـائق مـا علـى الفـانى جنـاح

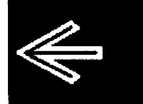
فقد جعلناه كتاباً . . . . يبين الوسيلة لنيل المطلوب . . . ويوضح الغايات التى يتفضل الله عز وجل بها علي العبد المحبوب.

أسأل الله عز وجل أن ينفع به كل عبد تطهر من العيوب . . . وأخلص فى سره وعلانيته فى طلب علام الغيوب . . . ، وجعل الصدق رفيقه وسلاحه لنيل المطلوب . . .

وصلي الله على سيدنا محمد باب الرضا والفضل . . وأس كل فضل موهوب . . . وآله وصحبه وسلم والتابعين بإحسان إلى يوم الدين . . آمين آمين يارب العالمين.

كان الفراغ منه يوم عرفة الأغر . . . الموافق للتاسع من ذى الحجة ١٤٢٩هـ، السابع من ديسمبر ٢٠٠٨م

فوزي محمد أبوزيد
: الجميزة، محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية
: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩، : ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠
WWW.fawzyabuzeid.com :
fawzy@fawzyabuzeid.com :
fawzyabuzeid@hotmail.com
fawzyabuzeid@yahoo.com



تمهيد

المنهج الصوفى للفتح العرفانى

أهل الفتح ! ! وما أدراك من أهل الفتح ! !

وكيف يتوصل الإنسان إلى معرفتهم . . . . وبأى سلطان يصبح الإنسان منهم ؟ أو يدخل بينهم ؟ . . هؤلاء القوم ذوى المذاقات الرقيقة . . . والمشاعر الروحية الدقيقة .

أيكون ذلك بسلطان العلم ملاحظة واستقراءاً ؟

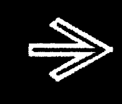
أم بسلطان العقل بحثاً واستنتاجاً ؟ ؟

أم بسلطان الروح إشراقاً وإلهاماً ؟

إخوانى وأخواتى القراء الكرام . . . أعلى الله قدركم . . وأشرق بأنواره علمه على أفياء قلوبكم . . .

أنه من الحقيق ، بل ومن المسلَّم به اليوم أن نقول أن علم النفس قد أخفق إلى الآن ، بل وأخفق معه علم الإجتماع . . إخفاقا كاملاً فى الوصول الى كنه التصوف وحقيقته .

إن الدراسات النفسية والإجتماعية الحديثة ، حددت نفسها بالمادة ، وتقيدت بالظواهر المادية المحسَّة . . الملموسة، أو المرئية، أو المسموعة، أو المذوقة مذاقاً حسياً ، أو المشمومة . . وهى تعترف إعترافا صريحا لا لبس فيه، أن مجالها إنما هو المجال المادى ، وأن كل ما خرج عن المجال المادى . . . فإنه لا يدخل تحت مرصدها ومخبرها ومسبرها ،إذا لا يدخل فى إطار بحثها .



والتصوف روحٌ وإلهامٌ وإشراق . . . ، فلا يدخل إذاً فى مجالها .

ومن هنا كان إكتفاء هذه الدراسات من التصوف بالمظهر والشكل، ومن أجل ذلك كان إخفاقها كاملاً . . . وفشلها يفجأ النظر .

إن ما نسميه العلم الحديث إنما هو العلم السائد فى أوربا وفى أمريكا فى العصر الحاضر، قد ألزم نفسه إلزاماً تاماً لا يخرج عن دائرة المادة ! !

وحدّد مختاراً دائرته تحديداً دقيقاً بأنها المادة، وربط نفسه بذلك ربطاً محكماً إلى درجة أن كل ما يخرج عن المادة لا يسمونه علماً[1]، ومن أجل ذلك فإن كل ما قيل بلسان العلم عن التصوف لا يمسُّ منه إلا المظهر . . ! ! والشكل . . ! ! وبذا فلا فائدة فيه بتاتاً من حيث الروح والجوهر.

أنلجأ إذاً الى العقل ببحثه المنطقى القياسى ! ! وإلى استنتاجاته الناشئة عن المقدمات والأقيسة والتجارب ! ! ؟ حتى مع علمنا بأنه مازال يعانى الكثير من القصور فى سبر غور كثير من حقائق المادة مثل العقل ذاته وغيرها !

ولكن العقل ومجاله المادة استنتاجاً واستنباطاً ، إذاً . . لا شأن له بالغيب (الغيب الإلهى) . . ! !، ولا شأن له بالمساتير (مساتير الملأ الاعلى أى محجوباتها والمغيب منها عنا) . !، ولا شأن له بكشف المحجوب (المحجوب الروحى) . !، ولا شأن له بمعارج القدس . . ! . . ، ولا بمنازل الأرواح . . ! .

لقد أخفق العقل فى إيجاد مقياس عقلى يقيس به الصحة والخطأ فى عالم الروح، . . وعجز عن إختراع فيصل يفصل به بين الحق والباطل فى مجال الغيب . .

---

1 كل ما بدأ يظهر بالغرب مما يعرف جوازاً بعلوم ما وراء المادة أو ما فوق الطبيعة لتفسير الظواهر الغير مدركة بالعلوم الطبيعية كالجن وغيرها، ماهى إلا محاولات بدائية لم ترق بعد لأن تتصف بأية صفة من صفات العلوم المعروفة والموثقة، ومن أساس ما أشكل على العلماء فى هذا الباب أنهم يحاولون أن يقيسوا هذه الظواهر بالأجهزة المعملية المعروفة كالتجارب الشهيرة التى وثقوها وأجروها عشرات المرات لتسجيل ما يحدث عند وفاة الإنسان لمحاولة تصوير أو سماع أو ملاحظة شيئا مما يجرى عند لحظات خروج الروح ولكنها كلها باءت بالفشل الذريع مع استخدام أحدث ما توصل إليه العقل والعلم من أجهزة التسجيل والتصوير.

وإذا عجز المنهج العلمى المادى عن دراسة التصوف فى حقيقته وجوهره، وعجز المنهج العقلى كذلك . . . فأين المخرج إذاً ؟ ؟

إن الصوفيه جميعاً، وفلاسفة الإشراق . .

يعلنون منهجا محدداً يقرونه جميعا . . ويثقون فيه ثقة تامة . . ، ذلك هو المنهج القلبى، أو المنهج الروحى، أو منهج البصيرة .

وهو منهج معروف، وأقرته الأديان جميعها، واصطفته مذاهب الحكمة القديم منها والحديث، ويقول سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴿٣٦﴾ ﴾ (الإسراء) .

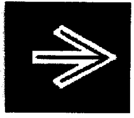
والإمام الغزالى ﷺ معبراً عن رأى الصوفية، وعن رأى فلاسفة الإشراق، يرى أن الدليل القاطع على أن هناك معرفة ليس مرجعها إلى الحسِّ، ولا إلى العقل، إنما هو أمران واضحان وجليّان:

أحدهما: عجائب الرؤيا الصادقة، فإنه ينكشف بها الغيب، وإذا جاز ذلك فى النوم فلا يستحيل أيضا فى اليقظة .

الثانى: أخبار رسول الله ﷺ عن الغيب وأمور فى المستقبل .

وإذا جاز ذلك للنبى ﷺ جاز لغيره، إذ النبى عباره عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق، فلا يستحيل أن يكون فى الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق، وهذا لا يسمى نبياً بل يسمى ولياً .

فمن آمن بالأنبياء وصدق الرؤيا الصحيحة، لزمه لا محالة أن يقرّ بالبصيرة، أو بتعبير آخر يقر بباب للقلب ينفتح على عالم الملكوت، وهو باب الإلهام والنفث فى



الروع والوحى، أما الشواهد فيما يرى، فهى آيات منها قوله تعالى. (٢٩الأنفال) . :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾

و ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ (٦٩العنكبوت) .

ومن السنة المشرفة قوله ﷺ :

{ مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ تَعَالَى عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }٢

وعن هذا المنهج يقول الإمام الغزالى:

(وانكشف لى فى أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها، والقدر الذى أذكره لينتفع به ، أنى علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق.

بل لو جمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئاً من سيرتهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلا، فان جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم، وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به.

وبالجملة فماذا يقول القائلون فى طريقة طهارتها -وهى أول شروطها-: تطهير القلب بالكلية عما سوى الله، ومفتاحها الجارى منها مجرى (تكبيرة) التحريم من الصلاة: استغراق القلب بالكلية بذكر الله، وآخرها: الفناء بالكلية فى الله.

---

٢ ورد فى بَحْرُ الْفَوَائِدِ الْمُسَمَّى بِمَعَانِي الأَخْيَارِ لِلْكَلاَبَاذِيِّ.

ومن أول الطريقه تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى أنهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتا، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال، الى درجات يضيق عنها نطاق المنطق) [كتاب المنقذ من الضلال للغزالى]

والمنهج للفتح إذاً إنما هو تزكيه النفس أو جلاء البصيرة، يقول الإمام الغزالى معبرا عن الرأى الصحيح المبنى على التجربة نفسها:

(ابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل (قوت القلوب) لأبى طالب المكى رحمه الله، وكتب الحارث المحاسبى، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد، والشبلى، وأبى يزيد البسطامى قدس الله أرواحهم، وغير ذلك من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلية، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعليم والسماع، فظهر لى أن أخص خواصهم مالا يمكن الوصول اليه بالتعليم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات.

وكم من الفرق بين أن تعلم حد الصحة وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما . . . ، وبين أن تكون صحيحا وشبعاناً . . ! ! ، وبين أن يعرف حد السكر . . وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر، وبين أن يكون سكراناً ! ! ، بل السكران لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران.

كذلك فرق بين تعريف حقيقة حالة الزهد، وشروطها، وأسبابها، وبين أن يكون حالك الزهد، وعزوف النفس عن الدنيا.

فعلمت يقيناً أنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال، وأن ما يمكن تحصيله بطرق العلم فقد حصلته . . . ، ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسماع



والتعليم بل بالذوق والسلوك) [المنقذ من الضلال للغزالي]

هل التصوف هو الأخلاق الطيبة ؟

إن الكثير من الكتاب الحديثين، متابعين فى ذلك الكثير من الصوفية، قد حدّدوا التصوف نفسه . . لا تزكية النفس وحسب بأنه الخلق الطيب .

والواقع أننا لو نظرنا إلى كثير من الأشخاص الذين اشتهروا بالسمو فى الجانب الأخلاقى الكريم، واتصفوا بأروع الصفات الأخلاقية، واتخذوا الفضيله مذهبا وشعاراً، فإننا نجدهم أشخاصا مثاليين فى المحيط الأخلاقى وفى المجتمع، ولكن ليس معنى ذلك أنهم لا محالة من الصوفية، على أنه من الطبيعى أن تكون الأخلاق الكريمة أساساً من أسس التصوف، وأن تكون الأخلاق فى أسمى صورة من صورها ثمرة للتصوف، ولكن ليس معنى ذلك أنها هى التصوف .

هل الطريق إلى الفتح هو الزهد ؟

إن كثيراً من الناس لا يكادون يفرقون بين التصوف والزهد ، وكثير منهم يرون أن الزهد هو الطريق المؤدى إلى التصوف، أو هو الطريق المؤدى الى جلاء البصيرة، وغاية الزاهد من الإمتناع عن طيبات هذا العالم؛ أن يمنحه الله فى الدار الآخرة طيبات ألذ وأمتع .

وما من شك فى أن طريق الكشف عن البصيرة ينطوى على الزهد ويتضمنه، ولكنه زهدٌ وهو تسامٍ عن أن يكون لغير الله شأن يشغل نفسه به، فكل ما سواه سبحانه لا يساوى جَناح بعوضة .

إن الطريق إلى الفتح العرفانى ينطوى على الخلق الكريم ، وعلى الزهد الخاص، ولكنه يتجاوزهما إلى شئ آخر . . .

هل هذا الشئ الآخر هو العبادة؟



إن للعبادة أثراً لا ينكره أحد في تصفية النفس، وتزكية الروح، ولكنها إذا كانت تهدف من وراء ذلك إلى دخول الجنة ونيل الأجر والثواب، بقيت عبادة مشكورة مأجوراً صاحبها، مثاباً عند الله سبحانه، ولا يتجاوز القائم بها على هذا الوضع وبهذه الصورة وصف العابد إلى وصف الصوفي.

هل الطريق إلى الفتح بقراءة كتب التصوف وسير الصالحين، أو باستظهارها أو بدراسة ما استغلق من بعض عباراتهم.. ومحاولة فك رموزها كما يقال، واستجلاب القدرة على التحدث بأقوالهم.. أو حفظ بعضاً من عبارات ساداتهم. وتمثل أحوالهم التي يقرأ عنها....!!

بالطبع لا.، والصوفي عابد.. وهو زاهد.. وهو على خلق كريم..، ولكنه يتجاوز ذلك كله إلى شئ آخر...

وهو هذه الإرادة والرياضة الروحية.

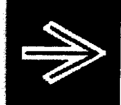
الطريق إلى الفتح العرفاني

والرياضة الروحية التي تتخذ الله هدفها... والتي تتمثل في وضوح في معاني الهجرة إلى الله، والذهاب إليه سبحانه، والفرار إليه جل وعلا، الإرادة والرياضة لتحقيق المعنى الجليل للآية القرآنية:

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النجم)

وتتعاون الإرادة والرياضة بتوفيق الله إلى هذا المنتهى الذي لا بد من الوصول إليه، إن الله سبحانه وتعالى يأمر على لسان نبيه ﷺ بالفرار إليه:

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الذاريات)



والإنسان يفر إلى الله . . .

من الكفر إلى الإيمان . . ، ومن الطاعات إلى القربات . . ، ويفر من الكون إلى المكون . . ، ومن النعمة إلى المنعم . . ، ومن الخلق إلى الخالق . . ، ومن نفسه إلى ربه . . .

والرياضة الروحية ذكر دائم أي تذكر له سبحانه في كل لحة ونفس، وهي اتجاه بكل الأعمال إلى الله ، وهي هجرة لا تنقطع اليه سبحانه .

ومع ذلك فإن الأمر كما يرى الصوفية مرده الأخير إلى فضل الله وإحسانه، وهذه المعاني يلخصها الإمام الغزالي فيقول:

(إن الطريق إلى ذلك إنما هو تقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده، والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم، وإذا تولى الله أمر القلب فاضت علية الرحمة، وأشرق النور في القلب، وانشرح الصدر، وانكشف له سر الملكوت، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة، وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية) .

فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور، لا بالتعلم والدراسة؛ وبكتابة للكتب وتصنيف المؤلفات ! ! بل بالزهد في الدنيا . . ، والتبري من علائقها . . ، وتفريغ القلب من شواغلها . . ، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى . . . .

فمن كان لله . . كان الله له ! .

وإذا صدقت إرادته، وصفت همته، وحسنت مواظبته، تلمع لوامع الحق في قلبه، ويرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى، فينكشف له الغيب، ويحصل له اليقين، ويلخصها ويجملها ابن خلدون فيقول: (ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر

يتبعها غالباً كشف حجاب الحسّ، والإطلاع على عوالم من أمر الله، ليس لصاحب الحسّ إدراك شئ منها، والروح من تلك العوالم، فالعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا هذا التصرف، ولا يخبرون عن حقيقة شئ لم يؤمروا بالتكلم فيه، بل يعدون ما وقع لهم من ذلك محنة، ويتعوذون منه إذا وقع لهم) [المقدمة لابن خلدون]

إلام يؤدى هذا المنهج ؟

فغاية المنهج الصوفى إذاً هى الغاية الإسلامية، وجوهر أهدافه هو جوهر أهداف الإسلام، إنها الشهادة ،إنها شهادة أن لا إله إلا الله، إن الطريق إنما هو تزكية النفس، والغاية الشهادة (أشهد أن لا إله إلا الله)، الشهادة على حقيقتها وهذا هو التصوف طريقاً وغاية، ولذلك فالتصوف صفاء ومشاهدة،إن المنهج الصوفى إنما هو تحقيق واقعى لقوله تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ ﴾ (الشمس)

فتزكية النفس هى صفاؤها وتصفيتها، إنها الوصول بها إلى الصفاء، أما الغاية فإنها الوصول إلى المشاهدة التى يقول الله تعالى فى بيان حقوقها وتحققوا بها:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [١٨آل عمران]

إن الغاية هى الوصول إلى:

أشهد أن لا إله إلا الله.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الفصل الأول

I

الطريق إلى ولاية الله

- أوصاف الأولياء
- الطريق إلى ولاية الله
- المطعم الحلال
- ورع الرسول ﷺ
- ورع الصديق رضي الله عنه
- ورع الفاروق عمر رضي الله عنه
- ورع ابن سيرين رضي الله عنه

- ورع عبد الله بن المبارك رضي الله عنه
- أثر المطعم الحلال
- الورع فى الكلام
- الحكمة فى الدعوة إلى الله
- ورع الجوارح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾

[٦٢-٦٣يونس]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ولىُّ المتقين يخرجهم بفضله من الظلمات إلى النور، ويتولاهم بعنايته ويكلأهم بعين رعايته.

إذا سألوه لباهم، وإذا دعوه أجابهم، وإذا استنصروه نصرهم، وإذا طلبوا منه أى أمر ذا شأن أعطاهم، لأنه ﷻ وعدهم بأنهم:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ [٣٤الزمر]

أوصاف الأولياء

يدور فى الأحاديث بين عامة المسلمين وخاصتهم، عبارات وألفاظ.. آونة يختلفون بشأنها !، وأحياناً يتفقون على المعنى المراد بها.

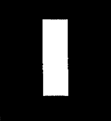
ومن هذه الكلمات كلمة.. ولاية الله ﷻ... نقول هذا الرجل ولىٌّ لله، فما معنى ولاية الله؟ ومن الذين يخصهم الله بولايته؟ وما الطريق الذى يسلكونه ليكونوا من أهل ولايته وعنايته؟

ولاية الله يا جماعة المؤمنين، عامة لكل من آمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبالقرآن كتاباً، وبالكعبة قبلة، وحافظ على فرائض الله، وانتهى عما عنه مولاه نهاه، كل من فعل ذلك فهو ولىٌّ لله ﷻ.

فولاية الله عامة لكل مؤمن... كل من آمن بالله، ومشى على منهج الله، وتابع حبيب الله ومصطفاه، فهو ولىٌّ لله ﷻ.

١ خطبة الجمعة، المسجد الكبير – كفر المنشى – مركز طنطا، ٩ من ذى القعدة ١٤٢٩ هـ، ٧ من نوفمبر ٢٠٠٨ م

ولذلك عندما نرجع إلى كتاب الله – وهو المرجع الأعلى والأغلى والأعظم لنا فى دين الله – ونسأله عن معنى ولاية الله ؟



نجد الله ﷻ يجيب بذاته على هذا السؤال فيقول ﷻ:

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس]

من هم هؤلاء الأولياء ؟

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [٦٣يونس]

كل من آمن بالله، وخاف مولاه، واتقاه، وعمل الفرائض التى أمره بها الله، متابعاً لحبيبه ومصطفاه، وانتهى عن المحرمات والنواهى التى نهى عنها الله فهو ولىٌّ لله، فهذا الرجل ما له عند الله ؟

– إذا سأل الله فى أى أمر لبَّاه.

– وإذا طلب منه قضاء أى مصلحة أعطاه.

– وإذا طلب منه شفاء أى مريض لأجله شفاه مولاه.

– وإذا طلب من الله سعة الأرزاق أجابه مولاه، ما دام يريد بسعة الأرزاق أن يغنيه الله هو ومن يعولهم عن سؤال من عداه وعن اللئام فى هذه الحياة، لا يريد بها زهواً ولا فخراً ولا علواً فى الأرض بالفساد فإنه يعطيه الله ما يتمناه.

– وإذا وقع فى شدة أو كرب واستغاث بالله أغاثه الله، وإذا طلب منه النصر على أعداءه نصره مولاه ووالاه.

أين نجد ذلك فى كتاب الله ؟ فى قول الله جلَّ فى علاه:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [٢-٣الطلاق]

وحسبه أي كافيه، أي يكفيه الله ﷻ عن جميع خلق الله .

وكان أصحاب النبي الأمين أجمعون على هذه الشاكلة، فكانوا جميعاً في أي شأن لو سألوا الله أعطاهم، ولو دعوه لاستجاب لهم، وكان الله ﷻ لا يؤخر لهم سؤالاً، ولا يبطئ عنهم إجابة؛ بل يجيبهم في الوقت والحال .

لماذا ؟ . . . . لأنهم استقاموا على منهج الله، وأحسنوا متابعة حبيب الله ومصطفاه ﷺ، وانطبق عليهم قول الله في كتاب الله [١٦الجن]:

﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾

فكان أي رجل منهم يقع في أي ورطة ،أو في أي شدة ، يقول يارب ! فيجد الله ﷻ في الحال يغيثه ويجيبه، ويقضي له ربما ما في الخاطر وما ليس على الخاطر قبل النطق به في سؤال أو دعاء . . . وخذوا أمثلة على ذلك :

السيدة أم أيمن رضي الله عنها

خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة وحدها ، وعندما مشت في الطريق لم تجد رفقة إلا جماعة من اليهود سائرين بالطريق، فطلبت منهم أن ترافقهم، فوافقوها واصطحبوها معهم .

ولكن لما علم كبيرهم أنها مسلمة، أمر من معه أن يمنعوا عنها الزاد والماء –يريد أن يقضي عليها وتموت من الجوع والعطش– فسألتهم الطعام فمنعوها، وسألتهم الماء فما أعطوها .

قالت رضى الله عنها: حتى كدت لا أسمع ولا أبصر من شدة الجوع والعطش، لمن تتوجه ومن تسأل؟

{ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ }[2]

فتوجهت إلى الله ﷻ، وبينما هى على هذه الحال وإذا بدلو معلق بحبل ينزل من السماء ويتدلى حتى يصل إلى مستوى صدرها، فلما همت أن تمسك به لتشرب، إذا به يرتفع بعد أن أخذت منه شربة واحدة، ولم ترتو، ثم رجع مرة ثانية فشربت منه شربة واحدة ثم رجع إلى العلو فى السماء، وفى المرة الثالثة تركها تشرب وترتوى وما تَبَقى وضعته على وجهها وعلى رأسها وعلى جسدها . .

فرآها اليهودى فذهب إلى قومه، وقال لهم: أما قلت لكم امنعوا عن هذه المرأة المسلمة الشراب والطعام، قالوا والله ما أعطيناها شيئاً، قال فلم أرى على وجهها ورأسها وثيابها ماءاً؟ قالوا له تعال معنا، فأروه الماء الذى ادخروه، فوجده على هيئته، فقالوا سلها، فذهب إليها وسألها: يا أمة الله من اين جاءك هذا الماء؟ قالت: هو من عند الله ﷻ:

﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران]

بعد هذه الشربة قالت رضى الله عنها:

{ فَلَقَدْ كُنْتُ أَصُومُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الْحَارِّ ، ثُمَّ أَطُوفُ فِي الشَّمْسِ كَيْ أَعْطَشَ ، فَمَا عَطِشْتُ بَعْدَهَا }[3]

٢ سنن الترمذى، الجامع الصحيح ، عن ابن عباس ﷺ.
٣ الْمَطَالِبُ الْعَالِيَةُ لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلانِيِّ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْقَاسِمِ، حديث: ٤٧١٠، حلية الأولياء، حديث: ١٥٣٥.

بل كانت تذهب إلى الكعبة وقت الظهيرة وتطوف حولها فلا تجد ظمأً إلى الماء، ما هذا ؟ سقاها الله تعالى من حوض الحبيب الذي يقول فيه:

{ حَوْضِي مَسِيرَةَ شَهْرٍ، زَوَايَاهُ سَوَاءٌ ، أَكْوازُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا }٤

وليست هذه هي وحدها رضي الله عنها . . . بل كان كل أصحاب النبي ﷺ على هذه الشاكلة . . . ، فتش عنهم واقرأ في صحف التاريخ عن أحوالهم . . تجد أن لهم شأناً مع ربهم، كانوا جميعاً إذا سألوا الله في أي أمر أعطاه لهم الله . . . لماذا ؟ . . . ، لأنهم قال فيهم الله في [٢٣الأحزاب]:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾

سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

ونموذجاً آخر من عشرات النماذج التي روتها كتب السنة، في حادثة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذ قطع أسد على القافلة طريق سفرها فأعجزها :

{ أَنَّهُ خَرَجَ فِي سَفَرٍ ، فَإِذَا الْجَمَاعَةُ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: أَسَدٌ قَطَعَ الطَّرِيقَ عَلَى النَّاسِ، فَنَزَلَ ابْنُ عُمَرَ فَمَشَى حَتَّى أَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ نَفَاهُ، ثُمَّ قَالَ: مَا كَذَبَ عَلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَمْ يَخَفْ غَيْرَ اللَّهِ مَا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ

٤ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى مثله في صحيح ابن حبان عن ابن عمرو باختلافا ألفاظ.

غَيْرَهُ، وَإِنَّمَا وُكِلَ ابْنُ آدَمَ لَمَّا رَجَا ابْنَ آدَمَ، وَلَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَمْ يَرْجُ غَيْرَ اللَّهِ لَمْ يَكِلْهُ اللَّهُ إِلَى غَيْرِهِ } ٥

فكان الرجل منهم فى أى زمان ومكان . . بركته يكرم الله كل من حوله . . . لماذا ؟ لأن هذا الرجل هو ولىٌّ لله .

الطريق إلى ولاية الله

بم نالوا هذه الولاية ؟ ؟ ؟ . . وهل لنا أن نصل إلى ذلك ؟ . . . . نعم ! . . ، ومن يمنعك من ذلك ؟

تستطيع أنت أخى القارئ وأختى القارئة بارك الله فيكم أجمعين . . . ويستطيع كل رجل أو إمرأة منا أن يصل إلى هذا المقام فى ولاية الله . . ويستطيع أن يكون من الذين إذا سألوا الله أعطاهم . . وإذا دعوه أجابهم . . وإذا استنصروه نصرهم . . وإذا تحركت فى قلوبهم كلمات . . فإن الله يسمعها ويبلغهم مرادهم قبل أن تنطق بها شفاههم . . .

بماذا ؟ وما الروشتة التى توصل إلى ذلك ؟

هل نحتاج إلى ركعات نصليها بالليل زيادة عن الفرائض ؟ . . هل نحتاج إلى تلاوة القرآن فى كل يوم مرة، أو فى كل ثلاث أو أكثر أو أقل مرة ؟

ليس هذا ولا ذاك فقط . . . هو الذى يبلغ ولاية الله . . ماذا إذاً ؟

إنما لنا الأسوة فى هذا الرجل . . الذى ذهب إلى حبيب الله ومصطفاه وقال:

---

٥ الفوائد المسمى بمعاني الأخيار للكلاباذي، حديث:١٧٨ كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما

يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، ما روشتة الحبيب له؟ قال:

{ يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ }[٦]

فالأساس الأول . . . إطابة المطعم . . تحرّي المطعم الحلال .

المطعم الحلال

فإذا تحرّى العبد المطعم الحلال . . واقتصر على الفرائض، ونهى نفسه عن المعاصي، فهو وليٌّ لله . . لا يسأل مولاه إلا لبّاه ، ولا يطلب منه إلا أعطاه . .

لأن الله أمر بذلك المرسلين وأمر بذلك المؤمنين أجمعين، أنظر إلى تكليف الله للمرسلين في (٥١ المؤمنون) ، ماذا قال تعالى لهم، وعِ بعقلك . . . وتفقّه بقلبك هذا الأمر الرباني:

﴿ كُلُوا مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا صَٰلِحًا ﴾

إذاً قبل الأعمال الصالحة . . لا بد أن يتحرى أكل الطيبات، لماذا؟ بين الحبيب ﷺ ذلك وأقسم . والذي نفس محمد بيده !، ماذا يا رسول الله :

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالرِّبَا فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ }[٧]

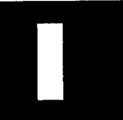
لا تقبل منه صلاة ولا صيام ولا حج، فإذا قال: لبيك اللهم لبيك قال له الله:

---

٦ الْمُعْجَمُ الأَوْسَطُ لِلطَّبَرَانِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : تُلِيَتْ هَذِهِ الآيَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا ﴾ فَقَامَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:{ الحديث}، وتمامه: { وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالرِّبَا فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ }

٧ الْمُعْجَمُ الأَوْسَطُ لِلطَّبَرَانِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

{ لا لَبَّيْكَ وَلا سَعْدَيْكَ ، وَحَجُّكَ مَرْدُودٌ عَلَيْكَ } [٨]، ويقول ﷺ:



{ مَنِ اشْتَرَى ثَوْبًا بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ وَفِي ثَوْبِهِ دِرْهَمٌ مِنْ حَرَامٍ لا يَقْبَلُ اللَّهُ لَهُ صَلاةً مَا دَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ } [٩]

لا بد للمؤمن الذى يريد أن يتحقق بولاية الله ؟ . . لابد له من أن يتحرى المطعم الحلال فى كل أحواله وفى كل أموره . . .

فلا يغش ولا يخدع، ولا يستأثر، ولا يأكل حق أخوته فى الميراث، ولا يغش المؤمنين فيما يزرعه كأن يعطيهم زرعاً كبَّره عن طريق الهرمونات ! أو حفظه عن طريق المبيدات ! ثم بعد ذلك يريد إستجابة الدعوات ! !

فما بالكم بمن يطفف فى الكيل !، أو الميزان ! أو من يبيع الناس الوهم !، أو يخدع المؤمنين ليستولى على أموالهم مع قول الله ﷻ [١٠٠ المائدة]:

﴿ لَا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾

فبين فى الآية أن الخبيث فيه صفتان أنه كثير وأنه يعجب النفس . .

لا يعجب التقى النقى، لكنه يعجب النفس اللقسة، وفيه كثرة . . ولكنه ينقض الأعمال ويجعلها داخلة فى قول الله جل فى علاه [٢٣ الفرقان]:

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾

تحرى المؤمنون الأولون والمعاصرون، والصالحون أجمعون . . المطعم الحلال، وأسَّسوا كل شيء على المطعم الحلال . . ، والملبس الحلال . . ، وكل شىء فى حياتهم من حلال . . ، فاستجاب لهم الله سبحانه وتعالى ، وحقق لهم ولاية

---

٨ أَمَالِي ابْنِ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ ﷺ: مَنْ حَجَّ بِمَالِ حَرَامٍ فَقَالَ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، قَالَ اللَّهُ لَهُ: { الحديث }.
٩ شُعَبُ الإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ ، ومسند أحمد بن حنبل ومسند عبد حميد عَنِ ابْنِ عُمَرَ

الله . . وكانوا في رعاية الله في كل أحوالهم وأوقاتهم وأقواتهم وتقلباتهم . . وخذوا أمثلة عامة . . :

- حقق الله البركة في أقواتهم فأصبح القليل يكفي مثل الكثير .
- وحقق لهم البركة في أجسادهم ، فعافاهم من الأمراض والأسقام والأوجاع التي ظهرت في عصرنا ولم تعرف من قبل .
- ورزقهم الله البركة في أولادهم ، فكانوا أولاداً بررة أتقياء يرون فيهم فضل الله وإكرام الله وعطاء الله جل في علاه .

قال ﷺ راسماً الأساس الأول للفلاح والسلامة ، أو إن شئت فقل كما قال أهل الإختصاص في توثيق منشأ العلوم الحديثة : أن أساس العلم الحديث الذي يسمى "علم الجودة الشاملة" وهو العلم الذي يتوصل به إلى إصابة الهدف من العمل ، مع دقة الأداء ، وتوخي السلامة التامة ، بغض النظر عن نوع العمل أو مجاله . . ، هو قوله ﷺ في الحديث الشريف :

{ اتَّقُوا الْحَرَامَ فِي الْبُنْيَانِ فَإِنَّهُ أَسَاسُ الْخَرَابِ } [١٠]

فأيما بناء بني في أي مبنى حقيقي أو مجازي من بيت أو ولد أو عمل أو تجارة أو صناعة . . من مصدر من حرام . . فمآله إلى خراب . . وضياع . . .

من ورع الرسول ﷺ

وكان الحبيب الأعظم ﷺ هو المثال الأعلى لنا في كل ذلك . . . ، ولذلك قال الله ﷻ لنا في شأنه [الأحزاب]:

١٠ مُسْنَدُ الشِّهَابِ الْقُضَاعِيِّ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

فكان ﷺ يتحرى فى مطعمه ومشربه وملبسه الحلال الطيب، والأمثلة عل ذلك لا تعد ولا تحصى . . . نذكر منها على سبيل التذكرة قوله:

{ وَاللَّهِ إِنِّي لأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي أَوْ فِي بَيْتِي، فَأَرْفَعُهَا لآكُلَهَا ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَأُلْقِيهَا } [11]

فقد ورد أنه ﷺ أرق فى ليلة وأخذ يتقلب يميناً وشمالاً فسألته زوجته صاحبة الليلة ما بك يا رسول الله إذ فزعت لما رأته كذلك ؟ فقال:

{ إِنِّي وَجَدْتُ تَمْرَةً تَحْتَ جَنْبِي فَأَكَلْتُهَا، فَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ } [12]

قالت رضى الله عنها : من أى موضع يا رسول الله ؟ قال: من موضع كذا، قالت: أبشر فإن هذا تمر أهدته لنا فلانة الأنصارية، فقرت عينه واستراح باله . . لأنه كان يتحرَّى الحلال فى كل شيىء .

وحتى الأطفال أو الصبية الصغار، كان يعودهم ويربيهم على الورع .

سألوا الحسن بن على ﷺ ابن ابنته التقية النقية فاطمة الزهراء ، ماذا تذكر من رسول الله وأنت طفل صغير ، فذكر أشياء منها أنه ﷺ حمله ذات مرة ومرَّ به بمكان به تمر صدقة فأخذ ﷺ تمرة ووضعها فى فمه وهو طفل صغير لم يتجاوز الأربع سنوات بعد ، فأخرجها النبى ﷺ من فمه قائلاً :

{ كِخْ كِخْ أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ } [13] { فَأَخَذَهَا بِلُعَابِي، فَقَالَ بَعْضُ

١١ صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ
١٢ مُسْنَدُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ
١٣ صحيح البخارى عن أبي هريرة ﷺ.

الْقَوْمِ وَمَا عَلَيْكَ لَوْ تَرَكْتَهَا؟ قَالَ: إِنَّا آلَ مُحَمَّدٍ لا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ } [١٤]

حتى الطفل الصغير يربيه من صغره على ألا يأكل إلا الطيب . . . يربيه على المطعم الحلال . . . . .

{ أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا } [١٥]

فولاية الله لكل المؤمنين بالمطعم الحلال، ودرجات الصالحين تتفاوت بحسب أمر أعلى من المطعم الحلال . . بحسب الورع . . وما الورع ؟ الورع . . اتقاء الشبهات، والبعد عن الأمور التى فيها اختلاف ! هل هى حلال أم حرام ؟، فيبعد عنها بالكلية، ولذلك من أعبد الناس ؟ نسأل رسول الله ﷺ . . ليعرفنا عبادة الصالحين . . . فنسمعه ﷺ يقول:

{ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ } [١٦]

أعبد الناس هو الرجل الورع الذى يترك الشبهات وليس الحرام فقط، لكن كل أمر مشكوك فيه أو مختلف عليه يتركه . . هكذا الورع.

ورع الصديق رضي الله عنه

ونكمل الحديث الشريف السابق أعلاه، أمرهم بأكل الطيبات :

{ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ }

---

١٤ مسند أحمد بن حنبل عن أبي الحوراء.
١٥ صَحِيحُ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ ﷺ:{الحديث} وتمامه:{ فَقَالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾وَقَالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ؟}
١٦ مسند الشاميين للطبرانى ،والورع للبيهقى، والآداب لإبن أبى الدنيا عن أبى هريرة ﷺ.

فعلى هذا النهج كان صحابته المباركون أجمعين . . . ولنرى معاً . .

كان أبوبكر الصديق ﷺ لا يضع شيئاً في فمه إلا إذا سأل أهله عنه، وفى ليلة دخل ﷺ جائعاً إذ كان صائماً، فوجد لبناً فشرب وقد نسى أن يسأل الخادم . . . ودعونا نسمع القصة كما وردت :

{ كَانَ لأَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ غُلامٌ يَأْتِيهِ بِكَسْبِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ وَيَسْأَلُهُ مِنْ أَيْنَ أَصَبْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَصَبْتُ مِنْ كَذَا فَأَتَاهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ بِكَسْبِهِ ، وَأَبُو بَكْرٍ قَدْ ظَلَّ صَائِمًا ، فَنَسِيَ أَنْ يَسْأَلَهُ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فَأَكَلَ ، فَقَالَ الْغُلامُ : يَا أَبَا بَكْرٍ كُنْتَ تَسْأَلُنِي كُلَّ لَيْلَةٍ عَنْ كَسْبِي إِذَا جِئْتُكَ فَلَمْ أَرَكَ سَأَلْتَنِي عَنْهُ اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي مِنْ أَيْنَ هُوَ؟ قَالَ : تَكَهَّنْتُ لِقَوْمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمْ يُعْطُونِي أَجْرِي حَتَّى كَانَ الْيَوْمُ فَأَعْطُونِي، وَإِنَّمَا كَانَتْ كَذْبَةٌ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فِي حَلْقِهِ، فَجَعَلَ يَتَقَيَّأُ }[١٧]

هذا ماحدث من الخادم .مع أنه أخبره سيده بالحقيقة وأنه كذب عليه لما رأى ما يفعل فى نفسه ، إلا أنه ﷺ خاف أن يكون الغلام قد صدقه أولا . . . وأنه رحمه لما رأى مايفعله ليخرج الطعام . . . إنه الورع.

وروى أن أبا بكر ﷺ لما وضع إصبعه فى فمه ليخرجه، لم يخرج لأنه كان صائما ومعدته خالية، أنه دعا بماء وأخذ يشربه ويحاول أن يقيء حتى خرج، ثم قال: يارب لا تؤاخذنى بما خالط الأمعاء ودخل الضلوع . لماذا . ؟ بل فى رواية قال: والله لو لم يخرج إلا بخروج نفسى لأخرجته ! ! . . .لماذا ؟

لأن الخادم أخبره أولاً أن هذا الرزق كان من الكهانة (وهى العرافة

---

١٧ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل و الْوَرَعُ لابْنِ أَبِي الدُّنْيَا ، عَنِ الْقَاسِمِ

أى التنبأ بالغيب أو ممارسة السحر)، والنبى نهى عن التكسب من ذلك كله وجعلها أرزاقاً حرام، . . فإنه ﷺ لما شك أنه ربما كان من الكهانه فهو حرام، أو كان حلالاً إذا صدق الغلام فى إخباره بأنه كذب عليه، . . أتقى الشبهة . . ولم يأخذ نفسه بالأسهل أو أن هذا خطأ أونسيان من المعفو عنه بل أخذ نفسه بالأحوط والأورع . . . ولذلك لما أنبأ الخادم النبى ﷺ بما فعله فى أبى بكر ﷺ من مزاح ثقيل . . ضحك ﷺ فرحا بورع أبى بكر، وفسر السبب:

{ إنَّ أَبَا بَكْرٍ يَكْرَهُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنَهُ إلا طَيِّبًا } [١٨]

ولذلك فإنه ﷺ أعطاه الله البشريات التى قال فيها للصالحين والمتقين:

﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾[٦٤يونس]

فإنه عند الوفاة، وكان قد أعطى عائشة ﷺ عطية من الأرض، فقال لها:

{ وَاللَّهِ يَا بُنَيَّةُ مَا مِنَ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ غِنًى بَعْدِي مِنْكِ ، وَلا أَعَزُّ عَلَيَّ فَقْرًا مِنْكِ ، إِنِّي كُنْتُ نَحَلْتُكِ جُذَاذَ عِشْرِينَ وَسْقًا ، فَلَوْ كُنْتِ جَذَذْتِيهِ وَاحْتَزْتِيهِ كَانَ لَكِ، وَإِنَّمَا هُوَ الْيَوْمَ مَالُ وَارِثٍ، وَإِنَّمَا هُمَا أَخَوَاكِ وَأُخْتَاكِ فَاقْتَسِمُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ﷻ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : يَا أَبَتِ لَوْ كَانَ كَذَا وَكَذَا لَتَرَكْتُهُ، إِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءُ فَمَنِ الأُخْرَى ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ذُو بَطْنِ بِنْتِ خَارِجَةَ – أى زوجته وكانت حاملاً – أُرَاهَا جَارِيَةً – أى أنثى – } ١٩

وانتقل إلى جوار الله جلَّ وعلا، وولدت زوجته بعد موته بعدة أشهر أنثى،

---

١٨ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل و الْوَرَعُ لابْنِ أَبِي الدُّنْيَا ، عَنِ الْقَاسِمِ

١٩ كَرَامَاتُ الأَوْلِيَاءِ لِلْلالَكَائِيِّ عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّهَا قَالَتْ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ أعطاها عطاءاً مِنْ مَالِهِ بالْغَابَةِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ: {الحديث} قَالَ الشَّيْخُ الْحَافِظُ الْمُصَنِّفُ : هَذِهِ كَانَتْ زَوْجَةَ أَبِي بَكْرٍ ، وَهِيَ حَبِيبَةُ بِنْتُ خَارِجَةَ وَكَانَتْ حَامِلا حِينَ تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ ، فَوَلَدَتْ بَعْدَهُ أُمَّ كُلْثُوم فَتزَوَّجَهَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ﷺ فَصَدَّقَ اللَّهُ ظَنَّ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ بِمَا قَالَهُ وَجَعَلَ ذَلِكَ كَرَامَةً لَهُ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ قَبْلَ وِلادَتِهَا وَأَنَّهَا أُنْثَى وَلَيْسَتْ بِذَكَرٍ.

لأن الله جعل له فراسة ببركة المطعم الحلال وطاعة ذى الجلال والإكرام .

ورع الفاروق عمر رضي الله عنه

وسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ لما توفيّ، قال سيدنا عبد الله بن مسعود :

{ إِنِّي لأَحْسِبُ عُمَرَ قَدْ رُفِعَ مَعَهُ يَوْمَ مَاتَ تِسْعَةُ أَعْشَارِ الْعِلْمِ ، وَإِنِّي لأَحْسِبُ عَلْمَ عُمَرَ لَوْ وُضِعَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ ، وَعَلْمُ مَنْ بَعْدَهُ لَرَجَحَ عَلَيْهِ عَلْمُ عُمَرَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ } ٢٠

وورد فى الإحياء أنه قيل له : أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة ؟ فقال ﷺ:

{ لم أرد علم الفتيا والأحكام إنما أريد العلم بالله تعالى }

اسمعوا لورعه ﷺ إذ يقول فى حال أهل العلم بالله تعالى أهل الورع ﷺ:

{ تَرَكْنَا تِسْعَةَ أَعْشَارَ الْحَلالِ مَخَافَةَ الرِّبَا } ٢١

وخذوا مثالاً . . .سيدنا عمر ﷺ كان خليفة للمسلمين وجاءه مسك وعنبر من البحرين ، فأراد أن يوزعه على المسلمين، فقال:

{ إِنِّي وَجَدْتُ مَنْ يَقْسِمُ هَذَا الْمِسْكَ وَالْعَنْبَرَ حَتَّى أَقْسِمَهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ زَيْدٍ: هَلُمَّ أَزِنْ لَكَ فَإِنِّي جَيِّدَةُ الْوَزْنِ قَالَ: لا ، إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ تُصِيبَ يَدُكِ فَتَقُولِينَ هَكَذَا عَلَى صَدْرِكِ بِمَا

---

٢٠ الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبَرَانِيِّ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :
٢١ مصنف عبد الرزاق الصنعاني عن الشعبي قال : قال عمر

أَصَابَتْ يَدَاكِ فَضْلا عَلَى الْمُسْلِمِينَ } ٢٢

وفى رواية إحياء علوم الدين أنه سكت عنها ، ثم أعاد القول فأعادت الجواب، فقال: لا أحببت أن تضعيه بكفة ثم تقولين فيها أثر الغبار فتمسحين بها عنقك فأصيب بذلك فضلاً على المسلمين ، إنه الورع . . وتعليم الورع . . لأهله وللمسلمين من حوله . . وخذوا مثالاً آخر قريبا من هذا ولكن فيه زيادة التطبيق العملى والفعلي بعد النصح النظرى والقولى . . وهل تجدون أسلوباً تعليمياً أفضل من ذلك . . إنها أساليب التعليم فى العصر الحديث . . . وهو نفس النهج النبوى المبين كما رأينا فى تعليم سيد المرسلين لسيدنا الحسن . .

روت إمرأة تاجرة تعمل بالعطارة فى زمن عمر ﷺ فقالت:

{ كان عمر ﷺ يدفع إلى امرأته طيباً من طيب المسلمين لتبيعه، فباعتني طيباً فجعلت تقوّم وتزيد وتنقص وتكسر بأسنانها، فتعلق بأصبعها شيء منه فقالت به هكذا بأصبعها، ثم مسحت به خمارها فدخل عمر ﷺ فقال: ما هذه الرائحة؟ فأخبرته فقال: طيب المسلمين تأخذينه، فانتزع الخمار من رأسها وأخذ جرّة من الماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه، ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ويشمه، حتى لم يبق له ريح، قالت: ثم أتيتها مرة أخرى فلما وزنت علق منه شيء بأصبعها، فأدخلت أصبعها في فيها ثم مسحت به التراب }[23]

قال العلماء ومافقد من المسلمين فى الميزان معفوٌ عنه، وليس فعل عمر بما يعيد للمسلمين ما فقد منهم ، ولا هو بتنطع فى الدين ، وإنما مقصوده ﷺ أن يعلم أهله

٢٢ تاريخ المدينة لإبن شبة عن سعد بن لأبي وقاص، وروى قريبا منه ف جامع المسانيد والمراسيل، حديث ١٢٨٦ عن إسماعيل بن محمَّد بن سعد بن أبي وَقّاص، والزهد لأحمد بن حنبل ﷺ.
٢٣ رواه سليمان التيمي عن نعيمة العطارة، إحياء علوم الدين .

والتجار والمسلمين من ورائهم درسا عمليا في الورع والتحرز في الحقوق .

وصدقوا . . لأن هذا ما روته العطارة عن نتيجة الدرس الذي لقنه ﷺ لزوجته وللعطارة نفسها في بيعها وشرائها، ولنا من ورائهم . .

بل و استمر درس الورع يتدوال وينتقل من المعلمين إلى المتعلمين عبر الأيام والسنين، حتى طبقه فرد من ذريته، وعاه فنفذه وعلمه كما فعل عمر . . . انظروا إلى سيدنا عمر بن عبد العزيز ﷺ،لما أخرجوا مسكا من بيت المال، أغلق أنفه بيده حتى لا يشمه، فكلمه رجل من جلسائة متعجباً ومستكثرا:

{ مَا ضَرَّكَ إِنْ وَجَدْتَ رِيحَهُ ؟ قَالَ : وَهَلْ يُنْتَفَعُ مِنْ هَذَا إِلا بِرِيحِهِ " } ٢٤

وفى رواية زيادة { فأكره أن أجد ريحه دون المسلمين فما زالت يده على أنفه حتى رفع }.

ما هذا ! ! . . إنه الورع .

هذا الورع هو الذي جعل سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وهو على المنبر بالمدينة المنورة . . يرى سارية أمير الجيش ويناديه . . . وبينهما آلاف الكيلومترات، بل وسمع سارية نداءه وفقهه في التو والحال . . وعمل بنصيحته وانتصر المسلمون ؟ ، وأنقلها لكم كما وردت فاسمعوا :

{ بَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ تَرَكَ الْخُطْبَةَ فَقَالَ : يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، وفى رواية قال : يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ لا يَرْعَى الذِّئْبُ الْغَنَمِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى خُطْبَتِهِ (أي استمر فيها) .

فَقَالَ أُولَئِكَ النُّظَرَاءُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ جُنَّ إِنَّهُ

---

٢٤ الزُّهْدُ الْكَبِيرُ لِلْبَيْهَقِيِّ ثنا رَبَاحُ بْنُ عُبَيْدَةَ

لَمَجْنُونٌ هُوَ فِي خُطْبَتِهِ إِذْ قَالَ : يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ فَقَالَ : أَشَدُّ مَا أَلُومُهُمْ عَلَيْكَ أَنَّكَ تَجْعَلُ عَلَى نَفْسِكَ لَهُمْ مَقَالا بَيْنَا أَنْتَ تَخْطُبُ إِذْ أَنْتَ تَصِيحُ: يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ! أَيُّ شَيْءٍ هَذَا ؟ قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا مَلَكْتُ ذَلِكَ رَأَيْتُهُمْ يُقَاتِلُونَ عِنْدَ جَبَلٍ يُؤْتَوْنَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ فَلَمْ أَمْلِكْ أَنْ قُلْتُ : يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ لِيَلْحَقُوا بِالْجَبَلِ.

فَلَبِثُوا إِلَى أَنْ جَاءَ الرَّسُولُ بِكِتَابِهِ (من عند سارية) **أَنَّ الْقَوْمَ لَحِقُونَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَتَلْنَاهُمْ مِنْ حِينِ صَلَّيْنَا الصُّبْحَ إِلَى حِينِ حَضَرَتِ الْجُمُعَةُ وَدَارَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَسَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي : يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ مَرَّتَيْنِ فَلَحِقْنَا بِالْجَبَلِ فَلَمْ نَزَلْ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّنَا حَتَّى هَزَمَهُمُ اللَّهُ وَقَتَلَهُمْ }**[٢٥]

الله أكبر . . الله أكبر . . . كيف رأى عمر ذلك ؟ بالورع . . . بالورع إخوانى وأخواتى . . . فالورع هو الذى به يكون الصديقون صديقين . . . والأولياء والصالحون مكاشفين . . . ويبلغوا به الدرجات العليا من اليقين ويحق لهم قول رب العالمين فى سورة يونس:

﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾

فعندما تسمع عن رجل ما يقرأ ما فى الصدور . . ، أو أنه يأتينا بعلم وهبى غير منشور . . . فصدّق !

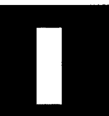
لكن ليس لأن هذا الرجل كان له قيام ليل أكثر منا ! ! أو صيام نهار فاق فيه عنا ! ! لكن الأساس أنه كان فى ورعه أكثر منا ، لأن الورع

---

٢٥ دَلائِلُ النُّبُوَّةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ

يَتَوَلِّ هذه الأمور، ففي الحديث الذي سبق :

{ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ }[٢٦]



ورع ابن سيرين رضي الله عنه

الإمام ابن سيرين وكلكم يعلم أن أكثر شهرته أنه معروف بتفسير الأحلام، لماذا ؟ . . وأين تعلمه ؟ . . وما هو السر؟ . . كان يشتغل بالتجارة، وكان يتحرى الحلال، اشترى مرة أربعين حب (جرة) سمناً، فجاءه الخادم وأخبره أنه أخرجت فأرة من واحدة منهم، قال:

{ من أيها؟ قال: لا أدرى، فقال له: صبَّ الأربعين كلها }[٢٧]

وفسَّر ذلك بأنه لا يحل بيعها . . فلو فعل وفيها واحدة فاسدة؛ فهذا غشٌ . . "ومن غشنا فليس منا"، ولا يحل أكلها، لأنه لا يعرف التي كانت فيها الفأرة، فرماها كلها . . . وكان يقول للناس حاثاً لهم على الورع ومشجعاً . :

{ ما أهون الورع، فقيل: وكيف هو هين؟ قال: إذا رابك شيء فدعه }[٢٨]

ولذلك، ولورعه كما رأينا؛ منَّ الله عليه بتأويل الرؤيا ، قال:

{ رأيت يوسف النبي على نبينا وعليه الصلاة والسلام في النوم، فقلت له علي تعبير الرؤيا، قال: افتح فاك؛ ففتحه؛ فتفل فيه؛ فأصبحت فإذا أنا أعبر الرؤيا } [٢٩]

---

٢٦ مسند الشاميين للطبراني ،والورع للبيهقي، والآداب لإبن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه.
٢٧ روح البيان، وثفسير البيان وتفسير حقي نقلا عن الرسالة القشيرية للقشيرى.
٢٨ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى.
٢٩ أنظر الحاشية السابقة.

فقام من نومه ﷺ وقد علّمه الله علم تأويل الأحلام أو تعبير الرؤيا . . ! ! فهو فلم يقرأه فى كتب، ولا تعلمه فى كلية ،ولا فى دراسات عليا جامعية ! وإنما وصل إليه بالورع . . بالورع يا إخواني . . تفضل الله ﷻ وبعث إليه يوسف الصديق ليعلمه تأويل الأحلام، ومن الذى علم يوسف ؟ قال تعالى [يوسف : ١٠١]:

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾

الذى علمه هو الله ﷻ . . . وكانوا جميعاً -وابحث فى سِيَر الصالحين السابقين واللاحقين- كانوا على هذه الشاكلة .

ورع عبد الله بن المبارك رضي الله عنه

الإمام عبد الله بن المبارك ﷺ ، وهذا الرجل الورع الذى طبقت شهرته الآفاق . . كان نفس وجوده مثال عظيم فى الورع ! ! كيف ذلك ؟

أبوه كان اسمه المبارك، وكان يعمل عند رجل حارساً على بساتينه، فجاءه صاحب البساتين يوماً قائلاً : أريد رمانة حلوة، فجاءه بواحدة، فوجدها حامضة، فقال له: أريدها حلوة، فجاءه بأخرى فوجدها حامضة، وكذا الثالثة !، فقال له: أنت حارس الرمان ولا تعرف الحلو من الحامض [٣٠] ! !

فقال له: إنك أمرتنى بحراسة الرمان، ولم تأذن لى بالأكل منه، فلم أتذوقه، ولا أعرف حلوه من حامضه !، فأعجبه ورعه، فأراد أن تتثبت من حسن عقله وفهمه وكانت له بنت وحيدة مشهورة بجمالها وعقلها، فكان يأتيها الأمراء والأغنياء والوجهاء، فقال له يا مبارك من ترى نزوج هذه البنت ؟ فقال

٣٠ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأحمدبن خلكان، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان لأبي محمد عبدالله بن أسعد وغيرها.

الجاهلية كانوا يزوجون للحسب، واليهود للمال، والنصارى للجمال[٣١] ، وهذه الأمة للدين، فأعجبه عقله بعدما أعجبه ورعه وتقواه.

فقال لأمها مالها زوج غيره، قالت له: لم؟ قال لها: من أجل كذا وكذا، وكانت البنت تسمع الحوار من الداخل، فقالت: يا أماه قولي أن يمضي لما أراه الله، وكانت بنت تقية نقية، فكانت تبحث عن التقي:

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [٣٢النور]

فتزوج المبارك من البنت وأنجبا عبد الله بن المبارك.

عبد الله بن المبارك: كان مباركا وحلت عليه من بركات أبيه، فكان لا يسمع شيئاً إلا حفظه في الحال، فبرع في العلم حتى صار من حفاظ الحديث فحفظ أكثر من مائة ألف حديث عن رسول الله ﷺ.

كان يسافر فيسمع من العراق، ويسمع من اليمن، وذهب إلى الشام ليسمع من رجل في دمشق من الحفاظ، وكان يكتب فبحث عن قلمه فلم يجده فاستعار قلماً من رجل آخر، وكان القلم عبارة عن بوصة (غابة) يبريها ويغمسها في الحبر ويكتب بها، وكانوا يعملون بقول حضرة النبي ﷺ:

{ ضَعِ الْقَلَمَ عَلَى أُذُنِكَ فَإِنَّهُ أَذْكَرُ لِلْمُمْلِي }[٣٢]

فكتب الحديث ووضع القلم على أذنه وسافر، وبعد أن وصل مدينة مرو في آخر إيران تذكر أن هذا القلم ليس ملكه، ونسي أن يعيده لصاحبه،

---

٣١ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لإبن العماد الحنبلي.
٣٢ عن أنس بن مالك، الفتح الكبير، جامع المسانيد والمراسيل، سنن اللترمذي على إختلاف في الفاظ الروايات.

وكان قد وصل بيته، فلم ينزل ولم يسترح ! ، وإنما أمر الدابة أن تتحول إلى الخلف وعاد مرة أخرى إلى الشام ليرد القلم الذى استعاره من أخيه ! ! ! الورع !

أين نحن الآن من ذلك ؟ !

وتتعجب وتقول لماذا ندعوا الله ولا يستجيب ؟

ولماذا نطلب والله لا يكشف ؟

لماذا نستغيث والله لا يغيث ؟

هل نحن مشينا على هذا النهج الآن ؟

أبداً !، فلماذا إذا نتوقع غير ما كسبت أيدينا ! ! ! !

لكن هؤلاء هم الرجال، يرجع أحدهم ويسافر شهرين على الدابة ويتكبد كل هذه المشقة . . حتى يعيد القلم الذى استعاره لصاحبه .

نحن الآن لو احتاج أحدنا إلى مال ؟ لا يجد من يقرضه ! !

لأن الكل يقول السلف تلف ! ! فإنه سيماطلنى ولن يعيده إلىَّ، فقفلنا الطريق مع أن القرض بثمانية عشر . . والصدقة بعشرة . . أى أن القرض أعلى فى الأجر والثواب من الصدقة . . لكن [البقرة : ٢٤٥]:

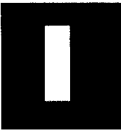
﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا ﴾

أين هو فى هذا الزمان ؟ لا يوجد ! ! ! ، لماذا ؟ لأن الناس أصبحت لا تراقب رب الناس ﷻ .

فكانت النتيجة لأنه مشى على هذا المنهج فعندما رجع، وكان يوم شديد الحر . . وكانت أمه خارجة من البيت، فوجدت عبد الله نائماً تحت

شجرة مثمرة فى الحديقة، ووجدت حيَّة فى فمها أعواد من الريحان ترفرف على عبدالله لتروح عنه حرارة الجو، لماذا ؟ . . .

لأنهم ﷺ راقبوا الله . . واتقوا الله . . وخشوا الله ﷻ . . فسخر الله ﷻ لهم كل شيء فى هذه الحياة.



أثر المطعم الحلال

هؤلاء الرجال الصالحون لهم حال شديد فى مراقبة النفس فى الورع، وليس فى العبادات التى يقول فيها ﷺ:

{ رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ }[٣٣]

لأنه لم يتحرَّ الأساس، لكن الأساس الأول يقول فيه سيد الناس ﷺ:

{ لاَ يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ. إِلاَّ أَخَذَهَا اللّهُ بِيَمِينِهِ. فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ قلوصة حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ، أَوْ أَعْظَمَ }[٣٤]

سألوا الإمام علىّ كرم الله وجهه وقالوا:

{ يا إمام كم بين السماء والأرض؟ قال: دعوة مستجابة }[٣٥].

والدعوة المستجابة تأتى من قلب غذته الجوارح بما أباحه الله وأحله الله ﷻ، ولذلك نحن نشتكى فى هذا الزمان من أناس كثير . . لا تحب سماع الوعظ ! ! وتتضايق من سماع القرآن ! ! ويحبون سماع الكلام الفارغ ! ! وتتضايق من عمل

---

٣٣ المسند الجامع عن أبي هريرة ﷺ

٣٤ حديث (٢٢٩٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ صحيح مسلم، كما ورد فى سنن الدارامى والنسائى على زيادة أونقصان.

٣٥ فيض القدير والإبانة الكبرى لإبن بطة.

البر والخير ! ! ، ونحن نراهم هنا وهناك . . . لماذا ؟

كل ذلك أساسه كما وصف وحلل سيدنا عبد الله بن عباس وقال:

{ اللقمة الحلال لها نورٌ فى القلب يجعل الجوارح تتباطئ عن معاصى الله وتسارع إلى طاعته ﷻ، واللقمة الحرام لها ظلمةٌ فى القلب تجعل الجوارح تتباطئ فى طاعة الله وتسارع إلى معاصيه }

فلا بد للواحد منهم أن يراقب، وانظر إلى شدة المراقبة من هؤلاء القوم والمحاسبة لهم من الله، فلا بد للواحد أن يحاسب نفسه :

{ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا فَإِنَّهُ أَهْوَنُ لِحِسَابِكُمْ، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ يَوْمَ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَة }[٣٦]

حكى .عن الإمام ابراهيم بن ادهم رحمه[٣٧] الله انه كان بمكة فاشترى من رجل تمرا فاذا هو بتمرتين فى الارض بين رجليه ظن انهما من الذى اشتراه، فرفعهما، واكلهما، وخرج الى بيت المقدس – أى سافر من مكة إلى بيت المقدس – ودخل قبة الصخرة وسكنها يوما وليلة ونام فرأى الملائكة قالت ههنا حس آدمى وريحه، قال أحدهم هو ابراهيم بن أدهم زاهد خراسان، وقال آخر الذى يصعد منه كل يوم الى السماء عمل متقبل، قال نعم غير ان طاعته موقوفة منذ كذا ، ولم تستجب دعوته من وقتها لمكان التمرتين عليه .

وهنا وقفة . . وقفة قال فيها سيد الرسل والأنبياء ﷺ:

{ إنّ هذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَمَنْ

---

٣٦ جامع المسانيد والمراسيل عن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ

٣٧ تفسير تنوير الأذهان، وتفسير حقى وكلاهما لإسماعيل البرسوسى .

أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ }[٣٨]

لو أخذ أحدنا شيء بسيف الحياء فهو حرام، ولأنه لا إكراه في الدين، فلا بد عن رضا النفس، الإنسان الذي أتى بشبكة لزوجته ! هل ينفع في شرع الله أن يأخذ هذه الشبكة ويقول هي مالي ؟ هل ينفع ؟ لا ولكن [٤النساء]:

﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾

والآن قد ظهرت فينا أحاديث رسول الله ﷺ التي قال فيها:

{ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يُبَالِي الرَّجُلُ مِنْ أَيْنَ أَصَابَ الْمَالَ مِنْ حَلاَلٍ أَوْ حَرَامٍ } [٣٩]

وهؤلاء ليس لهم وزن عند الله . . . مهما عمل من حج ! وقيام ! لأنه لم يتحرى الأساس الأول الذي أمر به الله وهو المطعم الحلال . . . ، فالذي يريد أن يكون من الرجال الذين أثنى عليهم الله . . . عليه أن يزيد من الورع . . ونعود لقصة إبراهيم إبن أدهم رضي الله عنه لنرى نتيجة الورع ، قال:

ثم طلع الفجر، ورجع الخادم وفتح القبة وخرج ابراهيم وتوجه الى مكة – سافر راجعا من بيت المقدس إلى مكة المكرمة .

وجاء الى باب ذلك الحانوت – بمكة – فاذا هو بفتى يبيع التمر فسلم عليه، وقال كان ههنا شيخ ! ، فاخبره انه كان والده وقد توفى، فقص ابراهيم قصة التمرتين؛ فقال الفتى جعلتك في حل من نصيبي، وأنت أعلم في نصيب أختي وأمي، قال: فأين هما ؟ قال: في الدار .

---

٣٨ سنن النسائي الصغرى ، حديث (٢٦٠٢) عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلّم فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلّم: «يَا حَكِيمُ { الحديث}

٣٩ أخرجه النسائي في الكبرى" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، المسند الجامع.

فجاء إلى الباب وقرعه، فخرجت عجوز، فسلم عليها واخبرها القصة، قالت جعلتك فى حل من نصيبى وكذا إبنتها .

فخرج ابراهيم وتوجه الى بيت المقدس ،ودخل القبة،وبات فيها فرأى الملائكة وقالوا هو ابراهيم، وكان لاتستجاب دعوته منذ كذا، غيرأنه أسقط ما عليه من التمرتين؛ فقبل الله ماكان موقوفا من طاعته، واستجاب دعوته، وأعاده الى درجته، فبكى ابراهيم فرحا، هكذا الورع . . . وهذه ثمرته !

الورع فى الكلام

والورع ليس فى الأكل والطعام فقط، ولكن الورع الأشد فى الكلام، ولذلك تجد الذى يريد أن يكون له مقاماً عند الله لا بد أن يلزم الصمت، من يريد أن يؤتى الحكمة؟ . . من ياإخوانى ؟

﴿ يُؤۡتِى ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِىَ خَيۡرًا كَثِيرًا ﴾[٢٦٩البقرة]

وقال حبيبى وقرة عينى ﷺ:

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْداً فِي الدُّنْيَا وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ } [٤٠] وفى رواية { يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ }

سيدنا أبوبكر كان يضع حصاة فى فمه أو تحت لسانه ، وعندما سألوه عن ذلك قال: ﴿ ذَلِكَ الَّذِى أَوْرَدَنِى الْمَوَارِد ﴾ [٤١]، أى المهالك .

---

٤٠ (هـ حل هب) عن أَبي خلاد (حل هب) عن أَبِي هريرةَ رضيَ اللّهُ عنهُما

٤١ إحياء علوم الدين، والقرطاس لحسين شرف الدين، و مرقاة المفاتيح لملا على القارى.

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق]

وليس كما سمعنا من بعض العلماء أن الذى المللك على اليمين اسمه رقيب، والذى على اليسار اسمه عتيد، إن الحفظة التى مع الإنسان عندما نجمع الروايات التى فيهم نجدهم مع أى إنسان لا يقلوا عن عشرين ومن ضمنهم الكتبة:

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [١١الرعد]

لكن الرقيب هنا هو الله، ومن صفة هذا الرقيب أنه عتيد، لكن لو كان كما يقولون "رقيب" و "عتيد" أى إثنان لكانت هناك واو العطف بينهما كما تقضى قوانين اللغة . . . ، لكن رقيب صفته عتيد وهو الله ﷻ .

ولذلك أشد ورع عند الصالحين هو ورع الكلام . . .

فلا يتكلم أحدهم فيما لا يعنيه، ولا يتكلم إلا فيما يثيبه الله عليه، فهو إذاً يعمل بقول الله فى كتاب الله:

﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [١١٤النساء]

الحكمة فى الدعوة إلى الله

ولذلك تجد الصالحين دائماً صامتين، فلا يتكلم أحدهم فيما لا يعنيه، إذا رأى أحد أمامه يعمل شيئاً يستحضر الحديث الذى يقول:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ }[٤٢]

إلا إذا كان يحتاج إلى الأمر بالمعروف أو النهى عن المنكر، فيقوم بذلك بالطريقة الرشيدة السديدة التى وصفها الله ورسوله . . .

- فى أذنه بينه وبينه إذا كان يتحمل .
- أو على سبيل التلميح إذا كان لا يتحمل .

ولكن لا ينصحه جهراً يسمع الآخرين به ولا على الملأ .

وخذوا أمثلة عديدة لهذا المنحى الحكيم والأدب العالى للنصح . . منها هذه الحكمة التى أمرنا بها ﷺ عندما أمر بالوضوء من أكل لحم الجزور (الجمل) كما ورد فى صحيح ابن حبان ! !

فللعلماء تفسيرات حكمية فى ذلك:

منها أن أحدهم كان قد انتقض وضوءه وهو جالس مع رسول الله، وحتى لا يجرح النبى ﷺ مشاعره أمام الآخرين لو قام وحده ليتوضأ . . وكانوا أغلبهم بالطبع قد أكلوا لحم جمل، فلما سمعوا كلمته ﷺ قاموا للوضوء جميعاً، فانظر إلى هذا الأدب النبوى العالى فى الأمر بالمعروف .

والإمامان الحسن والحسين رضى الله عنهما . . عندما رأيا رجلاً لا يحسن الوضوء، تظاهرا بأنهما يختلفان فى الوضوء أمام الرجل واحتكما إليه، فتوضئا أمامه، فقال لهما أنا الذى أخطأت . تعلموا الحكمة العالية سادتى ! . .

معظم مشاكل المسلمين سببها عدم الورع فى القول، فكلما سمع كلاماً نقله ، وقد قال الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة وأتم السلام:

---

٤٢ عن أبى هريرة ﷺ ، سنن ابن ماجه

{ الْمَجَالِسُ بِالأَمَانَاتِ } [٤٣]

وينقل الكلام بالتحريف ويخيل له أنه عمل خيراً ! ! . . والذى عمله يحبط كل أعماله، لأنه خالف هدى رسول الله ﷺ ، لأنه يجب عليه ألا ينقل ما سمعه من أخيه إلى غيره، ولا يجب عليه أن يغتاب المسلمين، فالورع فى الكلام هو الذى يظهر درجة هذا الرجل عند الملك العلام ﷻ .

لا بد أن يكون صامتاً، وإذا صمت يشغل نفسه بذكر الله، وبتلاوة كتاب الله، وبالإستغفار، وبالصلاة على رسول الله، ما النتيجة ؟ النتيجة . . . أن الله ﷻ يؤتيه الحكمة :

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [٢٦٩البقرة]

فيكون كلامه مثل ما يقول الله:

﴿ وَهُدُوٓا إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾، اما عمله :

﴿ وَهُدُوٓا إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحج]

ورع الجوارح

فجهاد الصالحين الأعظم رضي الله عنهم ففى الجوارح كلها:

- فى ورع اللسان.

---

٤٣ اعْتِلالُ الْقُلُوبِ لِلْخَرَائِطِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ , رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

- وفى ورع العين عن النظر إلى ما لا يحل .
- وفى ورع الأذن عن سماع كل كلام يخل .
- وفى ورع اليد أن تمتد إلى ما لا يحل .
- وفى ورع الإنسان أن يأخذ شيئاً ليس له فيه حق بل أنه يتحرى أحل الحلال .

الإمام المحاسبى رضي الله عنه :

كان إذا امتدت يده إلى طعام فيه شبهة له عرق فى يده ينبض[٤٤]، ما السبب فى ذلك ؟

ورث من أبيه ثلاثمائة ألف دينار، وكان أبوه يقول بقول القدريين ، وهم من الخارجين فى الفرق الإسلامية، فقال رضي الله عنه: قال ﷺ:

{ لا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ }[٤٥]

ورفض هذا الميراث كله ووزعه على الفقراء على الرغم من أنه كان فى أشد الحاجة إلى الدرهم وأقل . . فانظر إلى الورع . .

قالوا فعوضه الله أن جعل لا ينزل بطنه إلا الحلال، كيف ؟ . . جعل الله له فى يده عرقاً إذا مد يده إلى شيء فيه شبهة ينتفض هذا العرق .

ولذلك جماعة أرادوا أن يمتحنوا سيدى أبوالعباس المرسى رضي الله عنه فأتوا بدجاجة مخنوقة و أنضجوها ووضعوها أمامه ليأكل، فقال رضي الله عنه:

{ إذا كان الحارث المحاسبى له عرقٌ ينفض فأنا كلى عروقٌ تنفض،

---

٤٤ طبقات الشافعية الكبرى، لابن هداية الله المصنف.
٤٥ سنن ابن ماجة ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

هذه الدجاجة تقول إنى مخنوقة فلا تأكلنى }



هذا الورع هو الذى وصلوا به إلى هذه الرتب الكبرى .

من الذى يريد أن يكون من الراسخين فى العلم ؟

نسأل الحبيب، قال ﷺ:

{ قَالُوا : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ؟ قَالَ : " هُوَ مَنْ بَرَّتْ يَمِينُهُ ، وَصَدَقَ لِسَانُهُ ، وَعَفَّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ ، فَذَاكَ الرَّاسِخُ } [٤٦]

إذاً لا بد أولاً أن يكون عندى :

- ورع أعف فيه بطنى لأن البطن هى التى تغذى الأعضاء .
- وأعف به لسانى .
- وأعف به أعضائى .
- فيفتح الله ﷻ بعد ذلك نور السريرة وعين البصيرة .
- ويكرم الله الإنسان بالإكرامات التى نسمعها عن الصالحين والصديقين وعن المتقين . . . . .

وسبب كل ذلك هو الورع، ولذلك قال ﷺ:

{ خَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ } [٤٧]

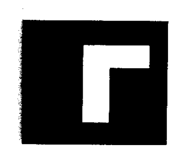
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

٤٦ المعجم الكبير للطبرانى، عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه

٤٧ عن حذيفة، البزار، طس ك ، الفتح الكبير

الفصل الثانى



التأسى بالرسول وصحبه الكرام

- الثلة المباركة حول النبى
- كان عمله ديمة
- مناهج الرجال
- صلاة التراويح
- صلاة القيـــــام
- وقت السحر وقت الفتوحات
- الأخوة فى الله نبع الفتح العرفانى
- شروط الأخوة الموصلة ومحاســـنها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٣

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ
ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ
يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ
وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ٢١ ﴾ (الأحزاب)

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

الثلة المباركة حول النبي ﷺ

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

جعل الله ﷻ لسيدنا رسول الله ﷺ ثلة مباركة يحيطون به، يأخذون بهديه، ويستنون بفعله، ويجاهدون للتأسي في كل أنفاسهم به ﷺ.. ليكونوا معه مشاركين في الأنوار التي تفاض عليه من الواحد القهار، ولهم نصيب في العلوم والأسرار، التي خصه بها الله جل في علاه.

ولهم فضلاً عن ذلك كله، مقام القرب من حضرته الشريفة، فهم معه في الدنيا، ومعه في الآخرة، ومعه في الجنة إن شاء الله... وناهيك بهذا المقام رفعة وعلواً، مقام يقول فيه الله:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح)

هذه المعية... وهذا المقام العظيم...

هو الذي اشتاق إليه الصالحون!! وحنّ إليه المقربون!!

وما سمعنا وقرأنا ورأينا عليهم من أنواع الجهاد.. جهاد النفس.. وتصفية القلب.. جهاد في الطاعات.. وجهاد في تبليغ رسالة الله.. وجهاد في قهر النفس عن شهواتها وحظوظها..، كل ذلك ليفوزوا بهذا المقام العظيم.

وقد قال الله ﷻ لنا:

---

١ المعادي، الخميس الموافق ٩ من شوال ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨/١٠/٩م

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۝٩ ﴾ (العنكبوت)

سيدخلهم الله ﷻ نتيجة الإيمان والعمل الصالح، يرقيهم ويرفع شأنهم فيوصلهم إلى أن يدخلهم في رحاب الصالحين .. ويجعلهم مع الصالحين .. ومن الصالحين ﴿ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ ...



هؤلاء الصالحون يا أحباب .. لهم نظراتهم إلى الحبيب .. ولكنها غير نظرات أي عبد منيب، .. كيف ذلك؟ ونفصل ذلك ...

من الناس من ينظر إلى قوله !، ومن الناس من ينظر إلى فعله !، ورسول الله ﷺ كما علّمه ربه ﷻ كان يأمر بالأخفّ وباليسر، لكنه ﷺ كان يأخذ نفسه في طاعة الله وفي التقرب إلى الله بالأشد .. هل هذا واضح؟

فمن أراد أن يكون قريباً من حضرته، ويدخل في معيته، لا بد أن يسلك هذا المسلك !!، فيأمر الناس باليسر وبالتخفيف ..، لكنه يأخذ نفسه بالأشد، وأقول نفسه وليس أحداً آخر ..، وله أسوة في رسول الله ﷺ:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ ﴾ (الأحزاب)

ولم يقل لمن يريد الجنة، فمن أراد الجنة اقتدي بقوله .. وإذا عمل بالتخفيف الذي أمر به، وصل إلى مراده.

لكن من يريد وجه الله !! ومن يريد أن يكون معه في الدار الآخرة وفي الجنة إن شاء الله !!؟ فعليه أن يعمل بهذه الآية .. بنصها .. وروحها وحذافيرها .. كما قال الله ﷻ، فلم يقل الله: لقد كان لكم في قول

رسول الله أسوة حسنة، لا ولكن في رسول الله ذاته . . ، في فعاله . . ، وفي أخلاقه . . ، وفي هيئته . . ، وفي سره وسيرته . . ، وفي سريرته . . :

أسوة حسنة، . . . . اقتداء تام . . . . بسيد الأنام، لمن أراد أن يكون معه في الدنيا وفي يوم الزحام .

كان عمله ديمة

من منا يريد أن يكون من أهل هذه المعية ؟

كلنا . . ، إذاً كما قالوا :

تهون علينا في المعالي نفوسنا . . ومن خطب الحسناء لم يغله المهر[2]

مادمت تطلب العلا، وتخطب الحسناء فعليك أن يدفع المهر . . . والمهر هنا هو أنت كلك . . . أن تجعل كلك لربك ﷻ .

فلا تجعل للنفس ولا للشيطان عليك سلطاناً، ولا للهوي دوراً في تصريف أمورك . . ، بل اجعل هواك كله لمولاك !، واجعل كلك مطيعاً ! وخادماً لله ! علي هيئة حبيب الله ومصطفاه ﷺ .

ولذلك تأسى هؤلاء القوم به ﷺ، فإذا كان هناك قوم يصلون القيام في رمضان ويتوقفون عن صلاة القيام بعد رمضان حتي يأتي رمضان من العام القادم، فإن هؤلاء لا يديمون علي صلاة القيام، لأن السيدة عائشة رضي الله عنها ،عندما سئلت عن حاله ﷺ وعمله؛ قالت مقررة:

{ كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً }[3]

---

٢ منسوب لأبى فراس الحمدانى، يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر.
٣ عن عائشة ، صحيح البخارى وابن حبان، مسند أحمد وكثير غيرها.

أي يديم عليه، وعندما سئل ﷺ من أصحاب هذا المقام عما يحبه الله ﷻ من العمل الصالح من الأنام ؟ ! لم يذكر صلاة !، ولا صيام !، ولا تلاوة قرآن !، ولا ذكر. . !، ولا فكر !، بل لخص الأمر فقال:

{ أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ } [4]

العمل الذي يديم عليه المرء إن كان صلاةً، أو كان صياماً، أو كان ذكراً، أو كان تلاوةً أو كان فكر. . المهم المداومة علي العمل، لأن المداومة تبرهن علي أن هذا العبد يراقب الله ويخشاه في كل الأوقات، وفي كل الأحوال ،وفي كل الجهات.

المداومة تدل على أنه لا يراقب الله ﷻ في شهر ويتركه بقية الدهر، لا ! ! وإنما يراقب الله في كل أحواله ،ويتوجه إليه بالطاعات ويداوم عليها في كل أوقاته، لأن الله يحب المداومة علي العمل.

فكان ﷺ يداوم علي صلاة القيام، وعندما سئلت السيدة عائشة ﵂ عن صلاته ﷺ في رمضان – وهذه الأسئلة وجهت لسيدات بيت النبوة ، لأن هذه الأعمال كان يعملها ﷺ في خلوته إذا اختلي في بيوت نساءه، ولم يكن يفعلها في المسجد العام، فكان الذي يطلع عليها زوجاته، وآونة كان يستأذن بعضُ أصحابه ليشهدوا ليلة معه !، فكان يأذن لهم بذلك . . لكن لم يكن يأذن لهم أن يديموا معه ولكن ليلة فقط ! – فقالت رضي الله عنها:

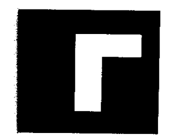
{ مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ، وَلا فِي غَيْرِهِ، عَلَى احْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً } [5]

---

٤ حديث (١٧٨٠) عَنْ عَائِشَةَ ، صحيح مسلم . قَالَ الراوى : وَكَانَتْ عَائِشَةُ إِذَا عَمِلَتِ الْعَمَلَ لَزِمَتْهُ .
٥ يَاعن عَائِشَةَ، أخرجه مالك (الموطا ٩٤) و"أحمد" ٣٦/٦ ،المسند الجامع

سلفنا الصالح فقهوا هذا الحديث ووضعوه في موضعه الصحيح.

فالأئمة الأربعة: الإمام مالك، والإمام أبو حنيفة، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، وغيرهم من السلف الصالح، .. قالوا إن هذا الحديث يخص صلاة الليل التي يقول فيها الله:



﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الذاريات)

وهي ما نسميها صلاة التهجد، ولا يكون التهجد إلا بعد نوم، أو في وقت النوم، أي بعد منتصف الليل، وهي شديدة ولذلك قال الله في شأنها:

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾ (المزمل)

هي أثقل شيء على النفس لأن النفس تريد النوم في تلك الآونة وهذه الساعات، فكان ﷺ يديم إما من منتصف الليل وإما في الثلث الأخير من الليل على هذه الصلاة، وعددها إحدى عشرة ركعة، ومن جملتهم ركعتا الشفع وركعة الوتر.

فكان يؤخر الوتر، وإذا صلى الوتر قبل أن ينام، كان يبدأ القيام بركعة واحدة تكون مع ركعة الوتر السابقة شفعاً، ثم يصلي ما شاء، ويختم بركعة وتر لقوله ﷺ:

{ لاَ وِتْرَانِ فِى لَيْلَةٍ }[٦]، و { آخرَ صلاةِ اللّيلِ الوترُ }[٧]

---

٦ عَنْ قَيْسِ بْنِ طَلْقٍ قَالَ زَارَنَا طَلْقُ بْنُ عَلِيٍّ فِي يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ وَأَمْسَى عِنْدَنَا وَأَفْطَرَ ثُمَّ قَامَ بِنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَأَوْتَرَ بِنَا ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى مَسْجِدِهِ فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ حَتَّى إِذَا بَقِيَ الْوِتْرُ قَدَّمَ رَجُلًا فَقَالَ أَوْتِرْ بِأَصْحَابِكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: {الحديث}. أخرجه أحمد ٤/٢٣(ح١٦٤٠٥)، المسند الجامع

٧ عن ابن عمر ﷺ أمر رسول الله ﷺ أن نجعل {الحديث}، مجمع الزوائد، ومسند أحمد، والمسند الجامع وغيرها.

ولا بد من الجمع بين الحسنيين أي بين الحديثين، فلا بد أن يكون آخر صلاة الليل الوتر، ولا يجوز للمرء أن يصلي وترين في ليلة، ما المخرج؟

كما شرحنا : إذا كان أوتر قبل أن ينام، فعليه أن يصلي ركعة عند بداية القيام تكون مع زميلتها المفردة السابقة شفعاً، وشفعاً . . أي ركعتين اثنتين، ثم يصلي ما شاء ويختم بركعة واحدة وتراً .



مناهج الرجال

ومن عجائب تفصيل أحوال النبوة، أن الرجال الذين حول النبي المختار اختار كل رجل منهم منهجاً ليكون للمؤمنين فسحة في توزيع هذه الأدوار وفي تلقي هذه الأنوار، فكان سيدنا أبوبكر الصديق ﷺ يوتر قبل أن ينام، وكان سيدنا عمر ﷺ يؤخر الوتر إلي قبل صلاة الفجر . . .

وبذلك لا يقولوا رجلٌ اختار واحداً من هذه فهذه أفضل . .

لا ، فإنه لا يعلم الأفضلية إلا رب البرية ﷻ

المهم أن تقوم بالعمل علي نهج الشريعة المحمدية وتتأسي فيه بالحضرة المحمدية، وبالرجال الذين كانوا حوله ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح) فمن أوتر قبل أن ينام أخذ بالحزم، ومن أوتر بعد المنام قبل الفجر أخذ بالعزم، وهذا صحيح، وهذا صحيح، وهذا عزيمة عند هذا، وهذه عزيمة عند هذا، ولا شأن لك بالتخيير ولا بالتفضيل ! !

لأن هذا وذاك . . وارد عن البشير النذير ﷺ .

كيف كان ﷺ يصلي الأحدي عشرة ركعة؟

يبدأ ﷺ بركعتين خفيفتين لقوله ﷺ:

{ إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ لْيُطَوِّلْ بَعْدُ مَا شَاءَ }[8]

واستحسن الأئمة الكرام أن يقرأ فيهما بعد الفاتحة في الركعة الأولى آية الكرسي، وفي الركعة الثانية خواتيم سورة البقرة، وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها في وصف صلاته عليه الصلاة والسلام بعد ذلك بالليل[9]:

﴿ يُصَلِّي أَرْبَعا فَلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنّ وَطُولِهِنّ. ثُمّ يُصَلِّي أَرْبَعا فَلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنّ وَطُولِهِنّ – حسنهن أي يطيل فيهن الركوع والسجود، وطولهن لتطويل القراءة فيهن –. ثُمّ يُصَلِّي ثَلاثا }

فماذا كان يقرأ ؟، استمعوا لحديث سيدنا حذيفة رضي الله عنه لما صلى معه ليلة :

{ صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستفتح بالبقرة، قلت: يقرأ بالمائة، ثم يركع، فلما جاوزها قلت: يقرؤها في ركعتين، فلما فرغ منها افتتح سورة آل عمران ، فلما بلغ النساء قلت: يقرؤها في ركعة، فجعل لا يمر بتسبيح ولا تكبير ولا تهليل ، ولا ذكر جنة ولا نار إلا وقف فسأل أو تعوذ ثم ركع }[10]

وحضر إحدي هذه الليالي سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بعد أن استأذنه ﷺ أن يضيفه ليشهد معه صلاة القيام فأخذ في القيام ووقف عن يمينه . قال:

---

٨ عن أَبِي هُرَيْرَةَ، جامع المسانيد والمراسيل

٩ والجمع بين روايات عائشة المختلفة في حكايتها لصلاته ﷺ أنها ثلاث عشرة تارة وأنها إحدى عشرة أخرى بأنها ضمت هاتين الركعتين الخفيفتين فقالت ثلاث عشرة ولم تضمهما، فقالت إحدى عشرة ولا تعارض مع حديث { أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن} لأن المراد صلى أربعاً بعد هاتين الركعتين. ، عون المعبود في شرح سنن أبي داوود.

١٠ مختصر قيام الليل لمحمد بن ناصر المروزي، وورد عن عائشة {كَانَ ﷺ يَقْرَأُ لَيْلَةَ التَّمَامِ بِالْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ وَالنسَاء، فَلاَ يَمُرُّ بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ إِلاَّ دَعَا اللَّهَ وَاسْتَعَاذَ، وَلاَ يَمُرُّ بِآيَةٍ فِيهَا اسْتِبْشَارٌ إِلاَّ دَعَا اللَّهَ وَرَغِبَ إِلَيْهِ} مسند الإمام أحمد.

{ فَأَطَالَ ﷺ حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ. قَالَ: قِيلَ: وَمَا هَمَمْتَ بِهِ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ }[11]

يعني لشدة تعبه من طول القيام .



ومن عجب أنه ﷺ كان يطيل هذا القيام علي قدم واحدة ! زيادة في التبتل والإبتهال . . . والتضرع إلي الله ﷻ . . . ، ولذلك كانت قدمه تتورم[12] من طول القيام حتى قال له ربه:

﴿ طه مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ (١-٢طه)

وفي قراءة ﴿طَأْهَا﴾ أي أنزلها فاستجاب لله وصلي علي قدميه طاعة لأمر مولاه ﷻ، . . وكان ﷺ يصلي ثماني ركعات، ثم يصلي الشفع والوتر.

وتعلمون أنه كان يقرأ في الأولي من الشفع سورة الأعلي، وفي الثانية سورة الكافرون، ويقرأ في الوتر سور الإخلاص والمعوذتين .

وبعد ذلك كان يضطجع علي جنبه الأيمن يستغفر الله ، حتى يؤذن بآذان الفجر عملاً بقول الله تعالى فى محكم التنزيل (١٧-١٨الذاريات) :

﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

وقت السحر للإستغفار . . .

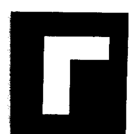
من الذي قسم هذا التقسيم ؟

إنه العزيز العليم ﷻ .

---

١١ عَنْ أَبي وَائِلٍ ، عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود أخرجه أحمد ١/٣٨٥(٣٦٤٦)، المسند الجامع.
١٢ الحديث :{كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ } (ق ت ن هـ) عن المغيرةِ رضَي اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل.

صلاة التراويح



أما صلاة التراويح وهذا اللبس الذي حدث في عصرنا، نتيجة ضيق الأفق وقلة الفهم، وسقم الآراء في دين الله عز وجل فإن السلف الصالح كما قلت أجمعون قالوا إن رسول الله ﷺ كما ورد عنه لم يصلِّ التراويح إلا ثلاثة ليال، فيما روته السيدة عائشة رضي الله عنها:

{أَنّ رَسُولَ اللّهِ خَرَجَ مِنْ جَوْفِ اللّيْلِ فَصَلّى فِي الْمَسْجِدِ. فَصَلّى رِجَالٌ بِصَلاَتِهِ. فَأَصْبَحَ النّاسُ يَتَحَدّثُونَ بِذَلِكَ. فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ فَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ فِي اللّيْلَةِ الثّانِيَةِ. فَصَلّوْا بِصَلاَتِهِ. فَأَصْبَحَ النّاسُ يَذْكُرُونَ ذَلِكَ. فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنَ اللّيْلَةَ الثّالِثَةِ. فَخَرَجَ فَصَلّوْا بِصَلاَتِهِ. فَلَمّا كَانَتِ اللّيْلَةُ الرّابِعَةُ عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ. فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ . فَطَفِقَ رِجَالٌ مِنْهُمْ يَقُولُونَ: الصّلاَةَ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ حَتّى خَرَجَ لِصَلاَةِ الْفَجْرِ. فَلَمّا قَضَى الْفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النّاسِ. ثُمّ تَشَهّدَ، فَقَالَ: أَمّا بَعْدُ. فَإِنّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيّ شَأْنُكُمُ اللّيْلَةَ. وَلَكِنّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ صَلاَةُ اللّيْلِ. فَتَعْجِزُوا عَنْهَا } [13]

إذاً هي نافلة، فكان الرجل يصلي بمفرده في مسجد رسول الله أو غيره من المساجد، وكان بعضهم يصلي جماعة، حتى قيل كان يوجد في المسجد أكثر من جماعة، حتى جاء عمر رضي الله عنه ورآهم وقال لأصحاب رسول الله مشاوراً وكانوا رضي الله عنهم لا يصنعون أمراً إلا عن مشورة إن كان في أمور الدنيا، وإن كان في أمور الدين، وأمرهم شورى بينهم كما مدحهم الله عز وجل.

---

١٣ عن عَائِشَةَ، صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه .

فقال رضي الله عنه لأصحاب رسول الله:

{ إِني أرَى لو جَمعتُ هؤلاءِ على قارىءٍ واحدٍ لَكانَ أمْثَلَ. ثمّ عَزمَ فجمَعَهم على أُبيّ بنِ كعبٍ، ثمّ خَرَجَ ليلةً أُخرى والناسُ يُصَلُّونَ بصلاةِ قارِئهم، قال عمرُ: نِعْمَ البِدْعةُ هذهِ، والتي يَنامونَ عنها أفضَلُ منَ التي يَقومونَ - يُريدُ آخرَ الليلِ - وكان الناسُ يَقُومونَ أوّلَهُ } [١٤]



واختار عمر أبي بن كعب لأنه سمع حضرة النبي يقول :

{ أَقْرَأُ أُمّتِي أُبَيّ بْنُ كَعْبٍ } [١٥]

وكانوا يسلمون للتخصص الدقيق مع أن عمر كان يحفظ القرآن، ويستطيع أن يصلي بهم، وغيره من الأصحاب، لكنه زكي ما زكاه رسول الله، حتى في الفتيا كان من أصحابها وكان من المحدثين والملهمين، لكنه كان يقول عند أي فتيا أين علي؟ لماذا؟ لقول النبى فى الحديث أعلاه:

{ وَأَقْضَى أُمّتِي عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ }

انظروا إلي طاعتهم لله ورسوله تجدون العجب العجاب ! ! !

فجمعهم علي أبي بن كعب فصلي بهم عشرين ركعة، فلم يعترض علي ذلك أحد من الأصحاب، ولم نسمع قولاً منافياً لذلك أو معارضاً لذلك، وما كانوا ليصنعوا ذلك بدون أثر رأوه من رسول الله، حاشا لأصحاب رسول الله أن يصنعوا شيئاً من عندهم .

ولذلك قال الأئمة الأربعة إن فعل أبي بن كعب الذي أقره عليه عمر

---

١٤ صحيح البخارى عن عبد الرحمن بن القارى، وفيها روايات عديدة.
١٥ (طس) عن جابر رضيَ اللَّهُ عنه (ز).جامع المسانيد والمراسيل

وأصحاب رسول الله هو العمل المرتضي .

ولذلك كنا إلي عصر قريب نصلي التراويح في جميع مساجدنا عشرين ركعة، ولم يكن يصلي الثماني إلا مساجد الجمعيات الشرعية، فكانت كل مساجد المسلمين في القري والمدن تصلي عشرين ركعة، لأنها السنة الواردة عن أصحاب رسول الله وقد قال ﷺ :

{ عَلَيْكُمْ بِسُنّتِي وسُنّةِ الخلفاءِ الراشدينِ المَهْدِيّينَ، عَضُوا عَلَيْهَا بالنّوَاجِذِ } [١٦]

وافقهوا الحديث "عليكم بسنتي" هذه واحدة "وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي" هذه واحدة أخري، وطبقاً لقواعد اللغة كان ينبغي أن يقول "عضوا عليهما" لأنهما مثني، لكنه قال "عضوا عليها" . . لأن سنته وسنة أصحابه سنّة واحدة، لأن أصحابه ﷺ لا يختلفون عن حضرته ، ولا يصنعون أمراً إلا إذا رأوا فيه سيرته وسريرته صلوات ربي وتسليماته عليه .

طبعاً صلاة الثماني ليس فيها شيء، فالتراويح أقلها ركعتان، فمن صلي ركعتين ليس عليه شيء، ومن صلي أربعاً فليس عليه شيء، لأنها صلاة رغبية . . كلما أكثرت زدت من الأجر والثواب، لكن الذي أقوله لا يقول البعض أن الوارد عن رسول الله الثماني ويستدلون بحديث السيدة عائشة في غير موضعه، فإن حديثها في صلاة التهجد التي هي الثلث الأخير من الليل . .

ولذلك رأينا حتي الوهابية في البلاد الحجازية يحافظون علي هذه السنن فيصلون التراويح عشرين ركعة، ويصلون التهجد في العشر الأواخر إحدي عشرة ركعة، وهي الثماني والشفع والوتر لأن ذلك هو الوارد عن رسول الله ﷺ وعن صحبه الكرام .

---

١٦ العرباض بن سارية، السنن الكبرى للبيهقي.

صلاة القيام



إذاً يا أحباب . . من أراد أن يدخل في رحاب المعية . . لا بد أن يحافظ علي صلاة القيام بين يدي الله ولذلك قال ﷺ :

{ عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَمَقْرَبَةٌ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ } [١٧]

ما سمعنا عن رجل من الصالحين لم يكن له قيام، بل قال الصالحون:

"من لم تكن له في بدايته قومة؛ لم يكن له في نهايته جِلْسَة "

أي جلسة أنس ومناجاة مع الله، لأن الله يقول في الخطاب الذي يوجهه لسيدنا دواود عليه وعلي نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام:

{ إن لي عباداً يحبُّوني وأحبُّهم، ويشتاقون إليَّ وأشتاق إليهم، ويذكروني وأذكرهم وينظرون إليَّ وأنظر إليهم، فإن حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عن ذلك مقتُّك. قال: يا ربُّ وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه (الظلال إشارة إلى الأجسام) ، **ويحنون إلى غروب الشمس كما تحنُّ الطير إلى أوكارها، فإذا جنَّهم الليل واختلط الظلام وخلا كلُ حبيب بحبيبه نصبوا لي أقدامهم وافترشوا لي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا إليَّ بأنعامي، فبين صارخ وباك، وبين متأوه وشاك، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي**

---

١٧ رواه الطبراني في الكبير من رواية عبد الرحمن بن سليمان، والترمذي في الدعوات من جامعه من رواية بكر بن خُنيس.

ما يشكون من حبي، أول ما أعطيهم أن أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم. والثاني: لو كانت السموات السبع والأرضون وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم. والثالث: أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحدٌ ما أريد أن أعطيه ؟}[١٨]

ولذلك ورد أن المدينة في عصر رسول الله ﷺ وعصور السلف الصالح رضى الله عنهم أجمعين، قالوا من طرق شوارعها ليلا كان يسمع لهم دويا في مساجدها وفي بيوتها دوي كدوي النحل[١٩]، الكل يقظان بين يدي من لا يغفل ولا ينام .. يناجون الله في الأسحار، وقت السحر هو الذي يقول فيه الحبيب:

{ يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي، فَأَغْفِرَ لَهُ؟}[٢٠]. **وَفِي رِوَايَات: {حَتّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ }، { حتى يطلع الفجر أو ينصرف القارئ من صلاة الصبح }**

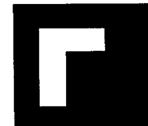
وقت السحر وقت الفتوحات

وقت الفتوحات ووقت التنزلات للصالحين والصالحات هو وقت السحر، حتى قيل أن سيدنا يعقوب عليه وعلي نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام عندما قال له أبناءه يا أبانا استغفر لنا ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾(يوسف) قيل أجل الإستغفار إلي وقت السحر[٢١]، أى سوف

---

١٨ إحباء علوم الدين ، وتعريف الأحياء بفضائل الإحياء
١٩ فى مختصر قيام الليل لمحمد بن ناصر المروزي، وغيرها.
٢٠ رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، الترغيب والترهيب، ثم لمسلم وفى التوحيد لأبى خزيمة.
٢١ ورد عن عبدالله بن مسعود وآخرين، تفسير الطَبرى وكثير غيرهم كثل التهجد وقيام الليل لابن أبى الدنيا.

أستغفر لكم في وقت السحر، لأنه الوقت الذي جعله الله لعباده الصالحين يفتح لهم فيه خزائن الجود الإلهي وخزن الكرم الرباني، وبالطبع هذا لا يكون للنائمين ولا للغافلين ولا للساهين، وإنما هو للقائمين والذاكرين وللراكعين وللساجدين وللحاضرين وللتالين، . . . وللمتوجهين بالكلية لرب العالمين ﷻ في هذا الوقت والحين، وقال ﷺ لمن أراد أن يكون له مكانة عظمي يوم القيامة:



{ إنّ في الجنّةِ غُرَفاً يُرَى بَاطِنُها مِنْ ظَاهِرِهَا، وظَاهِرُها مِنْ بَاطِنِها، أَعَدّها الله لِمَنْ ..— وذكر منهم — وقامَ باللّيْلِ والنّاسُ نِيَامٌ} [٢٢]

وقيل في الأثر:

{ من صلّي بالليل والناس نيام رفعت له يوم القيامة الأعلام }

يكون هذا في أول الصفوف في طابور العرض الإلهي يوم ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾ (٤٨الكهف) أول شيء في طابور العرض، حملة الأعلام النبوية، والأعلام المحمدية، والأعلام الإلهية، فمن أراد أن يدخل في معية رسول الله فلا بد أن يكون له قيام لله ﷻ، والله ﷻ فرض علينا خمس صلوات في اليوم والليلة، وفرض علي حبيبه فريضة سادسة في قوله عزّ شأنه:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١-٢المزمل)

لماذا؟ . . وضح الإجابة سبحانه في آية أخري وقال:

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (الإسراء٧٩)

٢٢ {لمن أَطْعَمَ الطّعَامَ، وأَلانَ الكَلامَ وتَابَعَ الصِّيَامَ، وقامَ باللّيْلِ والنّاسُ نِيَامٌ } عن أبي موسى الأشعرى، الطبرانى فى الكبير.

فهي لأجل المقام المحمود، وعلم الله أشواق أقوام إلي أن يكونوا مع حضرته في معيته فأدخلهم معه في هذا العمل والأمل في آخر المزمل فقال:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ (٢٠المزمل)

الطائفة التي معك والذين يريدون أن يكونوا من أهل الخصوصية لا بد أن يكون لهم هذه الخصوصية في قيام الليل لله عز وجل :

- منهم من كان يقوم الليل كله بركعتين كسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يقوم الليل بركعتين يقرأ فيهما القرآن كله.

- ومنهم من كان يطيل فيه السجود كسيدي علي زين العابدين بن الإمام الحسين رضي الله عنهما كان يطيل السجود في الليل حتي سمي السجّاد لإطالته السجود بين يدي مولاه، وقد عرف بهذا اللقب الكثيرون أمثاله رضي الله عنهم مثل على بن عبد الله بن عباس الذى كان يصلى ألف ركعة فى الليلة[٢٣]، ومنهم من كان يصلي كل ليلة ثلاثمائة ركعة كالجنيد رضي الله عنه.

- ومنهم – وهذا للعجب – حتى من النساء من كانت تصلي كل ليلة ألف ركعة وهي السيدة رابعة العدوية، وعندما سئلت عن ذلك؟ قالت حتى يفتخر بي رسول الله ﷺ يوم القيامة، ويقول هذه امرأة من أمتي صنعت ما لم يصنعه رجالكم، ففهت الحديث:

{ فَإِنِي أُبَاهِي بِكُمُ الأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٢٤]

فأرادت أن يباهي بها رسول الله.

---

٢٣ السيرة الحلبية.

٢٤ (عب) عن سعيد بن أَبي هِلاَلٍ مُرْسَلاً، جامع المسانيد والمراسيل

فانظر يا أخي بم يباهي بك رسول الله يوم القيامة؟ ما المزية التي تقدمها لرب البرية ويباهي بها رسول الله في هذه الحال بين أمم الله؟ لا بد أن يكون لك مزية يباهي بها رسول الله الأمم، فكل واحد يختار له مزية يبرز فيها ويتفوق فيها!



ولا يخطر ببالك كيف كانت تصلي ألف ركعة! والليل عدد ساعاته كذا؟ أو كيف كان يقرأ عثمان القرآن كله في ركعتين! وساعات الليل كذا؟ فإن لله أقواماً يطوي لهم الزمان! كما يطوي لغيرهم المكان.. اكراماً من الرحمن ﷻ لهم.

فكما أن لله رجالاً يقطعون الأرض كلها في خطوة، فله ﷻ رجال يقطعون الليل كله في لحظة! ويبارك الله لهم فيه فيقدمون لله من الأعمال ما لا يقدمه غيرهم في ألف ليلة!، هذه عنايات خاصة من الله لعباده المخصوصين، وما عليك إلا أن تسلك، وربك ﷻ يصنع لك ما كان يصنع معهم، وما ذلك على الله بعزيز، لأن الله ﷻ فتح أبواب فضله لجميع المؤمنين إلي يوم الدين (الجمعة):

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾

فلا بد للإنسان من قومة! وإذا كان الإنسان متعباً في وقت من الأوقات فقد سهل إمامنا أبو العزائم ﷺ العمل للمتعبين والمثقلين في هذه الأيام فقال ﷺ:

"تستطيع أن تصلي قيام الليل بجزءاً فتصلي أربعاً بعد العشاء، وتصلي أربعاً قبل النوم، وتنام علي وضوء كسنة الحبيب ﷺ، وتقوم قبل الفجر بقليل تصلي أربعاً، ثم تصلي الشفع والوتر." .. هل هذا العمل عسير يا أحباب؟

أظن أن هذا عمل سهل ويسير لمن أراد أن يسلك هذا المسلك، ويدخل في معية الحبيب ﷺ، فإن هذه المعية لا نستطيع وصفها، ولا الإحاطة بالدرجات التي جعلها الله ﷻ لأهلها، ولا بالعطاءات التي خص الله ﷻ الأحباب المندرجين فيها،

فإنه عطاء بغير حساب ! ولكن المهم المداومة يا أحباب ! ! المداومة ! ! ، ويسّر الحبيب ﷺ للمديمين فقال :

{ مَنْ نَامَ عَن حِزبِهِ أو عَن شيءٍ منهُ فقرأَهُ ما بين صَلاةِ الفجرِ وصلاةِ الظهرِ كُتِبَ له كأنّما قرأه منَ الليلِ } [٢٥]

حتى يداوم، هذا إن كان قراءة ، ولكن لو فاتته ليلة ؟ أي قيامها ! فليؤدها من وقت حل النافلة إلي صلاة الظهر، يؤدي فيها الصلاة لله ﷻ التي يداوم عليها ، حتى يكون من المديمين للعمل لله الذين يحبهم الله جل في علاه .

فلا بد للإنسان أن يكون له قيام من الليل ولا بد أن يكون له تلاوة لكتاب الله "فاقرؤا ما تيسر منه" فلا يغلق المصحف ليلة العيد ويتركه حتي يأتي رمضان القادم فليس هذا من صنع العبيد الذين يأملون في الرقي والعلو عند الحميد المجيد ﷻ فلا بد أن يكون له كل يوم تلاوة للقرآن والرسول ﷺ وضح هذا الموقف فقال:

{ مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمَائَةِ آيةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قامَ بِأَلْفِ آيةٍ كُتِبَ مِن المُقَنْطِرِينَ } [٢٦]

أي الذين تخرج حسناتهم بالقنطار إلي الله ﷻ ، ومعناه أن الواحد لا تقل قراءته في اليوم والليلة عن مائة آية، . . ومائة آية كم تستغرق في القراءة ؟ لا تزيد عن عشر دقائق ! لكن المهم أن تكتحل العين بكتاب الله . . . وأن تفتح الآذان بسماع كلام الله . . وأن تحرك اللسان بالنطق بكلام الله . . فهذا تحصين لهذه الأعضاء من كل داء في هذه الحياة . . . ! ! ! !

---

٢٥ عن عُمَر بن الخطاب، سنن الترمذي وصحيح مسلم

٢٦ سنن أبي داوود وصحيح ابن خزيمة وغيرها عنْ عَبْدِ الله بن عَمْرِو بن العَاصِ

وكان أصحاب رسول الله ﷺ أي يوم يصبحون ولا يطالعون في كتاب، أو لا ينظر أحدهم في كتاب الله . . يظل مكتئباً طوال هذا اليوم ! ! لماذا ؟ لأنه لم يستفتح بكتاب ربه ﷻ . . . .

فلا بد أن يكون لك ورد قرآني دائم .



وأيضاً لا بد أن يكون لك ورد من الاستغفار لقول الحبيب ﷺ :

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، كُلَّ يَوْمٍ، مِئَةَ مَرَّةٍ". فَقُلْتَ لَهُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ، اثْنَتَانِ أَمْ وَاحِدَةٌ؟ فَقَالَ: هُوَ ذَاكَ، أَوْ نَحْوَ هَذَا } [٢٧]

فعلى الإنسان ألا يقل عن مائة في اليوم والليلة .

ولا بد للإنسان أن يدفع ما عليه من تكاليف الشفاعة وأقلها كما قال قرة عيني عليه أفضل السلام وأتم التسليمات في قوله ﷺ :

{ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْراً وَحِينَ يُمْسِي عَشْراً، أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [٢٨]

وبعد ذلك نقول كما قال ﷺ للرجل الذى قال له أن شرائع الإسلام قد كثرت عليه وطلب منه أن يخبره ﷺ بشيء يتشبث به، أي فيه جماع الخير:

{ فأَخبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قالَ: لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ الله } [٢٩]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

٢٧ أخرجه أحمد ، المسند الجامع، والكثير من كتب السنة بروايات وأسانيد.

٢٨ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه الطبراني ، الترغيب والترهيب، وغيرها كثير

٢٩ عَن عَبْدِ الله بنِ بُسْرٍ رضي الله عنه، سنن الترمذي

الأخوّة في الله نبعٌ للفتح العرفاني [٣٠]



أخوان القراء الكرام . . نحن كلنا أخوة ،وأبونا جميعاً سيدنا رسول الله الأعظم ﷺ ، فكلنا مشمولين برعايته، منظورين بعين عنايته، وإذا كان سيدنا رسول الله ﷺ قد خَصَّ رجلاً مثلي بالبيان، فقد قيل "البيان خصوصية والخصوصية لا تقتضي الأفضلية"، فالعطاء المحمّدي مقسمٌ علي الجميع، وكل واحد منا له قسط من ميراث رسول الله ﷺ، بعضنا أخذ قسطاً من علمه، وبعضنا أخذ قسطاً من نوره، وبعضنا أخذ قسطاً من خلقه، وبعضنا أخذ قسطاً من تفضلاته، وبعضنا أخذ قسطاً من منحه وعطاءاته .

وربما يكون معنا العطاء، ويتلعلع في قلبك النور والبهاء . . وأنت لا تدري ! لأن هذا خير لك، لأنك لو دريت ربما أصابك الغرور ،أو الإعجاب بالنفس، فالمستور ستره الله ﷻ حتى يحفظ لك هذا السر المستور .

لكنّا كلّنا والحمد لله لنا نصيب في ميراث رسول الله ﷺ، ومن أعظم ما ورثنا من الحبيب ، والذى هو باب قريب للفتح من المعطى المجيب ، هو ما أمرنا به ﷺ أن نعين بعضنا علي طاعة الله، وأن ننصح بعض عند مخالفة الله أو عصيان رسوله، فليس منّا من رأي أخاه علي معصية ولم ينبهه، لأن هذا مخالف لشروط الأخوة ، فمن شروط الأخوة أن ننبّه الغافل، وأن نوقظ الساهي، وأن نأخذ بيد المستقيم، لأننا إذا رأينا أخاً لنا علي معصية وتركناه، خدعناه، وسيأتي يوم القيامة ويأخذ بتلابيبنا أمام الله، ويقول كما قال ﷺ فى الحديث الشريف الذى يجب أن نتنبه إلى معناه ، ونعى كلماته وفحواه . . . اسمعوا يرحمكم الله :

{ يجيء الرجل يوم القيامة متعلقا بجاره، فيقول: يا ربٌّ هذا خانني،

---

[٣٠] المعادي – الخميس الموافق ٩ من شوال ١٤٢٩هـ ٩/١٠/٢٠٠٨م

فيقول: يا ربُّ وعزتك ما خنته في أهل ولا مال، فيقول صدق يا ربُّ، ولكنه رآني على معصية فلم ينهني عنها } [٣١]

أخ أو جار . . ولذلك كان السلف الصالح ﷺ أجمعون يقولون:

{ أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن ننصح كل مسلم ولو لم يطلب هو منا ذلك، فكيف إذا استنصحنا } [٣٢]



لكن النصيحة بالطريقة الصحيحة، فالنصيحة على الملأ فضيحة، والنصيحة بالطريقة الصحيحة أن أوجهه بلطف وبلين، وبطريقة لا تجرح مشاعره بين الحاضرين أو الآخرين، حتى لا يحس بأنه مخطئ تحت بصرهم فربما دفعه هذا للتنصل، فعليَّ ألا أشعره أنه غبن بين إخوانه ولكن أنصحه فيما بيني وبينه .

شروطها الأخوة الموصلة:

ومن شروط الأخوة أن يقوم الإنسان بحق إخوانه وقد ورد عنه ﷺ أنه:

{ دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سِوَاكَين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه، فقال له يا رسول الله كنت أحق بالمستقيم، فقال ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعةً من نهار إلا سئل عن صحبته هل أقام منها حقَّ الله أم أضاعه } [٣٣]

والساعة في حديث المصطفي يعني لحظة فلو صحبت أخاك لحظة فإنك

---

٣١ ورد فى طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب.

٣٢ لواقح الأنوار القدسية فى العهود المحمدية للشيخ عبد الوهاب الشعرانى، القسم الأول : المأمورات

٣٣ أخرجه ابن جرير في قوله تعالى ﴿والصاحب بالجنب﴾ (النساء)٣٦ عن رجل من الصحابة، الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني في كتابه (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) ، وقد ورد فى (الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث) للعامري أن القول المشهور(يسأل المرء عن صحبة ساعة) ليس بحديث ، والحديث ماورد بأعلاه.

ستسأل عن هذه الصحبة يوم القيامة، هل قمت بحقوق أخيك ؟ بأن تسلم عليه إذا لقيته، وأن تلقه بوجه طلق، وتسأل عنه إذا غاب، وتعوده إذا مرض، وتعينه إذا احتاج، وتهنئه إذا فرح، وتعزيه إذا أصيب، وأن تعينه علي عمل البر، ولا تنس نصحه، . . فهذه عجالة من حقوق الأخوة سيسألنا الله ﷻ عنها وأنتم تذكرون أن الله يوقف أحدنا بين يديه ويقول له كما أخبر ﷺ عن مواقف يوم القيامة:

{ يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنّ عَبْدِي فُلاَناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ. أَمَا عَلِمْتَ أَنّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟} [٣٤]

إذاً من الذي يطالب بهذه الحقوق ؟ الله ﷻ وليس أصحابها، فشروط الأخوة هي التي أوجبت علينا هذه الاجتماعات و اللقاءات، لنذكر بعضاً في الله، ونأخذ بأيدي إخواننا للنجاة، والناجي منا يأخذ بيد أخيه، وأكرمنا الله ﷻ بكرمه ووسعنا بفضله وأعلم في كتابه الكريم أننا سندخل الجنة معاً:

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (مريم)

كلنا مع بعض ،الناجي يأخذ بيد أخيه، حتى المقصر لن نتركه ! ! فقد وصف النبي ﷺ مشهداً لهذه الأخوة فقال:

{ إنّ أحد الأخوين في الله ﷻ إذا مات قبل صاحبه.وقيل له: ادخل الجنة سأل عن منزل أخيه، فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطي أخوه مثل منازله، قال: ولا يزال يسأل له من كذا وكذا، فيقال إنه لم يكن يعمل مثل عملك فيقول: إني كنت أعمل لي وله، قال: فيعطي جميع ما سأل له ويرفع أخوه إلى درجته معه } [٣٥]

---

٣٤ عَنْ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، صحيح مسلم
٣٥ قوت القلوب لأبي طالب المكى.

محاسن الأخوة

ومن محاسن هذه الأخوة العظمى الموصلة إلى فتح الله أنها تبلغنا درجات ومقامات لا ننالها بعمل ولا عبادات ولو أطال الله أعمارنا آلاف السنين، لماذا ؟

{ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ٣٦

معه في نفس الدرجة ونفس المنزلة وإن كان دونه في العمل إكراماً من الله لعباده المؤمنين، قال الحبيب الأعظم ﷺ :

{ ما تحاب اثنان في الله إلا رفع الله أقلهما مقاماً إلى مقام صاحبه وإن كان دونه في العمل إكراماً له }٣٧

وهذا هو السر . . الأخ مع أخيه في درجة واحدة وفي منزلة واحدة:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ (النساء)

كلهم في درجة واحدة ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ (٢٢-٢٣القيامة)، هذا ما جعل بلالاً عند احتضاره يقول لزوجته فرحا:

{ غدًا نَلْقَى الأَحِبَّةَ مُحَمّدًا وَحِزْبَهُ، قَالَ: تَقُولُ امْرَأَتُهُ : وَاوَيْلاهْ ! فَقَالَ: وَافَرَحَاهْ !}٣٨ ، وقالها عمار في صفين عند إلتقاء الأسنة وقبل استشهاده وكان آخر ما سمعوه منه : { الآنَ أَلْقَى الأَحِبَّةَ مُحَمّدًا وَحِزْبَهُ}٣٩

---

٣٦ الزُّهْدُ وَالرَّقَائِقُ لابْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ عَاصِمٍ
٣٧ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندى
٣٨ قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: لَمَّا احْتُضِرَ بلالٌ قَالَ (أعلاه)، سير أعلام النبلاء ، المحتضرين لإبن أبي الدنيا
٣٩ تفسير غريب القرآن ، والسراج المنير للشربيني والكثير من المصادر مع زيادات.

معية واحدة وهي معية الصالحين، سأل ﷺ عن الرجل:

{ يُحِبُّ الْقَوْمَ، وَلَمّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قال ﷺ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ }[٤٠]

وحتى لو جاء في وسطهم من دنسته المعاصي أو لطخته الذنوب أو امتلأ من رأسه إلى أخمص قدميه بالعيوب فقد قال في الحبيب المحبوب علام الغيوب

{ قَالَ: فَيَقُولُونَ (أي الملائكة): رَبِّ فِيهِمْ فُلاَنٌ. عَبْدٌ خَطَّاءٌ. إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ. هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ }[٤١]

فكل من يجالسهم لا يشقى أبداً، لا هنا ولا هناك! بسر هذه الأخوة التي أمرنا الله ﷻ أن نحرص ونحافظ عليها ونعتز بها، لأنها سر النجاة، ونيل المنازل العظمى فى هذه الحياة، ومع حبيب الله ومصطفاه يوم لقاء الله جل علا في علاه،

فالحمد لله الذي أكرمنا ونحن في آخر الزمان وجعل الحبيب ﷺ يصفنا ويشتاق إلينا ويحدث أصحابه عنا ويشوقهم للقائنا:

{ لَيْتَنِي أَرَىٰ إِخْوَانِي – ولم يقل أحبابي أو أتباعي ولكن رفعنا إلى درجة الأنبياء لأن إخوانه هم الأنبياء – وَرَدُوا عَلَيّ الْحَوْضَ فَأَسْتَقْبِلُهُمْ بِالآنِيَةِ فِيهَا الشّرَابُ، فَأَسْقِيهِمْ مِنْ حَوْضِي قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنّةَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانِي مَنْ آمَنَ بِي وَلَمَ يَرَنِي }[٤٢] وفى رواية أنس: { مَتَىٰ أَلْقَىٰ إِخْوَانِي؟ ... أَنَا إِلَيْهِمْ بِالأَشْوَاقِ }[٤٣] وقال ﷺ: { إِنّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَناً كَقِطَعِ اللّيْلِ الْمُظْلِمِ لِلْمُتَمَسّكِ فِيها بِمِثْلِ الّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ، قيل: بل منهم يا رسول الله، قال: لاَ بَلْ

---

٤٠ عَنْ أَبِي وَائِلً ، عَنْ أَبِي مُوسَى أخرجه أحمد، المسند الجامع
٤١ صحيح مسلم عن أبِى هريرة ﷺ ، وورد فى مصادر كثيرة.
٤٢ أَبو نعيم عن ابن عمرَ رضيَ اللّهُ عنهُمَا، جامع المسانيد والمراسيل
٤٣ (خ) وأَبو الشّيخ عن أَنسٍ رضَي اللّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

مِنْكُمْ لأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الخَيْرِ أَعْوَاناً وَلاَ يَجِدُونَ عَلَيْهِ أَعْوَاناً}.[٤٤]

زمان كله ظلمات، القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر، ولذلك قال في الحديث الآخر صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ }[٤٥]



لأنك في زمن شديد !! فيا بشراكم، وقد قال الإمام أبو العزائم ﷺ ليعلن أننا المعنيين بهذه البشارة وبهذا الشوق:

بشري لنا اشتاق الحبيب لذاتنا ... وتمني يرآنا بقول صراح

سيدنا رسول الله يتمني يرانا، ما هذه المنزلة العظيمة التي نحن فيها ولا نلقى إليها بالاً؟! نحن في منزلة عظيمة! ولكن شغلتنا الدنيا !وأنستنا هذه المنزلة، فنحن مثل طفل صغير ابن للملك وهو ولي لعهده، وهو لا يدري! !لأنه صغير السن، ولا يعقل هذه المنزلة، فمن حوله يعظمونه ويكرمونه وهو ليس هنا !!.

وكذلك نحن . . فالسموات والأراضين ومن فيهن . . وما عليهن . . والملائكة الكرام والكروبيين وأهل عالين وأهل عليين . . وكل ملكوت الله الروحانيين . . يعظمونك لما في قلبك من نور هذا النبي الأمين !! وأنت لا تدري !!، أغلب المسلمين لا يلقى بالاً لهذه القضية إلا عندما يقال له:

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾(ق)

أأنا كنت في هذه المنزلة ولا أدري !!ما هذه المنزلة العظيمة؟، والله حتى الصبيان فى المدينة كانو يعلمون هذه المكانة، أنظر إلى غلام من الموالى لعب مع أترابه من قريش أصحاب الحسب وكل يقول من أبوه؟ فجاء دوره فقال:

---

٤٤ أبو داوود والتروذى وابن ماجه عن أبي ثعلبه

٤٥ الترغيب والترهيب، رواه البيهقي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ورواه الطبراني عن أبي هريرة بإسناد بلفظة: «فَلَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ».

{ أنا ابن من سجدت له الملائكة!، فقالوا الصبية: من هو؟ فقال: آدم }[٤٦]

هذه المكانة ! . . سألوا فيها سيدنا سلمان الفارسي ﷺ يقولون له:

{ ابنُ مَن أنتَ؟ يقول: أنا سلمانُ ابن الإسلام من بني آدمَ }[٤٧]

جلس مرة مع قوم يتحدثون عن نسبهم الحسي الطيني ونسوا وتناسوا، أي نسب طيني مهما علا نهايته آدم أن كلكم لآدم وآدم من تراب، فقال ﷺ:

أبـي الإسلامُ لا أبَ لِي سِوَاهُ إذا افتخَرُوا بقيسٍ أو تَمِيم[٤٨]

أنا فخري كله بالإسلام، لأنه هو الذي جعل لي منزلة لا تباري ولا تداني، ألا تدري أن الملائكة مسخرة لك:

﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ ثم نحن جندكم وطوع أمركم ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (فصلت)

فجندك الملائكة، ما خلق الله ﷻ الأرض وما عليها وما في بطنها ولا السموات وما فيها إلا لك، يقول الله تعالى فيما أوحى إلى نبيه داوود: . . ياداود

{ ياداود، أنظر ! لا أفوتك أنا فيفوتك كل شيء، فإني خلقت محمداً ﷺ لأجلي، وخلقت آدم عليه السلام لأجله، وخلقت عبادي المؤمنين لعبادتي، وخلقت الأشياء لأجل ابن آدم، فإذا اشتغل بما خلقته من أجله، حجبته عما خلقته من أجلي}[٤٩]

---

٤٦ الأذكياء لأبي الفرج بن الجوزى.
٤٧ الجوهرة في نسب الرسول للتنوخى.
٤٨ روح البيان لإسماعيل البرسوسى.
٤٩ تفسير التسترى لإبن التسترى الكاتب.

من الذي يحتاج الشمس والقمر والنجوم والبحار والأنهار والمزروعات والحيوانات والطيور والأسماك، من الذي يحتاج ذلك؟ أنت:

﴿ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ (الجاثية)



كله مسخر لك حتى الجنة لم خلقها الله؟ .. لينعمك فيها وليكرمك فيها دار نعيم لك ودار تكريم لك، هل تحتاجها الملائكة؟

إنهم فيها خدام !!، هل يحتاجها من خلقها؟ حاشا لله! فخلقها الله لك لتتنعم فيها وتكرم فيها، وتجاور الحبيب المختار والنبيين والصديقين والأخيار والصالحين فيها ..!، خلق الله لك كل شيء .. وسخر لك كل شيء

ليعلمك أنك لك شأن عند الله ربما تجهله بغفلتك، ربما تنساه بسهوك وضلالتك فأرسل الله النبي المختار ليبصرك بهذه الحقيقة والعارفون ليوقفوك علي هذه الطريقة لتعلم أنك أنت وحدك المعني بهذه الأكوان في نظر الرحمن ﷻ !

من المدلل في الأكوان كلها؟ .. الإنسان ..!!

والإنسان المؤمن جعل الله ﷻ الأكوان كلها تحت قدميه لأنه يقف في مقعد صدق عند مليك مقتدر وتحت قدميه الأكوان كلها عاليها ودانيها، فالحمد لله يا أحباب أكرمنا الله بهذه النسبة وأعلا شأننا بهذا الإنتساب إلي رسول الله، النسبة النورانية التي من أجلها جمعنا الله لنحاول أن نقوي هذه الروابط الروحانية ونعلو بما فينا من مواهب نورانية علي الشهوات الجسمانية وعلي الأهواء النفسانية حتي ننال المنازل العلية.

نسأل الله ﷻ أن يعيننا علي أنفسنا وأن يقوينا علي جهادها وأن يتفضل علينا فيعلي شأننا عنده ويرفع قدرنا لدنه ويجعلنا دائماً وأبداً منظورين بعين عنايته ملحوظين بعين رعايته، وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

الفصل الثالث

أطوارُ الإنسان الظاهرةُ والباطنة [1]



- الرِّجَالُ فِي الْقُرْآنِ
- الطَّور الأول
- الرُّجُوعُ إلى الله
- جهادُ النفسِ على نهج السَّابقين
- الشيخُ أعْدَى أعْداءِ النفس
- قِسْ نفْسَكَ
- وَرَثَةُ النَّبيين

---

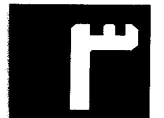
١ المعادي الخميس الموافق ١٥ من ذى القعدة ١٤٢٩هـ ١٣/١١/٢٠٠٨م



- مقام الصِّبَا في القرآن
- طوبى لمن شغله عيبه
- الفتوة في القرآن
- خطاب الحقائق
- رجالٌ على الأعراف
- رجال الدعوة
- رجال الطهارة
- رجال الصدق
- رجالٌ أفردهم الله لذاته
- الرجل

بسم الله الرحمن الرحيم

الرجال في القرآن



عندما يتحدث القرآن عن أوصاف الرجال الذين ذكرهم الله في صريح الفرقان، فإن القرآن وبيان النبي العدنان- دائماً وأبداً - وهذا مفتاح لكم، يتحدثون عن معاني علية وحقائق ربانية، وليس عن أجسام صورية ولا عن حقائق دنية، لأن كلام الله ﷻ يخاطب القلوب والأرواح . بمعانٍ، أبرز ملامحها الكريم الفتاح ﷻ ويا هناءة من فقه الخطاب ! !

فعندما يتكلم الله ﷻ عن الرجال، يتكلم عن مقامات وترقيات ودرجات وعنايات، وصل إليها السالكون بصدق وإخلاص، فخلع الله ﷻ عليهم هذه المقامات، هذا غير الكلام بالنسبة للظاهر والمظاهر، وإن كان هناك علاقة رمزية، ولكنها خفية، لا تظهر إلا لأهل النفوس التقية الزكية.

كيف ذلك . . نبين فنقول أن المتعارف عليه عندنا أن الرجل هو الذي تجاوز سن البلوغ، وأصبح له هيئة مخصوصة في شكل الجسم وطوله وملامح وجهه، وبعض ما يخصه به الله وتظهر في جسمه، فالرجل طويل القامة عريض المنكبين، في وجهه شعيرات في وجنتيه، ويتميز صوته بشيء من علامات الفحولة والرجولة، هذا هو الرجل باختصار شديد . . . في معناه الظاهر.

الطور الأول

ولكن . . عندما يتحدث الله ﷻ عن الرجال في القرآن، لا يقصد هذا المعنى إطلاقاً، وإنما يقصد معاني عالية ومقامات راقية وإشارات سامية ! !

فإن الإنسان كما قال فيه الله عز وجل في القرآن:

﴿ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾(نوح)

جعل للإنسان أطواراً يمر بها منذ تكوينه قبل القبل إلي يوم الدين، وفي الدنيا جعل الله عز أطواراً لجسمه، لم يكن شيئاً مذكوراً، ثم خلقه إنساناً وجعله يمر بالمراحل التي بينها في القرآن، طفل صغير، ثم صبي، ثم يافع، ثم فتي، ثم شاب، ثم رجل، ثم شيخ، ثم كهل . . فهذه مراحل يمر بها الإنسان في أطوار بنيانه ولكل طور علاماته . . وبالطبع ليس هذا موضوعنا .

وكذلك جعل الله عز وجل لكل إنسان في سيره وسلوكه إلي ربه ومولاه أطواراً . . هذه الأطوار تختلف مع اختلاف المعانى . . ومع اختلاف الأدوار بحسب ما بيَّن الله، ووضح النبي المختار ﷺ .

فالإنسان حتى يبدأ سيره مع الله لا بد أن يرجع إلي مقام البداية:

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ ﴾ (الإنسان)

لا بد أن يرجع إلي الطور الأول، وأنه لم يكن شيئاً مع حضرة الأول عز وجل .

كيف يتم له ذلك؟ . . . ينسب ما لله لله ،ويخرج بعد ذلك فيجد نفسه في حضرة الله . . ليس له طول ولا حول ولا قوة ولا أمر ،وإنما هو كريشة ملقاة في فلاة ،والذي يحركها هو حضرة الله جل في علاه .

فبدون أن يرجع إلي هذه البداية؛ إذاً ما زالت النفس باقية ومتيقظة، ولذلك يري لنفسه فعلاً ! ويري لنفسه كياناً ! ويري لنفسه في الكون جاهاً ! ويري لنفسه حقوقاً ! ويري للناس عليهم واجبات ! يجب أن يقوموا بها . . .

بل ربما يتغالي فيظن أن الله ﷻ عليه حقوقاً يجب أن يتم أمره بفعلها، لأنه يري لنفسه شيئاً، والإنسان إذا تخلت عنه قدرة الرحمن ماذا فيه؟ وماذا بقي له؟! اذا أخذ الله ﷻ منك بضاعته ماذا بقي لك؟! لو أخذ الله من الإنسان ما يخص حضرة الرحمن ماذا بقي للإنسان؟! تراب!، طين!، ماء مهين!، وإن كان كل ذلك نعم من رب العالمين هو الذي خلقها و أبدعها وأحكمها:

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ (٦٤غافر)

الرجوع إلى الله

٣

ولذلك فإن، بداية سيرهم بداية السير اليقيني لأهل اليقين لله ﷻ .. هي في قول إمامنا ومرشدنا الإمام أبوالعزائم ﷺ:

كن كما كنت طيناً أو منياً   أو طفيلاً في أول الأدوار

فارجع إلي هذه الحقيقة، وإذا لم تستطع أن ترجع إلي هذه الحقيقة؟؟ إذاً ما زال أمامك جهاد كبير! حتي تبدأ الرجوع إلي العلي الكبير ﷻ.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ (العلق)

لا بد من الرجوع إلي الله ﷻ .

لأن الله تنزه فلا يحب لذاته ولا مع ذاته شريكاً، هو عليم لا يحب أن يظهر عبده بأنه عالم، وإنما يحب أن يري عبده دائماً وأبداً أمام حضرته جهولاً يطلب من الله ﷻ التعليم .. يعلمه العليم ﷻ .

وهو ﷻ عليّ لا يحب من عبد أن يتعالي علي أي شيء، ولو صغير في هذا الكون الدنيّ، بل ينظر إلي حقيقته هو ذاته! ويري أن كل ما فيه .. فإنما هو

فضل الله، وكرم الله، ومنن الله وعطاءات الله . . تفضّل بها عليه الله، وإلا لو كان عنده شيء ! ! لكان غنياً ! ! والله ﷻ يطلب الذين يريدون رحابه أن يرتدون جلباب الفقر (١٥ فاطر) :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾

فمن يري معه حالاً لا يجمله الله بحال، ومن يري معه علماً لا يتفضل الله عليه بعلم من لدنه، ومن يري معه قوة لا يتفضل الله ﷻ عليه بقواه الظاهرة أو الخفية، فلا بد من العجز، ولذلك أهل الولاية هم أهل العجز فلا يرون لأنفسهم حقيقة ولا حولاً ولا طولاً ولا أمراً:

قد أكرم الله أهل العجز علّمهم أسرار توحيده بالحال والقال

وأنا أتكلم هنا عن طلاب اليقين، الذين يريدون أن يسافروا إلي رب العالمين، ليصلوا إلي مقام علم اليقين . . ! أو عين اليقين . . ! أو حق اليقين . . !، أما طلاب دار السلام فهذا أمر لا نتحدث عنه الآن .

مَن نتحدث عنهم مرادهم السلام لا دار السلام، مرادهم الكريم وليس بيت التكريم، مرادهم المتفضل وليس الفضل الذي يغدقه علي عباده المقبلين والعابدين والزاهدين، . . . مرادهم الله . . . ! !وهؤلاء يقول فيهم الإمام أبو العزائم ﷺ:

"من كان الله مراده كان مقعد صدق وراء ظهره"

هؤلاء الرجال . . جعل الله ﷻ لهم مقامات في عالم الحقيقة يترقون فيها، فبدايته ابتداءً من حقيقة توبته !، إذا تحقق أن الله ﷻ تاب عليه، فذلك تاريخ ميلاده، وبدء سيره وسلوكه إلي ربه ﷻ ! !

لذلك قيل لرجل منهم كم عمرك؟ قال: أما في عالم الخلق فخمسون عاماً، وأما عند الله ﷻ فعامين!، قيل: كيف ذلك؟ قال لأني بدأت سيري وسلوكي مع الله منذ عامين فقط فليس لي إلا عامين مع الله جل في علاه.

فإذا تخلَّى تحلَّى، حلاه الله ﷻ بجماله، وكمله بكماله، وخلقه بأخلاق اهل وصاله، وجمله بنعوت المقبلين عليه في قرآنه وفي صحيح كلامه، فيبدأ مع الله ﷻ طفلاً!! والطفل لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا فعلاً ولا تركاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

وتلك هى يا إخوانى حقيقة الولي الصالح مع ربه، يرى أن الله ﷻ هو الذي يحتضنه بعنايته، ويغذيه بنعمائه، ويربيه آنة بنعمائه، وطوراً ببلاءه!! لأن البلاء مع الصالحين ربابة عظيمة..، طوراً بهذا.. وطوراً بذاك:

﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾(٣٥الأنبياء)

جهاد النفس على نهج السابقين

فيكل الأمور كلها علي الله، ويعتمد علي مولاه، ويستمد من الله كل حوله وطوله، لأن الإنسان في الحقيقة لا يستطيع أن يجاهد أي حقيقة في داخله إلا إذا منَّ عليه مولاه بعونه وبتوفيقه ولاه.

مَن الذي يستطيع منا لو تُرك لنفسه وتخلّي عنه ربه أن يجاهد نفسه؟

﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾(٥٣يوسف)

ومن الذي يستطيع أن يجاهد نفسه بنفسه؟ من الذي يستطيع أن يتحصن من الشيطان إذا تخلت عنه عناية الرحمن؟ لا أحد!! مهما كان قربه عند الواحد

الأحد !!، ولذلك رأينا من بلغ أعلي المقامات .. وفي لحظة تخلت عنه عناية الله فنزل إلى أحط الدركات .....

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾(١٧٥الأعراف)



أصبح الشيطان هو التابع له !!! وليس هو التابع للشيطان.

إذاً لا يستطيع الإنسان أن يجاهد أي حقيقة من الحقائق، إلا إذا قوّاه الله، وأعانه الله وبلغه بفضله وطوْله وحَوْله وقوته مناه ...

مَن الذي يستطيع أن يمحو من القلب صور الأكوان، ويجعله مرآة صافية صالحة لتجَلي حضرة الرحمن؟ وأي عبادات يستطيع أن يفعل بها ذلك؟ وأي الأعمال حتى من كتاب الله ومن سنة رسول الله يتم له بها ذلك؟ ولذلك الإمام أبوالعزائم ﷺ وأرضاه فسر لنا هذه الحقيقة فقال عن نفسه:

طبائع نفسي عنادية   جهادي لها فوق قدر البطل

وأمارتي سارعت للجفا   أغثني واشف جميع العلل

إذا سارعت للجفا من الذي يستطيع أن يجاهد، مع علم اليقين أن الله ﷻ لو نظر إليك نظر سخط أو غضب وأنت علي أي حال دخلت في قول الله ﷻ:

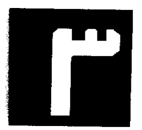
﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٤٤القلم)

ولو كنت علي أعظم الأخطاء، ونظر إليك الله نظر الرضا، ونظر إليك بعين رحمته ووداده، طهّرك من الخطايا، وجعلك من عباده الصالحين المجتبين، فبعد أن وصف هذه النفس.. وقام بالجهاد .. استغاث ﷺ برب العباد وقال:

مولا إني عاجز عن كبحها هب لي اعتصاماً بالشرع منك الأمين

هذا الكلام . . . بعدما جاهد .

أخي . . وحبيبي . . وصفيّ . . . وخلّي . . ووفيّ . . اعلم علم اليقين أنك لن تذوق قطرة من رحيق الصالحين ! إلا بعد الجهاد حق الجهاد علي منهج السابقين ! كما أنبأ رب العالمين ﷻ . . ، ومن منّي نفسه بأن ينال شيئاً من رائحة الوصول بدون الجهاد ، فهذا من رعونة نفسه ! ! ، وهذه دعوة تحتاج إلي بينة ! ! ، كيف ينال فضل الله بدون جهاد ؟ مع قول الله:



﴿ وَجَـٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾(٧٨الحج)

وفي الجهاد تضحك النفس علي كثير من الأفراد ، وتبين له ميادين للجهاد يظن أنه وصل إلي كمال الجهاد ، وهو بعيد بالكلية عن المنهج الذي حدده الله ﷻ لتصفية القلب والسر وإنارة الفؤاد ، . . بعيد عن المنهج المطلوب ! ! !

وهذا المنهج لا يُتلقي إلا من وارث رباني ، ولا يستطيع أي صفيّ أن يصل إلي ذلك بمفرده ، ولو استقام علي طاعة الملائكة المقربين بدون مرشد يرشده ، ويوجهه ، ويأخذ بيده حتى يدخله علي سيد الأولين والآخرين ﷺ .

أكثر المريدين وقع في رعونة النفس ، وأكثرهم استمرئ ما توسوس به نفسه إليه ! ، وظن أنه بذلك بلغ الغاية ، أو سيبلغ درجات القرب والنهاية ، ولكن هذا سيأتي عليه يوم ويندم ! ! عندما يقال له:

﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴾ (٢٢ق)

فيرى نفسه بعيداً . . لأنه أبعد نفسه عن طريق المقربين ، ولم يجعل نفسه تحت ولاية الصالحين ، بل أصر علي أن يجعل نفسه هو المهيمن علي نفسه ، وهو الولي عليها

وهو الذي يعطيها الأوامر، وهو الذي يلهمها ، ويتولى رعايتها ! ! وهذا لا يكون لأن هذا منهج ليس في السابقين، ولا اللاحقين، وإنما هو منهج الرعونة والدعاوي من البعيدين في كل وقت وحين . . . لا تتم ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ لعبد . . إلا إذا ملك نفسه لعارف رباني . . وعمل بقول الله عَزَّ وَجَلَّ (٦٥النساء):

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾

٣

الشيخ أعدى أعداء النفس

وهذا ما لا ترضاه النفس إلا إذا لحقتها العناية، ولذلك قال بعضهم رضي الله عنهم:

"لو قيل للنفس ما أعدي عدو لك؟ ولو ملكك الله السلطة! قتلتيه؟ لقالت الشيخ المرشد"

لأنها لا تريد أحداً يأمرها . . ولا أحداً يعدل سلوكياتها . . ولا يعدل أحوالها فهي تريد أن تمشي علي هواها، ولذلك فالنفس دائماً في حلف مع الهوي:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ (النازعات)

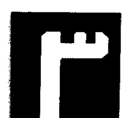
فالهوي والنفس لا يريدون مرشداً ولا شيخاً عارفاً !، بل يريد الإثنان دوماً أن يكونا معاً يكيفوا الكيفية ! ويُسيروا الإنسان كما يريدون في حياته الدنيوية ! ويوهمونه أنه شيخ كبير ! وأنه صاحب مقام خطير ! !

ولو كشف الله عَزَّ وَجَلَّ عن باصرته لرأي نفسه أنه في بعد كبير ! ! حتى

عن أصغر صغير في طريق الله ﷻ . . لماذا ؟ . . لأن أصغر صغير ملّك نفسه للمرشد أو أسلمها له، والمرشد ملّك نفسه لرسول الله، ورسول الله ملّك نفسه لله . . ، فجميع أهل هذه الدائرة في حيطة الله جل في علاه، وفيه ورد في الأثر:

{ المؤمن في يمين الرحمن، كلما وقع أقامه }

لأنه مع الله ﷻ دائماً، فيسلم نفسه لرجل من الصالحين وبدون ذلك لا تتم التزكية ولا تحدث التصفية ولا يكون له نصيب من اليقين إن كان من علوم اليقين أو من عين اليقين أو من حق اليقين.



قِسْ نفسك

والسالك لو قاس نفسه بأحوال السابقين الصالحين؟ استراح وأراح! . .

كيف؟ يقول لنفسه ماذا معك من الإلهام؟ وماذا حصّلت من المراتب الشهودية؟ وماذا معك من التجليات الربانية؟ وماذا معك من الأنوار الخفية؟ وماذا معك من الأسرار القدسية؟ وماذا معك من الأحوال الربانية؟ كيف تتم الصلة بينك وبين الحضرة المحمدية؟ ما هو الخط الذي بينك وبين رسول الله؟ خط قلبي! أم خط فؤادي! أم خط روحي! أم خط سري؟ أتراه مناماً؟ أم تراه يقظة؟ أم تراه يقظة ومناماً؟ هل يسقيك أم يغذيك أم يواليك؟ ماذا معك من هذه الأحوال؟ ماذا بينك وبين العوالم العلوية؟

كم من قياس لو أراد القياس!!

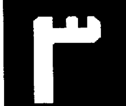
إذا كنت من أهل المجانسة؟ فلا بد أن يحدث بينك وبينهم مؤانسة!، هل يتنزلون لك؟ ويزورونك؟ ويكلمونك؟ ويشافهونك؟؟

أم تصعد روحك وأنت معنا إليهم؟ وتراهم في أماكنهم؟

وتحادثهم وتجالسهم وتكتسب الحكمة والعلوم الوهبية الإلهامية منهم ؟

فإذا لم يكن معك شيء من ذلك فأين أنت ممن وسمت نفسك أنك من جملتهم ؟ بل جعلت نفسك من أئمتهم ؟ وتريد أن تربى سالكين ؟ وأن يكون لك مريدين ؟ وأن تأمرهم ! وأن تزهو عليهم ! وأن يلتفوا حولك ! !

تلكم هي النفس !وهي سبب كل هذا اللبس !، ولا يستطيع شيخ مهما كان قدره عند الله . . أن يخلص المريد من هذه الورطة ! ! إلا إذا كانت عند المريد النية الصادقة . . وألقى بنفسه بين يديه . . وتوجه بالكلية إليه ! وكل ما طلبه منه سارع في فعله، ولا يكون خصماً له مع نفسه عليه .



الجهاد الأعظم

فقد قال الصالحون رضي الله عنهم:

{ أول علامة من علامات تزكية النفس أن يغير المرء صفاتها إلي الأفضل والأكمل }

وهذا هو الجهاد الأعظم .

فإذا رأي نفسه قد تغيرت أخلاقها، بأن كان عجولاً فصار من أهل الحلم والأناة، وكان جهولاً فصار من أهل العلم، وكان صاحب هلع وجزع وفزع عند المصيبة ! فأصبح صاحب سكينة وطمأنينة عند أي مدلهمة، فليعلم علم اليقين أنه بدأ السلوك الصادق الموصل إلي طريق رب العالمين .

طريق الرجال هكذا، جعل الله ﷻ مثلاً في الإنسان لما يفعله في سيره وسلوكه إلي حضرة الرحمن، فجعل في الإنسان أشياء ظاهرة وطلب منه أن يهذبها ففيه شَعرٌ وطلب الله منه أن يهذب هذا الشعر، وله أظافرٌ وطلب الله منه أن

يقلم هذه الأظافر، فمن هذه الأشياء الت مثلها الله لنسان فى نفسه منها ما تراه العين، ومنها ما يستتر بالثياب عنها كالشعر المخفي الذي هو في جسد الإنسان.

كذلك جعل الله ﷻ في الإنسان صفات أوجدها فيه، وطلب منه أن يجاهدها ليلحق بمراتب الصالحين التي أشار الله إليها في قرآنه في قوله:

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (٩٥النساء)

٣

فخُلق الإنسان كما قال عز شأنه:

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ (الأنبياء ٣٧)

فيه صفة العجلة طبيعة وفطرة في الإنسان وقال له:

﴿سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ (الأنبياء)

إذاً جهادك الأعظم كيف تتخلص من العجلة وتتخلق بالأناه ؟

وعندما جاء وفد قيس إلي رسول الله ﷺ ووصلوا إلي المدينة فأسرعوا إلي الدخول إلا رجل منهم واسمه الأشج قال لن أسرع معكم إنى معى ثوبين جديدين جهزتهما لهذا اليوم لألقي بهما رسول الله، ولا أدخل علي رسول الله ﷺ إلا بعد أن أغتسل لأزيل أثر السفر وأضع العطر وألبس الثوبين الجديدين، فذهبوا هم للقاء النبى ﷺ، وأما الأشج فقد بدأ فعقل راحلته واطمأن على رواحل ومتاع إخوانه،مع أنه كان سيداً فيهم، ثم عمد فاغتسل وتعطر ولبس الثوبين الجديدين ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال له المصطفى من مسمع من كل من حضر:

{ يَا أَشَجُّ، إِنّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ ﷻ وَرَسُولُهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ }[٢]
وورد { ثُمّ أَقْبَلَ إِلَى النّبِيُّ ﷺ وَقَدْ بَسَطَ النّبِيُّ ﷺ رِجْلَهُ وَاتّكَأَ فَلَمّا دَنَا مِنْهُ الأَشَجُّ أَوْسَعَ الْقَوْمُ لَهُ وَقَالُوا هَا هُنَا يَا أَشَجُّ. فَقَالَ النّبِيُّ ﷺ وَاسْتَوَى قَاعِدًا وَقَبَضَ رِجْلَهُ هَا هُنَا يَا أَشَجُّ. فَقَعَدَ عَنْ يَمِينِ النّبِيّ ﷺ وَاسْتَوَى قَاعِداً فَرَحّبَ بِهِ وَأَلْطَفَهُ }[٣]{ وَ عَرَّفَ فَضْلَهُ عَلَيْهِم }[٤]

هذا نتيجة جهاد الجهاد للتخلق بعلى الأخلاق . . .

فالقوم قدموا في غاية الشوق للقاء الحبيب من سفر بعيد . فأسرعوا وتركوا رواحلهم ومتاعهم ، ولكن الأشج تروّى واعتنى بالرواحل فعقلها، ومتاع إخوانه فجمعه، واغتسل من أثر السفر والشوق الجارف يعصف به للقاء الحبيب ! ! ولكنه جاهد نفسه !وأعطى إخوانه المثل على كبح جماح النفس وترويضها على الحلم والصبر والأناة، فاستحق تقديم رسول الله له وتعريف المسلمين بشرف خلقه وعالي مزاياه التي يحبه الله ورسوله .

فهكذا التخلص من الفطر المهملة من العجلة والتسرع . .التي أوجدها الله فينا، التي خلق الله الإنسان عليها وكما قال في الإنسان في قرآنه:

﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾(الأحزاب)

وخذوا معنى آخر . . فطرة النفس الظلم، وطبيعتها الجهل بحقائق الأمور، وطلب من الإنسان أن يجاهد في ذلك:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾(٩٠النحل)

---

٢ المسند الجامع، عن الوازع بن عامر ، البخارى فى الأدب المفرد.
٣ المسند الجامع عن عباد أخرجه أحمد.
٤ تاريخ المدينة ابن شبة

أن يجاهد نفسه ليكون عادلاً وقال في ذلك في الحديث القدسي:

{ يَا عِبَادِي إِنِّي حَرّمْتُ الظّلْمَ عَلَى نَفْسِي. وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرّماً. فَلاَ تَظَالَمُوا } [٥]

فيجاهد الإنسان حتى تكون نفسه كالقسطاس المستقيم، يقول الحق ولو كان مراً ،ويقول الحق ولو علي نفسه، لا يجامل أحداً لقرابته أو لصداقته، أو لخدمة قدمها إليه ! أو لجميل صنعه معه . . . وإنما (٨الأنفال):



﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾

فيتحقق باسم الله الحق:

﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾(٤٤الكهف)

فيتجمل بولاية الله، لا يتجمل بولاية الله إلا من يتخلق بخلق الحق ولو كان مراً، انظر إلي عمر رضي الله عنه عندما رأي قاتل عكاشة بن محصن:

{ قتلت عُكّاشة لا يحبك قلبي أبداً قال: يا أمير المؤمنين فمعاشرة جميلة فإن الناس يتعاشرون على البغضاء }[٦]، وقال ابن أبي الحواري لأبي سليمان رضي الله عنه: **{ إن فلاناً لا يقع من قلبي،. فقال: ولا من قلبي، ولكنا لعلنا أُتِينَا من قِبَلِ أَنَّهُ ليس فينا خيرٌ فَلَسْنَا نحب الصالحين }** [٧]

هم رجال وصلوا إلي مقام يقيمون العدل ولو علي أنفسهم أو ذويهم، لا يهضمون أحداً حقاً لأنه أساء إليهم . . بفعل أو بكلمة، وإنما يرون النقص في

٥ عَنْ أَبِي ذَرَ، صحيح مسلم وغيرها كثير
٦ رواه أبو نُعَيم، في تاريخ دمشق ، وغيرها
٧ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي الفرج الأصفهاني.

أنفسهم قبل إخوانهم، ويتغاضون عما حدث لهم منهم:

﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾(٥٤المائدة)

وكيف يكون هذا الجهاد ؟

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾(٤الجمعة)

فيقومون بالعمل اللازم وبالجهاد الواجب ويبذلون غاية الجهد في التخلق، ومع ذلك لا يدعون أنهم أجادوا بشطارة ولا بمهارة وإنما يرون الأمر فضلاً من المتفضل ﷻ، لأنهم يخافون وجه الله .. ولا يطلبون غير رضاه.

٣

أنا أتحدث عن جهاد أهل اليقين، وأكرر: طلاب أهل النعيم ودار السلام والفردوس وعدن جهادهم في قيام الليل وصيام النهار وتلاوة القرآن والإكثار من الأذكار، وهذا شيء يسير.

أمرنا الله أن نعين بعضنا علي نفوسنا، لأن النفوس صعبة ولقسة، وتحتاج إلي جهاد شديد وعتيد، إذا رأيت نفسك تدافع عنك وتجادل ! وتحاول أن تلتمس لنفسك الأعذار عند شيخك ! فاعلم أن ذلك من لقسها وعدم صدقها في الجهاد إلي ربها ﷻ، لأنها لو صدقت في الجهاد كانت مع شيخك عليك ... لأن الشيخ لا يريد إلا نفعك ورفعتك وإعلاء شأنك عند الله ﷻ، ولذلك قالوا:

{ كن مع شيخك علي نفسك ولا تكن مع نفسك علي شيخك }

ماذا يريد هو منك ؟

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾(٨٨ هود)

ولنفرض أن الشيخ أو المرشد وجّه لي الخطاب أمام الجميع .. لإذا أسأل

نفسي لماذا فعل ذلك ؟ . . هل يئس من نصحي فيما بيني وبينه ! ! فأراد أن يقيم علي نفسي الحجة أمام الجميع ! ! لعلها ترعوي وترجع إلى الله مسرعة ! ! هو لا يقصد خزيّ . . ولا يقصد تجريحي . . لأنه لا يريد إلا وجه الله ﷻ ، فالمشايخ لا يريدون من المريدين إلا إصلاحهم ليكونوا من أهل المواجهة بين يدي رب العالمين ﷻ ، وهذه نواياهم . . وهذه طواياهم . . إذاً لا بد أن اخلصها من الظلومية .

حتى كان الحبيب ﷺ من شدة إقامته للعدل يعدل بين فكيه، فإذا أكل علي هذا الفك لقمة أكل علي الآخر لقمة أخرى من شدة عدالته ﷺ، هذه هى العدالة الإلهية المطلقة، ربما لا أستلطف أخاً لى ولا أجد في نفسي وقعاً لحديثه لكنه يجاهد في الله في أي ميدان عليَّ أن أشجعه، وأن أعينه، وأن أقويه في ميدانه ما دام يجاهد لله وفي الله ﷻ .

٣

آفة معظم المريدين أن كل مريد يريد أن يطبع أخوانه علي منهجه وعلي مسلكه ! وهذا لا يكون، وكل من لا يجاهد علي مسلكه وعلي منهجه يراه بعيداً ! ويري نفسه قريباً، وتلك مصيبة المصائب ! ! . وقد يراه علي غير النهج السوى، ولكن وسعة المرشد تقتضى التفاوت . . . ، فكيف نطبع منك عشرة آلاف طبعة ؟ ! ! كيف تريد أن نصنع منك عشرة آلاف رجل ! ! والمطلوب منك عند الله ﷻ ومن مسلكك رجل واحد ! ! ، لأن الله ﷻ جعل ورثة النبيين وورثة المرسلين بعدد النبيين والمرسلين .



ورثة النبيين

قال أبوذر أمامة رضي الله عنه، ومثله فى سؤال أبى ذر:

{ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ عِدَّةُ الأَنْبِيَاءِ ؟ قال: مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ

ألْفاً، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمّاً غَفِيراً } [٨]

كل ولي علي قدم نبي . . ، ولذلك في حياته ﷺ وفي زمانه لم يرتفع إلي الرفيق الأعلي إلا بعد أن استكمل هذا العدد . . ، فكان أصحابه الراقين مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً ، كل رجل علي قدم رسول أو نبي . . . ، فمنهم المحبين وهم الذين علي قدم النبيين . . . ومنهم المحبوبين الذين هم علي قدم المرسلين . . ولكل منهم طريقه في الفتح .

فالمريدين يبدأون بتصفية النفس . . ، فإذا انتهوا من تصفية النفس ؟ دخلوا علي القلب . . ، فإذا أصلحوا القلب ؟ رقاهم الله إلي عالم الروح . . ، فإذا ارتقوا إلي عالم الروح ؟ رقاهم الله إلي عالم السر . . ، ثم يكاشفهم بما لا نستطيع ذكره في هذا المكان .

أما ورثة النبيين فهم المُخلصين، وهؤلاء أفردهم الله لذاته، وأصلحهم الله لحضرته بلا كيفية نستطيع أن نقولها باللسان ! ولا علم نستطيع إذاعته في الأكوان ! لأن حالهم علي لا يستطيع إدراكه إلا الذين قال فيهم القرآن:

﴿ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة)

وظل الأمر علي هذا الحال إلي يومنا هذا . . وإلي يوم الدين . . ، ما من ولي إلا علي قدم رسول أو نبي .

فكيف إذاً تريد أن تطبع كل من حولك بسلوكك ! ولو كنت من الكمَّل !، هذا لا يكون . . لأن الله ﷻ له علامة في كل واحد ، فكما أن لكل رجل وجه فريد وصوت فريد وبصمات فريدة !فإن له عند الله ﷻ طريق فريد . . ومسلك حميد . . يوصله إلي الحميد المجيد ﷻ .

[٨] (حم حب طب ك) وابن مردويه (هق) في الأسماء، جامع المسانيد والمراسيل

مقام الصبا في القرآن

فإذا بدأ السالك وملّك نفسه لشيخ مالك، أدخله في مقام التربية . . إلي مقام التعليم فكان صبياً، مقامه في كتاب الله الكريم:

﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾(١٢مريم)

ما علامة الصبى في القرآن؟

٣

علامتان ذكرهم القرآن، العلامة الأولى أنه يأخذ نفسه بالعزائم ولا يأخذ نفسه بالرُخَص ﴿ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ أي بالعزائم، لا يميل إلي الرخص ولا يميل إلي المباحات، ولذلك قالوا:

{ إذا رأيت المريد يأخذ بالمباحات وبالرخص .. فاعلم أنه لا فائدة فيه في طريق الله ﷻ }

فعليه أن يبذل كل ما عنده، إلي أن يخففوا عنه مثل الحبيب ﷺ كان يقوم الليل كله علي قدم واحدة، وعندما وجد أقدامه تتعب من طول الوقوف كان يقف علي أطراف أصابعه حتى قال له ربه:

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾طه

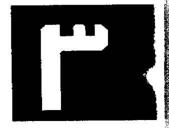
خفف الله عنه، فلا بد أن يأخذ بالعزائم، ولذلك علامات لمن له نصيب في هذه الإشراقات حددها العارفون في حكم كثيرة على ضوء هذه الآية:

{ من كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة }،و { من لم يكن له في بدايته قومة لم يكن له في نهايته جلسة }

فمن ليس له قومة في الأسحار ولا يريد أن يدخل في قول العزيز الغفار:

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ (الذاريات)

كيف يطمع في جلسة مع الحق بالأنوار والأسرار ومحيط العلوم والعنايات التي لا حد لها من العزيز الغفار عز وجل.



{ من لم يجعل خده للناس مَداس لم يكن له يد تُباس }

لا بد أن يتواضع ويتخلى عن الكبر لأن الله لا يحب المتكبرين:

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (١٤٦الأعراف)

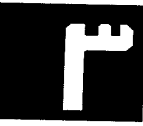
كل من عنده مثقال ذرة من كبر ليس له نقطة من علم الله وإلهامات الله التي خص بها أولياء الله، والكبر .. حتى لو جلس في جلسة فيقول أنا أفضلهم وأنا أعلمهم ويجب عليهم أن يوقروني ويعظموني .. فهذا كبر!، لكن لا يزال الولي في طريقه في الصفاء والنقاء .. حتى يظن أنه أقل الناس شأناً، وأن كل من في الكون أعظم منه عند الله، وأكثر منه قرباً إلى حضرة الله جل في علاه، و من لم يرى غير ذلك نخشى عليه من المعاطب والمهالك، سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه يقول في ذلك:

{ أخذ الله عز وجل عليَّ العهد أربعين مرة أنه لن يمكر بي، ومع ذلك فأنا لا آمن مكر الله عز وجل لأني لا أحيط بعلمه الذي ليس له نهاية ولا حد}

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (٢٥٥البقرة)

من الذي يحيط بعلم خفى المكر !وعلم الإستدراج ! وعلم الصد والهجران والبعاد ؟ أين العلوم التي معنا من علوم القوم ؟ . .علوم قراءة، وهل علوم القراءة توصل ؟ ! ويقول الإمام أبوالحسن الشاذلى ﷺ:

{قيل لى يا على لقد آمنتك من مكرى، ومع ذلك فأنا لا آمن مكر الله لأني لا أحيط بعلم مكر الله جل في علاه، فكلهم كان يقول: كل الناس أفضل منك يا فلان (علي نفسه) }



ولذلك يقول الإمام ابوالعزائم ﷺ:

ألا من يكن في قلبه بعض ذرة من الكبر والأحقاد ما هو ذائق

فلابد أن يتطهر من الكبر نهائياً، وقال في ذلك الشيخ أبوالعباس المرسى:

{ هل رأيتم المطر يقف على رؤوس الجبال أم في الأودية؟ قالوا: في الأودية، قال: كذلك العلوم الإلهية لا تقف إلا علي القلوب المتواضعة لله ﷻ }

ليس معك علم يقين لأن فيك شيء من الكبر ،ولا تعلم به ولا تُسَلّم للطبيب الخبير الرباني ليطهرك منه ،بل ترى نفسك على الصواب . . وآفة هؤلاء وآفة كثير من المريدين أنه يريد أن ينافس أو يقيس نفسه بأحوال الرجال في نهايتهم ولا يقيس نفسه بهم فى بدايتهم ! !

كثير من المريدين يهلك في ذلك، فيريد أن يكون له مريدين كما للشيخ، ويعمل كتباً مثل الشيخ ! ويكون خطيباً مثل الشيخ ! ويجمع عليه الخلق ! وينزل المساجد ! وتلتف الناس حوله !

فلو التف حولك أهل الأرض ماذا تفعل بهم ؟ ! وماذا يصنعون معك؟ ! المشايخ لا يقومون بذلك ولا يفعلون ذلك إلا وقد ماتت النفوس، لأنه قيل:

{ مكتوب علي حضرة القدوس لا يدخلها أرباب النفوس }

فما دامت النفس حيَّةً فإذاً هي حيَّةٌ ﴿ ثعبان ﴾ تلدغك، لكن الصادقين كما قال الإمام الشافعي ﷺ:

{ وددت أن الناس نقلوا عنى هذه العلوم ولم ينسبوا إليَّ حرفاً واحداً منها }

لأنه يرى أن هذا هو فضل الله ومواهب الله وعطاءات الله جل في علاه.

فإذا كنت أجمع من الكتب فماذا زدت في أبواب العلم ؟ ! أنا أريد أن أخرج دواءاً ينال رضا الخلق فلا بد أن يكون دواءاً جديداً يعالج مرضاً جديداً، والدواء الجديد لا يأتى إلا فضلاً من الحميد المجيد ﷻ:

٣

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ أى من علوم القرآن وأسرار القرآن وبيان القرآن ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٢الإسراء)

إذا كان هذا العلم نازل ليعالج حاجة في صدور المؤمنين، أو في صدور الموقنين، أو في صدور الموحدين بإذن من الله ورسوله .. فلا شىء، لكن إذا كان القصد أن يقال أن فلان له كتاب ! فماذا أعمل به ؟ !

وما من كاتب إلا سيبلى ... ويبلى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شىء ... يسرك فى القيامة أن تراه

القوم لا يصنعون ! ولا يقولون ! ولا يكتبون ! ولا يفعلون شيئاً .. ! إلا إذا وجدوا فيه نيَّة خالصة لوجه الله ﷻ.

والنيَّة الخالصة لا تكون إلا بعد فناء النفس عن نوازعها .. ونزغاتها .. وأهوائها .. وحظوظها .. وشهواتها المرديَّة.

فالعلامة الأولى من علامات الغلام أن يأخذ نفسه بالعزائم ويترك الرخص والمباحات، ولذلك فاز الصالحون بذلك:

منهم من كان يديم القيام حتى كان يصلي في الليل ألف ركعة، . . . ومنهم من كان يديم الصيام حتى لا يفطر إلا كل أربعين يوماً مرة . . . ، ومنهم من كان يديم تلاوة القرآن حتى كان يقرأه في كل ليلة مرة في ركعة من ركعات الصلاة . . . . ، ومنهم من كان يديم ذكر الله حتى تنطق معه الأكوان تذكر معه مولاه . . . . ، هذه هي أحوال الصالحين . . . .

٣

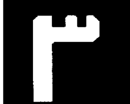
لكن إذا كنت كسولاً عن السنن والنوافل، ومتهاوناً في أداء الفرائض ومع ذلك أرى نفسى من الصالحين !، وأريد أمن أكون مرشداً ولى مريدون وأتباع، ونفسى تحاسبنى وتحاسب الشيخ ؟ ؟ لماذا لم يفتح الله عليَّ بالمكاشفات ؟ لماذا لم يرزقنى الله بالعلوم والإلهامات ؟

من أين وأنت في الراحات ؟ ! وأنت في الكسل والخملان، أهذا طريق الصالحين ؟ ! أهذا منهج النبيين والمرسلين ؟ !

وإذا رزقنى الله بشيء من ذلك ! ! أتطلع إلى ما عند الخلق :

إن كان شيئاً من أيديهم . . أوشيئاً من الثناء على ألسنتهم . . أو شيئاً من التوقير في حركاتهم . . . ، أهذا فعل النبيين أم حال الصالحين ؟ لا هذا ولا ذاك ! ! لأن القوم كما قال فيهم الإمام أبوالعزائم ﷺ:

وإذا دعاهم أن يدلوا غيرهم قاموا بحول منه لا بفخار
يدعون والرهبوت ملء قلوبهم بالهدى هدى المصطفى المختار
وإذا رأيت الخلق مقبلة فلا تركن ركون مقرب من نار



العلامة الثانية:

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ (مريم)

أي حكم للصبي ؟ أي مملكة أو إمارة ؟

مملكة نفسه !، أصبح حاكماً لهذه المملكة ! يتحكم فيها في نوازعها !وفي شهواتها وفي حظوظها وفي أهوائها ! فلا يعطيها إلا ما شرع الله، ويحتاط بالورع في كل ما تطلبه النفس من نعم الله، فلا يعطيها نعمة إلا إذا دقق في آفات الورع . . لقول الحبيب ﷺ:

{ كُنْ وَرِعاً، تَكُنْ أَعْبَدَ النّاسِ }[9]

وتلك كانت عبادة الصحابة الكرام، عبادة الصديق وعبادة الفاروق وعبادة الأجلاء والكرماء أجمعين، والورع اتقاء الشبهات، لا يعطيها ما فيه شبهة بل يتأكد أن ما فيه أحل الحلال، وأحل الحلال لا يعطيها منه إلا ما بد لها عنه، فلا يسرف في الطعام الحلال مع أنه حلال لأنه يعلم أن الشبع مرض وآفة تجعل النفس تتحرك وتحرك جنود الشهوة فيه، فيقول لها:

{ حَسْبُكَ يَا ابْنَ آدَمَ لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَكَ }[10]

لا يجعلها تأخذ حظها من المنام، بل يطالبها بالقيام للملك العلام، ويقول لها سيأتي عليك يوم تنامين فيه . . ويطول المنام بعد الموت، ألا تريدين أن تلحقي بقوم يقول فيهم الله مادحا ومشوقا إيانا لأحوالهم:

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ (١٦ السجدة)

---

٩ عن أبي هريرة ﷺ، سنن ابن ماجه
١٠ عن المقدام بن معديكرب، جامع المسانيد والمراسيل

وأنت تتقلبين طول الليل من مضجع إلي مضجع ولا تفعلين فعلهم وتدخلين في زمرتهم وتسجلين في صحفهم، أهذا يكون ؟لا يكون أبدا:

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ (فصلت)

لا يعطيها إلا الضرورات ! ! ويمسك لسانه ! ويكفه عن جميع الكلمات حتى الحلال والمباحات . . ، إذا أمسك لسانه . . فاعلم أن الله سيشرق بأنواره وعطاءاته على جنانه . . ، لكن طالما الإنسان ترك للسان للعنان . . فلا يمكن لله ﷻ أن يفتح له عطاءات الرحمن . . لأنه سيبيحها لمن ليس من أهلها . . وسيظهر ما لا يطاق لأهل الزيغ والنفاق ويحدث فتن في الأكوان . .

٣

فإذا كان الصبى عند الصالحين هو الذى يأخذ بالعزائم ! ويملك نفسه فكيف بالفتى ! ؟ فكيف بالرجل ! ؟

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

طوبى لمن شغله عيبه

للإنسان السالك علي طريق أهل اليقين والراجي في خصوصيات الصالحين أطوار يمر بها في سيره وسلوكه إلي رب العالمين ، ولا بد له من مرشد أمين يعينه علي جهاد نفسه، علي أن يسلم له تسليماً كلياً ولا ينازعه كما سبق وأسلفنا البيان، وأن يكون هو مشغولاً بجهاد نفسه . .

فإذا رأيت المريد مشغولاً بعيوب من حوله، أو عيوب إخوانه، فاعلم أن هذا المريد ملكته نفسه . . وتتحكم فيه نفسه ولن يزول لبسه أبداً ! ! إلا إذا ترك ذلك . . أهذا واضح ؟ ؟، فالمريد الذي دائماً يخوض في إخوانه ! ! فهذا ليس له شأن بالسلوك ! ! ، لماذا ؟ لأن السالك يقول الحبيب ﷺ في شأنه :

{ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النّاسِ } ١١

السالك مشغول بعيوبه، فكاميرات نفسه يوجهها لأرجاء مملكته، ولا يتركها تنظر إلي الآفاق الخارجية ! !، فهو في كل الحالات ليس له شأن لا بالمخلوقين ولا بعيوبهم، ولا بأحوالهم . . . لأنه يريد الله ﷻ .



أما من كان مشغولاً بعيوب الإخوان والأحباب، فهو ما زال موسوماً بوسم المنافقين، لأنهم هم الذين كانوا يلمزون رسول الله ويعيبون علي أصحابه معه، ومشغولين بهذه الأمور ! ! وغير مشغولين بأنفسهم ! ! لأنهم ليس عندهم نورٌ أصلاً، فالسالك علي الطريق الحقيقي هو الذي أمام عينه:

{ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النّاسِ }

بعض السالكين الصادقين كان يجعل له نوتة يسجل فيها عيوب نفسه حتي يصلحها عيباً وراء عيب، وبعضهم كان يستطلع آراء من حوله من الصادقين بإخلاص ويقين ويقول لهم وجهوني، وما هي عيوبي ؟ ومنهم الإمام عمر بن الخطاب ﷺ حيث كان يقول:

{ رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَهْدَى إلَيّ عُيُوبِي } ١٢

لم يقل بيّن إليّ عيوبي، ولكن أهدي إليّ أي قدم إليّ هدية . . . ، ولذا أقول إذا رأيت الرجل إذا وجهته وأردت له بيان عيب لإصلاحه ؟ تنفر نفسه منك ! فاعلم أنه بعيدٌ من ولاية الله بُعد المشرقين، فقد قال سيدي أحمد الرفاعي ﷺ :

{ إن ولاية الله ﷻ لا يحصل عليها إلا رجال كَنستْ أرواحُهُمُ المزابل } ١٣

---

١١ عن علي بن أبي طالب، جامع المسانيد والمراسيل.
١٢ أصول فخر الإسلام ، وسير أعلام النبلاء
١٣ فيض القدير و تعريف الأحياء بفضل الإحياء.

انظر إلي تواضعهم . . ! ! حتى يعرفوا عيوبهم، ويصلحوها، ويصلوا إلي المقام الذي فيه أصلحوا نفوسهم للملك العلام ﷻ .

الفتوة في القرآن

فالسالك في طريق الله ﷻ الذي يريد أنوار اليقين، يوجه نفسه وكاميراته الظاهرة والخفية في أرجاء أحواله وأفعاله وأقواله، فيزن أقواله وأفعاله في كل لحظة بميزان الشرع الشريف، ويزن أفعاله قبل الفعل، وأثناءه، وبعده بميزان الإخلاص والصدق واليقين . . هل هذا العمل لله أم للرياء أم للشهرة أم للسمعة ؟

٣

ويظل علي هذا المنهاج حتى يكتمل في طريق التربية، ويكون أولي بالرعاية الإلهية وأحق بالنظرات المحمدية من خير البرية ﷺ، إذا كان في هذا المقام يلاحظ عيوب نفسه، ويتحري العدل في كل أحواله بين أولاده أو بين زوجات أولاده، أو بين أحفاده، أو زملاءه في العمل أو جيرانه أو إخوانه، وتحقق باسم الله ﷻ . . . وعنها فهذا قد أصبح صاحب مقام:

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾ (مريم)

فيكرمه الله ﷻ ويرقيه إلي مقام الفتوة، ومقام الفتوة يقول فيه الله:

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى﴾ (١٣الكهف)

ويقول فيه سيدى أبو العباس المرسي ﷺ :

{ إنما الفتي من كسَّر الأصنام في نفسه، لأن إبراهيم قيل فتي عندما كسَّر الأصنام الحسية ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ (٦٠الأنبياء)}

وأنت فيك أصنام معنوية، صنم الحظ، وصنم الهوي، وصنم الشح،

وصنم البخل، وصنم الطمع، وصنم الحرص، وصنم الرغبة في الفاني، وصنم العلو في الأرض بغير الحق، أصنام حسية لا بد أن تمسك بفأس المجاهدة والعزيمة الشديدة المضية وتحطم هذه الأصنام .. ليلوح لك مقام الفتوة:

﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾ (الأنبياء)

فالفتي من حطم الأصنام، فإذا حطم أصنامه المعنوية ظهرت له علامات القرب وأنوار التحقيق ... التي يبديها الله ﷻ للصادقين السالكين في هذا الطريق على التحقيق، فتلوح له الحقائق .. ويخاطبها !.. كيف ذلك ؟

٣

خطاب الحقائق

تلوح له في نفسه أنوار، ويشهد في نفسه أسرار، ويلوح له في قلبه ضياء النبي المختار ويؤذن لفؤاده بالخطاب فيخاطب الحقائق، مرة يخاطب الحقائق الكونية، وآونة يخاطب الحقائق الروحانية، وأحياناً يخاطب الحقائق النورانية، ويؤذن لروحه أن تسبح في ملكوت الله، فتري ما لا يراه الناظرون وتشهد ما خصّ به الله ﷻ الصادقون.

فإذا اكتمل في مقام المكاشفة بالحقائق في نفسه وفي الآفاق صار رجلاً: ..... فالرجل هو الذي كوشف بالحقائق في ذاته، وبالحقائق في كون الله عاليه ودانيه، وصار يشهد ما خصه به الله ﷻ من فضله وعظيم نعمه لنفسه إن كان رجلاً ولياً، أو لنفسه وذويه إن كان رجلاً ولياً مرشداً.

هذا الرجل يجعل الله له وظيفة قرآنية:

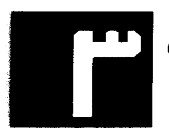
بيّن الله هذه الوظائف في آيات الرجال التي ذكرها في الآيات القرآنية، إما أن يجعله الله ﷻ إماماً في عالم المكاشفات .. فيكاشفه الله بما مضي وما

هو حاضر وما هو آت حتى قيل فيهم: (إن لله ﷻ رجال لا يحدث في كونه شيئاً إلا بعد أن يطلعهم عليه ويشاورهم فيه).

رجال على الأعراف

وهؤلاء يقول الله في شأنهم:

﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ (٤٦الأعراف)



ليس بأسمائهم ولا ببطاقاتهم ولا بشهادة ميلادهم وإنما بسيماهم التى عرّفها لهم المعرّف ﷻ، كاشفهم الله بكل هذه الحقائق، والأمثلة في هذا المجال يضيق الوقت عن حصرها، ولا نستطيع أن نلقي الضوء حتى علي اليسير منها ولكننا سنشير إليها إشارت سريعة، ومن أراد الزيادة فعليه بطلبها من مظانها في سِيَر الصالحين الصادقين رضى الله ﷻ عنهم أجمعين.

رجال الدعوة

فمنهم رجال جعلهم الله ﷻ يتحملون أعباء الدعوة إلي الله، فيدعون الخلق إلي الله، وهناك دعوة إلي السبيل ! ودعوة إلي الله !، فالدعوة إلي السبيل:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ (١٢٥النحل)

هذا يؤتى الحكمة:

﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٢٦٩البقرة)

أما الدعوة إلي الله فشرطها كما فى قوله تعالى فى (١٠٨يوسف):

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾

لا بد أن يكون صاحبها صاحب بصيرة[١٤] ومعه إذن من الذات المنيرة:

﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (٤٦الأحزاب)

يكون سراجاً منيراً لأهل قربه ووده، يكاشفهم بالحقائق ويفصح لهم عن الدقائق إما بياناً وإما مناماً وإما عياناً على حسب مقامات قربهم وعلي حسب درجاتهم وسلوكهم إلى الله ﷻ وهذا يقول فيه الله:

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ (الحج)

لم يقل وأذن في الناس بالحج يأتون إلي البيت ! ولكن قال ﴿يَأْتُوكَ﴾ بكاف الخطاب، لأن الحج الأعظم هو قصد الله ﷻ ، فالحج أي القصد فمن قصد البيت فهو حاج، لكن من قصد الله فهو الحج الأعظم لأنه قصد الله ﷻ .

رجال الطهارة

ومن الرجال رجال تخصصوا، وخصهم الله بتطهير النفوس من لقسها ومن رجسها ومن غيها وتزكيتها ليدخلوها علي حضرة الحبيب الأعظم ﷺ ، وهؤلاء يقول فيهم الله:

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ (١٠٨التوبة)

فهؤلاء هم الذين يشرفون علي فصول الطهارة الباطنية، والطهارة القلبية

---

١٤ هذا موضوع كتابنا القادم إنشاء الله : (كيف تكون داعياً إلى الله على بصيرة).

وطهارة الأسرار من الأغيار، وطهارة الأرواح من أي إشراك في الطلب للكريم الفتاح ﷻ، فهؤلاء صنف من الرجال.

رجال الصدق

وهناك رجال يتحملون الأحمال عن الخلق، ويجعلون أنفسهم أهل الفداء فيفدون الخلق بأرواحهم، ويطلبون من الله ﷻ أن يفدي الخلق من النكبات ومن البلاءات، وينزلها عليهم ولا يرون في خلق الله ﷻ ضراً ولا خسارة ولا بأساً ولا ما شابه ذلك، وهم أغواث ويقول فيهم بعض الصالحين بلسانهم الدارج ٣
(شيالين الحمول) يشيلون الأحمال عن الخلق، وهؤلاء يقول فيهم الله:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (٢٣الأحزاب)

لأن هؤلاء القوم جعل الله ﷻ فيهم رأفة محمدية وشفقة نبوية تجعلهم يشفقون علي الخلق جميعاً من أي نكد أو من أي بلية حتى قال بعضهم عندما سأله الله ﷻ ماذا تتمني؟ قال:

{ أتمني أن تُكبّر خِلقتي وتُعظّم حقيقتي حتى تسدَّ بى أبواب النار حتى لا يدخلها أحد من خلقك }

ما هؤلاء الرجال الذين كلهم شفقة !! وعطف !! وحنان !!

والله كأنهم الوارثين لقول حضرة الرحمن للنبى العدنان:

﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ (الكهف)

رجال أفردهم الله لذاته

وهناك رجال يسمون الأفراد، أفردهم الله لذاته، ولم يشغلهم بشيء من خلقه ولا من مخلوقاته، فلم ينشغلوا عن الله طرفة عين، تجاوزوا الدرجات وتركوا خلفهم كل المقامات وقالوا لا نريد إلا رفيع الدرجات، وهؤلاء القوم يقول الله فيهم:

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (٣٧النور)



وذكر الله في الآية له معانٍ، أي لا يغفلون عن ذكر الله عملاً بقول حبيب الله ومصطفاه:

{ سيروا سبق المُفْرِدُون } وفي روايات أخرى: { المُفرَدون } و { المُفَرِّدون } { قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، وضع الذكر عنهم إصرهم حتى يلقون الله ﷻ خفافاً }[١٥]

ولمَّا ننظر إلى ذكر الله في القرآن نجد الله يقول في آية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ - مَن ذكر الله فى هذه الآية الذي يذكِّر الخلق بالله؟ كان رسول الله ﷺ ! . . ثمَّ . . ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ (٩الجمعة)

فهؤلاء الرجال ظاهراً لا يغفلون عن ذكر الله، وباطناً لا يحجبون عن رسول الله طرفة عين ولا أقل! لكمال روحانيتهم، وشدة تعلقهم بالله ﷻ.

---

١٥ صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ.

هؤلاء الرجال هم الذين وصلوا إلي هذه المقامات العالية والدرجات الراقية .. وهم من يُعنوا بكلمة رجال !! فالرجل من كان ظاهره مع الخلق يقوم لهم بما أوجبه عليه شرع الملك الحق، ومن كان باطنه مع الحق لا يلتفت إلي الخلق طرفة عين ولا أقل، الرجل مع الخلق بظاهره ومع الحق بباطنه، لا يشغله الخلق عن إقباله علي الله، ولا يهيم بمولاه هياما يجعله يتناسي ما عليه من حقوق لخلق الله، ينظر بالعينين ويشاهد بالمشهدين ويعالج الظاهر والباطن كما وصف الحبيب ﷺ لأصحاب هذا المقام، رجل جسده علي الثري وقلبه بالمحل الأعلى:

{ صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالنَّظَرِ الأَعْلَى } [١٦]

وروحه في عالم الجبروت، وسره بين يدي الحى الذي لا يموت، يشهد المشاهد العالية ويعاين الدرجات الراقية، ويكاشفه الله ﷻ بالغيوب، ويرفع عنه كل حجاب، وهو بين الخلق من يراه يراه ضعيفاً في قوته، ذليلاً في هيئته، متواضعاً في حالته، لأنه لا يظهر عليه من البضاعة التي جمّله بها الله ﷻ قليل ولا كثير، لأن الله جعله أميناً علي هذه الأمانات، يقول فيه أبوالعزائم ﷺ وأرضاه:

والعارف الفرد محبوب لخالقه	فات المقامات تحقيقاً وتمكينا
في كل نفس له نور يواجهه	من حضرة الحق ترويحاً وتيقينا
يمشي علي الأرض في ذل ومسكنة	هام الملائك شوقاً فيه وحنينا
معناه غيب ومبناه مشاهدة	والفرد معنى وليس الفرد تكوينا
لا يعرف الفرد إلا ذو مواجهة	صفا فصوفى فأحيا النهج والدين

هؤلاء قد يكون عددهم اثني عشر بعدد المشارب، ولكل قوم مشربهم، وقد يكون أكثر أو أقل بحسب الزمان.

---

[١٦] على بن أبي طالب، ابنُ الأَنْبَارِي فِي المصاحِفِ، والمرهبي فِي الْعِلمِ، وَنَصْرٌ فِي الْحُجَّةِ، حل، كر.

الرجل

ومنهم رجل تمَّكن في هذه الأحوال، وتمَّكن في هذه المنازلات وتمَّكن في هذه المكاشفات، وتمكن في هذه الأحوال الراقيات حتى أصبح شيخاً كبير، فالشيخ الكبير هو الوارث الأعظم، والغوث المطلسم، وهو الذي تمكن في هذه الأحوال العالية والحقائق الراقية وفيه يقول الله ﷻ :

﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القصص)

شيخ في الحقائق ... وليس في الجسم .

هؤلاء الرجال صغيرهم وشبابهم وكبيرهم أخذوا أوصاف أهل الجنة بقلوبهم وهم في الدنيا، لا يهرمون ولا يسقمون وإنما كما قال الحبيب ﷺ في وصف أهل الجنة:

{ أَهْلُ الْجَنَّةِ .. لاَ يَفْنَى شَبَابُهُمْ }[١٧]{ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًا، لاَ يَسْقَمُونَ }[١٨]

وإنما شباب دائم لأن قلوبهم في شباب دائم، القلوب لا تهرم ولا تشيخ وإن شاخت الأجسام، القلوب لا تمرض وإن مرضت الأجسام، الروح لا تحجب وإن تعطلت حقائق الأجسام عن الحركة .. فإن الأرواح لا تتعطل وإنما تسير في المساء والصباح يسيرها الملك الفتاح ﷻ .

نسأل الله ﷻ أن يكرمنا، وأن يجعلنا من هؤلاء الرجال، وأن يجعلنا من الذين يسيرون علي دربهم ويتخلقون بأخلاقهم ويرزقون بمناهلهم ومواردهم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

١٧ عن أبي هُرَيْرَةَ، سنن الترمذي

١٨ عن أبي هريرة ﷺ، المسند الجامع

الفصل الرابع

المختصر المفيد النافع للمريد

- البداية: الرجوع للوطن الأول
- روشتة العارفين
- أولاً: خالص الإيمان
- ثانياً: التوبة النصوح
- ثالثاً: الزهد
- رابعاً: التحقق بكمال العبودية
- الإقلال من الكلام
- الإقلال من الطعام
- الإقلال من المنام
- الإقلال من مخالطة الأنام
- حرص المؤمن على الوقت

٤

١ الخميس ١٤٢٩/٦/٨، ٢٠٠٨/٦/١٢، الدرس بعد العشاء بقاعة المحاضرات بالجمعية العامة للدعوة إلى الله بالمعادى.

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني وأخواتى القراء الكرام بارك الله ﷻ فيكم أجمعين . .

المختصر المفيد النافع للمريد من كلام الله ومن سنة حبيبه ومصطفاه ومن تركيب الصالحين فى كل عصر إلى يومنا هذا ستكشفه هنا بكلمات قليلة المبنى، عظيمة المعنى، واسعة العطاء والفضل والغنى من حضرة الغنى ﷻ .

البداية: الرجوع للوطن الأول

أن أهل الاصطفاء هم الذين تفضل عليهم المتفضل فى الأزل القديم بقلب سليم وروح من نور الحبيب الأعظم الذى هو من نور الله، وأكرمهم الله ﷻ قبل التكوين وقبل إيجاد الجسم فى عالم الدنيا بروحانيات عالية ومقامات راقية وأسرار غالية:

فكانوا بالحق ! للحق مشاهدون ! . . . . ، وبسمع من اسمه ﷻ السميع ! لحضرته سبحانه مستمعون ! . . . . ، وبسر المتكلم ! الذى انبلج على ألسنتهم لحضرته ﷻ مخاطبون ! . . . . .وقد شاهدوا فى هذا الموقف العظيم كل النبيين والمرسلين، والملائكة المقربين، وأهل عالين وعليين، والأرواح النورانية التى ستظهر فى الحياة الدنيا إلى يوم الدين .

فكل الأولياء والصالحين، وكل الصادقين، رأوهم رأى العين ! واجتمعوا عليهم وحضروهم وجالسوهم وشافهوهم وشاهدوهم وحادثوهم فى هذا الموقف العظيم، ورأوا من الأنوار وكوشفوا من الحق ﷻ من الأسرار بما لا يستطيع أى إنسان أن يبيحه فى هذه الدنيا . . إلا لقلوب صفت ووفت وارتقت وسمت إلى آفاق يقول فيها الفتاح ﷻ .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٣٧ق)

وجاء التحقيق بعد خلق الأجسام ! ! . . وبعد خلق الجسم وظهور الحقائق العالية فيه، يحدث له لبس مما يراه الإنسان بعين الحس ! ويسمعه بأذن الرأس ! ويلمسه بحاسة اللمس الجسمانية ! ! ! . . . وفي ذلك يقول الله ﷻ :

﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (١٥ق)

فإذا انشغل الإنسان بهذه الأمور الجسمانية؛ أنتاب القلب اليقظ غفوة أو غفلة أو رقدة أو نومة أو جهالة . . . فيغيب عن هذه المشاهد والأحوال، وإن كان يشعر في داخله بحنين إليها ! ورغبة في الوصول إليها ! وشوق شديد في الرجوع إليها ! . . . وهذه هي حالة المريد الذي اصطفاه الحق ﷻ ، وبشر به في قرآنه الكريم وقال فيه وفينا أجمعين :

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝٧٥ ﴾ (الحج)

إذاً فالمقصد والغاية هو الرجوع إلى الحال الأول الذي كان عليه العبد في مواجهة حضرة الأول ! ! . . وما عليه في سبيل ذلك إلا أن يزيل الغشاوة ! ! ويمحو الجهالة التي وقع فيها في حياته الدنيا ! ! ليرجع إلى حاله الأول . . . فيكشف الله عنه الحجاب وغطاء الحس الذي حجبه عن الأحباب .

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (٢٢ ق)

وكل ما يفعله العارفون، والحكماء، والربانيون، والأفراد الروحانيون،

هو أنهم يطيبون القلوب . . حتى يزيلوا هذه الغشاوة من عين القلوب . . فتنظر بنظر الله ! وتسمع بسمع الله ! وترجع للحالة الروحانية التي كانت عليها في البداية بين يدي الله . . . فيتحقق فيهم قول الله ﷻ

﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٢٩الأعراف)

يقول الأمام أبو العزائم ﷺ

أنت في غربة فكن كالغريب فالمباني أواسط التحجيب
بدء وطني الفردوس ملكوت ربي بل وبدئي بدءاً جمال حبيبي

هذه هي بدايتك تريد أن ترجع لوطنك الأول . . الذي كانت فيه الروح في هذا الجمال، وفي هذا الكمال، والحنين هنا لهذا المقام !، والشوق هنا لهذا الجمال . . الذي رأته الروح، والذي رآه القلب بعين البصيرة المضية:

أبداً تحنُّ قلوبنا وحنينها . . . . دوماً لأول منزل

والحنين هنا للمنزل الأول الذي كانت تحيا فيه، وتنال فيه ما تشتهيه من الحياة الروحانية، والحياة القلبية الهنية مع الله ومع رسل الله وأنبياء الله ومع أصفياء الله، والمقربين من حضرة الله ،الذين سيظهرون إلى يوم الدين لأنهم جميعاً كانوا في هذا المشهد حاضرين (١٧٢ الأعراف):

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾

يقول الإمام أبو العزائم ﷺ

من ألست لم ننسَ ما قد شهدنا من جمال الجميل إذ خاطبنا
كيف أنساك يا جميل و أنت عرش نور الأسماء نور المعنى

وهذا هو حنين العارفين، وشوق الصالحين.. وهو للجمال الذى لاح لأهل الكمال والوصال الذي ذاقوه!! ولم ينسوه!! وللعطاء الذى أخذوه!! وجعله الله ﷻ مدخراً لهم فى أرواحهم! وفى قلوبهم! ولم يحجبهم عنه إلا هبوط الحواس الكونية إلى الممارسات الدنيوية.. وإلى العناصر الطينية.. وإلى الشهوات الدنية.. التى حجبتهم عن هذه المشاهد العلية.

روشتة العارفين

ما الروشتة العاجلة والسهلة السريعة التى وضعها كونسولتو العارفين واعتمدها سيد الأولين والآخرين لكي توصل المريد إلى هذا الفضل فى نفس أو اقل؟

إن الشفاء! هو الشفاء..!! ومن الجائز أن يشفي المريض فى لحظة! ومن الجائز أن يشفى فى ساعة! ومن الجائز أن يشفى فى أسبوع! ومن الجائز أن يشفي فى شهر! ومن الجائز أن يمكث الدهر! ولا يتم الشفاء؟ وإنما يزيد الداء..

لماذا؟ لأنه لا يريد أن يترك الشهوات التي ينهاه عنها الحكماء والأطباء! وقد قالوا عن هذه الروشته باختصار شديد:

من أراد أن يلج إلى الملكوت، وأن يشاهد الأقدار المسطرة فى لوح الأقدار، وأن يعاين أنوار الله المنبثة فى الكائنات، وأن يجمل بجميع الأحوال والمقامات، وانظر إلى كل هذه الفتوحات! وأكررها مرة أخرى! فمن يريد أن يدخل على الملكوت هل يدخل بجسمه أم بروحه؟ من يريد أن يلج الملكوت ويرى ما فيه من عجائب الحي الذى لا يموت! ويطلع على لوح الأقدار! ويرى ما فيه من أسرار! خطها الواحد القهار ويعاين أنوار العزة المبثوثة فى الكائنات:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (٣٥النور)

ويتدرج فى كل المقامات والأحوال حتي يصل إلى مقام الكمال ماذا يفعل ؟ قالوا:

{ عليه بأربع ويستعين عليها بأربع، عليه بخالص الإيمان، وعليه بالتوبة النصوح، وعليه بزهد الأنبياء، وعليه بالتمكن فى مقام العبدية }

أولاً : خالص الإيمان

وهم أربع : أولهم هو خالص الإيمان . . أى الذى لم يلتبس بظلم .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الأنعام)

هذا الإيمان هو الذى تطهر صاحبه من الشرك الأكبر، ومن الشرك الأصغر، فأصبح إيمانه صادقاً نقياً تقياً، وقد قال فيه الله عن كل أولياء الله :

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (يونس) . . . من هم ؟

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (يونس)

وقد يقول قائل: إننا جميعاً مؤمنون، . . لكننا نريد الإيمان الخاص للخواص أهل الاختصاص، بعد ذلك عليه أن يتحقق ! لا أن يتلفظ بالتوبة ! كأن يقول مثلاً تبنا إلى الله ورجعنا إلى الله وندمنا على ما فعلنا وعلى ما قلنا، وغيرها من الألفاظ والعبارات التي قد يقولها المؤمن مئات المرات فى اليوم والليلة ! ! لكن المهم والأهم أن يتحقق المؤمن بالتوبة ولو مرة ، قال تعالى فى (٨التحريم) :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾

ثانيا : التوبة النصوح

والتوبة النصوح . . بشروطها وملابساتها:

هى أن يقلع عن الذنب، ويشعر بالندم والخجل من الذنب والعيب، ويعزم على ألا يعود إليه أبداً !، إن كان فى حق ربه .

ويضيف إليها أن يرد المظالم لأهلها إن كان فى حق عبد من عباد الله، فمن ظلم عبداً ! أى عبد ! ثم تاب إلى الله ،وسلك كل أبواب التوبة . . لكن لم يرد المظالم لهذا العبد، هل بذلك قد تاب وأناب ؟ كلا !إذاً لا بد أن يتوب، ويصبح بعد ذلك عبداً منيب:

﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ (٥٤الزمر)

متى تتحقق هذه الإنابة ؟ . . بعد كمال التوبة !

وهذا الكمال له علامات، ومن علاماته : أن يشعر العبد بزهد فى قلبه نحو كل الشهوات التي ذكرها الله فى محكم الآيات

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ﴾ (١٤آل عمران)

وما دام فى القلب شعبةٌ نحو واحدة من هؤلاء:

فإن التوبة النصوح لم يتقبلها التواب ﷻ بعد ! وتحتاج إلى ملحق يلحقه العبد ! ! ويقوم فيه خالصاً مخلصاً فى توبته لله، حتى يتقبل الله منه المتاب، ربنا وتقبل متاب .

ثالثاً : الزهد

أما عن المقام والدواء الثالث، وهو الزهد :

فإذا لم يزهد المرء في الشهوات فكيف يطمع في الوصول لهذه الحالات ؟ والشهوات إما شهوات نفسانية ! وإما شهوات قلبية ! وإما شهوات روحانية ! .

أما الشهوات النفسانية فهي ما أشرنا إليها من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ،والخيل المسومة والأنعام والحرث، ومساكن ترضونها وتجارة تخشون كسادها ، ولا بد للإنسان من أن يجاهد نفسه حتى تكون في يده ! ! وليست في قلبه . . . ! !

وإذا كانت هذه الأشياء في يد الإنسان ولم ينشغل بها في باطنه وقلبه . . كان عبداً صادقاً للرحمن، وكانت دليلاً على قبول توبته وإنابته إلى الله ﷻ، وعلامة خروج هذه الأشياء من القلب هي قوله تعالى (٢٣ الحديد):

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾

على مثل هذه الأشياء الفانية !والدانية ! . .أما إذا فرحت فبفعل الخيرات، وعمل الصالحات، وذلك إذا كنت من أهل الإيمان . . ! وأفرح بالله وبعطاياه إذا كنت من أهل الإحسان والإيقان ! ! لكن أفرح بدنيا دنية ،فلو كانت تساوى عند الله جناح بعوضة ؟ما سقى الكافر منها جرعة ماء . . . ! ! ! لمن يعطى الله الدنيا يا رسول الله ؟ قال:

﴿ وإنّ الله عَزّ وجلّ يُعْطِي الدُّنْيا مَنْ يُحِبُّ ومَنْ لا يُحِبُّ ، ولا يُعْطِي الدِّينَ إلاَّ مَنْ أَحَبّ ﴾ ٢ .. وهذا هو المقياس !

---

٢ عن عبدالله بن مسعود ، رواه أحمد، مجمع الزوائد

ولو كان الله ﷻ يحب الدنيا قدر ذرة؟ ما أعطى واحداً من الكافرين شيئاً منها بالمرة! ولذلك فهي موجودة مع الكافرين.

أما شهوات القلب فهي حب الرياسة، وحب الظهور، والأحقاد والأحساد، والطمع والحرص، والأثرة والأنانية، وغيرها .. من الأوصاف القلبية التي يجب أن يتطهر المريد منها بالكلية.

أما حظوظ الروح وهى لأهل الفتوح .. ويجب أن يتطهر منها من لاحت له الفتوح! كأن يريد أن تظهر له كرامات! أو أن يمتع نفسه بالمكاشفات! أو أن يشاهد أنوار الله البينات ليتحدث بها بين الأحباب! ويزهو بذلك ويفخر!

فإذا تطهر المريد من هذه الشهوات النفسية .. والقلبية .. والروحانية أقبل على نفسه بالكليّة ...

رابعا: التحقق بكمال العبودية

واشتغل بإصلاح عيوب نفسه .. وإصلاح ما طرأ فى الأكوان على قلبه، وإطلاق روحه من سجونها وعقالها، ولا يتم ذلك إلا بتحققه بكمال العبودية، فإذا تخلق بأخلاق العبودية! استطاع أن يوفى لله ﷻ بحقوق الربوبية.

ولا يستطيع أحد من الأولين أو من الآخرين .. أن يوفى لله بحقوق الربوبية! إلا إذا تحقق أولاً بمقام العبودية .. وهذا المقام باختصار شديد هو أن يرى كل فضل له أو عنده أو معه من الله، وكل سوء وكل شر له أو به من خبيئة نفسه .. ومن جهله .. ومن ظلمه لنفسه .. ونسيانه لجهاده فى ذات ربه ﷻ

فيتخلق بالذل بين يدى العزيز! وبالجهل على أبواب العليم! وبالفقر لكنوز حضرة الغنى! .. أى يتخلق بأضداد الصفات الإلهية .. حتى يخلع الله ﷻ عليه خلعه الذاتية!

فمن دخل على الله فقيراً . . فتح الله له كل كنوز حضرة الغني !، ومن دخل على الله جاهلاً . . علمه الله علم ما لم يكن يعلم !، ومن دخل على الله ذليلاً . . كساه الله ﷻ ثوب عزه !، ومن دخل على الله ﷻ ضالاً . . هداه الله به إليه !، ومن دخل على الله ﷻ شاعراً بذنبه . . جبر الله ﷻ كسر قلبه وأنابه به إليه ! . . وجعله في مقام الزلفى بين يديه ! . . وقد قال في ذلك لعبده داود:

﴿ يا داود أنين المذنبين أحب إلي من صراخ الصديقين ﴾[٣]

ويقول الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه

أنين المذنبين إذا أنابوا . . . وقد مالوا إلى التقوى وتابوا

دليل الاستجابة من إلهي . . . إذا وفقهموا ربي أنابوا

إذاً وكما قلنا وتلخيصاً لما سبق ، فإن عليه بأربع وهي:

- الإيمان الخالص الذي لا يشوبه ظلم أو رائحة ظلم .
- والتوبة النصوح التي علامتها الزهد في كل الشهوات الدانية، والرغبة في الأحوال الراقية والمقامات العالية .
- والزهد حتى يصل فيه إلى مقام أن يزهد في غير مولاه، ولا يشتهي من الله إلا حضرة الله، حتى أن الله كلما تفضل عليه بخالص عطاياه، إن كانت عطايا باطنة، أو عطايا ظاهرة باهرة، أو عطايا ملكوتية، أو عطايا جنانية، يزهد فيها رغبة في ذات الله ﷻ القدسية . . وهذا هو الزهد الذي يحبه الله ﷻ ويرضاه .
- ثم يتحقق بمقام العبودية . . فينظر إلى أوصاف الله ﷻ ، ويتخلق بأضدادها في نفسه .

٣ شعب الإيمان، عن أبي علي صاحب عبيدالله الحبلي.

ويستعين على ذلك بأربع سنشرحها الآن . . . وهى الإقلال من الكلام، والإقلال من الطعام، والإقلال من المنام، والإقلال من مخالطة الأنام، وهى أربعة أساسية لمن أراد أن يكون من الراسخين فى العلم . . والواصلين لفضل الله وكرمه .

الإقلال من الكلام

أولها الإقلال من الكلام، فلا يتكلم إلا إذا كان سيغنم، كأن يكون الكلام به منفعة له محققة فى دنياه أو أخراه، قال ﷺ:

﴿ رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً تَكَلَّمَ فَغَنِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ ﴾[٤]

ولذلك نجد أن أول ما يتفضل الله به على الصالحين أن يؤتيهم الله صمتاً، فلا يتكلمون إلا فى الضروريات، والحبيب ﷺ أعلن بغضه للمكثرين من الكلام وقال فيهم:

﴿ شِرَارُ أُمَّتِي الثَّرْثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ ﴾[٥]

فكل هذه الصفات الذميمة المهلكة تأتى من إطلاق اللسان بالكلام فيشرشر ويزيد فيتشدق ! . . ويتفيقه ! . . وكله من إطلاق اللسان . . .

فعلى الإنسان أن يفكر قبل الكلام، لأن الكلمة إذا خرجت منك ملكتك وإذا منعتها الخروج ملكتها ، فقد تخرج منك كلمة تتسبب لك فى أن تذل رقبتك وتحنى قامتك لمن لا يساوى شيئاً ! ، لأنها كلمة فى حق رجل، وقد تتعرض للصغار من أجلها قال القائل سائلاً رسول الله ﷺ:

{ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ }[٦]

---

٤ (هب) عن أنس وعن الحسن مُرْسَلاً . اسم الكتاب: جامع المسانيد والمراسيل
٥ (خد) عن أبي هُريرة ، جامع المسانيد والمراسيل.
٦ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه الترمذي وابن أبي الدنيا والبيهقي

الإقلال من الطعام

الأمر الثانى هو الإقلال من الطعام وذلك بأن يكون للإنسان نصيب فى عبادة الصيام أسمعه ﷺ بماذا أجاب أصحابه :

{ قُلْتُ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ مُرْنِي بِأَمْـرٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ قَالَ: عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ فَإِنَّهُ لاَ مِثْلَ لَهُ }[٧]

فمن يريد أن يبلغ مقاما عند الله لا يكتفى بصيام شهر رمضان وحسب بل ينبغى مثلاً أن يصوم ستة أيام من شوال أو بصوم يومي الاثنين والخميس كالحبيب ﷺ أو على الأقل يصوم ثلاثة أيام من كل شهر وهو الحد الأدنى قال ﷺ :

﴿ صومُ شهرِ الصّبْرِ وصومُ ثلاثةِ أيّامٍ من كُلِّ شهرٍ صومُ الدّهْرِ ﴾[٨]

وإذا أكل لا يأكل إلا عن جوع :

﴿ نَحْنُ قومٌ لا نأكلُ حتَّى نَجُوعُ وإذا أكلنَا لا نشبع }[٩]

لأن الإنسان إذا شبع فقد حلاوة الطاعة قالت السيدة عائشة رضي الله عنها :

{ أول بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ الشبع، أن القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى الدنيا }[١٠]

فعندما تمتلئ المعدة بالطعام يفكر الإنسان بجوارحه فى الذنوب والآثام

٧ عنِ أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِي، سننِ النسائي الصغرى ، .. وأنظروا إلى صدقهم ف الإتباع ..{ قالَ فكان أبو أُمَامَـةَ لا يُلْقَـى إلا صائماً هو وامرأَتُهُ وخادِمُهُ، فَإذَا رُئِيَ فِي دارِهِ دخانٌ بالنهارِ قيل: اعْتَرَاهُمْ ضَيْفٌ}

٨ عن أبي هريرة ، السنن الكبرى للبيهقي.

٩ السيرة الحلبية، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للشيخ رشيد رضا.

١٠ سبل السلام ، وإحياء علوم الدين للغزالى.

لكن إن كانت المعدة خالية من الطعام، فأنه لا يقوى على المعاصي، بل تقوى روحانيته، وتقوى طاعته لله كما يحدث معنا جميعا في نهار رمضان حتى أن بعض الصالحين قالوا في ذلك:

{لأن أنقص من عشائي لقمة واحدة أحب إلي من قيام ليلة }[11]

وهذا هو الجهاد الأعظم ولا يزال الإنسان يجاهد حتى يصل في هذا الأمر إلى العجب العجاب وكان لبعض الصالحين في ذلك أمور تحير العقول ! ! فقد كان الإمام الجنيد ﷺ وهو سيد الطائفة، يصوم ولا يفطر إلا كل أربعين يوماً مرة !، وعلى تمرة واحدة ! ولا تقل كيف ؟ لأنه وصل إلى ذلك بالجهاد . . . أو قد يكون اكتسب وراثة :



﴿ إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ﴾[12]

ولذلك ذهب رجل إليه يوماً وقال أريد أن أجد الخشوع في الصلاة ! ! فماذا أفعل ؟ قال:{ **يا أخي أتملأ بطنك بالطعام! وتجعل بينك وبين ربك مخلاة!! ثم تريد أن تجد الخشوع في الصلاة** }

إذاً كيف يستطيع الإنسان الإقلال من الطعام ؟

قال الصالحون أن الطعام علاج لمرض الجوع، فلا أضع في المعدة إلا ما يكفي الإنسان لتسيير حياته، لكن من يزيد على ذلك، فإن المعدة تكبر . . وتكبر البطن . . ويصاب الإنسان بالسمنة ... وهي سبب كل أمراض العصر

ولذلك ليس هناك رجل صالح سمين

فشيخ الإمام الجنيد ﷺ كان خاله وهو السري السقطي ﷺ كان يقول:

---

١١ تعريف الأحياء بفضل الإحياء، كتاب عوارف المعارف.
١٢ رواه الترمذي وابن ماجه وكذا الحاكم.

شكوت لها الحب قالت كذبتنى . . . فمالى أرى منك العظام كواسيا

ولا حب حتى يلصق العظم بالحشا . . . وتسكت حتى لا تجيب مناديا

فالإنسان الذى يحبُّ امرأةً ومشغولٌ بها ! هل تكون لديه رغبة للطعام ؟ أبداً ! ! إذاً بضاعة العارفين وأولها الخشوع . . . يلزمها الجوعُ.

الإقلال من المنام

الأمر الثالث هو الإقلال من المنام: . . . حتى يجب أن يكون للإنسان قيامٌ لله، فمن لم يكن له فى بدايته قومة لم يكن له فى نهايته جلسة، فهل سمعتم عن أحد من الصالحين لم يكن له نصيب فى قول رب العالمين:

﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ (١٧الذاريات)

لا ! . . ومن ينم طوال الليل . . فليس له فى هذا المقام نصيب ! ! بل إن الرجل الصالح منهم إذا أراد أن ينام يجد كأن الفراش به شوك يشوكه:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ (١٦السجدة)

وذلك لأنه يريد مناجاة الله فى وقت السحر:

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (٧٩الإسراء)

هل وحدة ؟ لا لأنه قال فى آخر المزمل التى فرض عليه فيه قيام الليل:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ (آخر المزمل)

إذاً من يريد أن يكون معه ﷺ لا بد وأن يكون له نصيب من قيام الليل فقيام الليل هو طابور التجليات والفيوضات وطابور العطاءات والهبات وطابور التنزلات لكل الصالحين والصالحات قال ﷺ :

{عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إلى اللهِ وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ وتَكْفِيرٌ للسَّيِّئَاتِ ومَطْرَدَةٌ للدَّاءِ عَنِ الجَسَدِ} [١٣]

لا بد من القيام:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ﴾ هنا أصبح القيام عليه فرض وليس نافلة ففي الآية السابقة قال له ﴿ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ ثم عاد وقال ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ ﴾

٤

أي فريضة على رسول الله وكذلك يفرضه على الرجل الصالح على نفسه لكي يكون مع رسول الله ﷺ والإنسان الذي يريد أن يمشي على هذا المنهاج من تقليل الكلام وتقليل للطعام وتقليل للمنام والمداومة على ذكر الملك العلام هل لديه وقت لمحادثة ومجالسة الأنام ؟

الإقلال من مخالطة الأنام

وهو الأمر الرابع أن يقلل من مجالسة الأنام فما الذي مع الخلق غير قيل وقال ولذلك قال ﷺ في الحديث الجامع المانع في هذا الشأن :

{ الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ، وَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَإِمْلاَءُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ، وَالسُّكُوتِ خَيْرٌ مِنْ إِمْلاَءِ الشَّرِ } [١٤]

إذاً على أن أكون مع الصادقين أما الغافلين فقد حذرنا الله منهم وقال:

---

١٣ سنن الترمذي، عن بلال بن رباح

١٤ (ك هب) عن أبي ذَرٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ جامع المسانيد والمراسيل

﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨الأنعام)

حتى ولو كانوا من أقرب الأقربين . . ! ! وإذا وصلت الرحم معهم تكون لحظات لكى لا أقع فى المحذورات، لأنها خيط رفيع يجب أن يلحظه الإنسان فى هذه الأزمنة، وذلك لأن صلة الأرحام عبادة لكن أن يزور الإنسان فلان قريبه أو فلانة قريبته؛ فيتكلمون عن فلان وفلانة وتصبح الجلسة كلها غيبة ونميمة؛ فلا ينبغى ذلك، لذلك يجب أن تكون الزيارة لحظات .

أما صلة الأرحام الأولى فهى صلة الأرحام النورانية التى تصلنا بالحضرة المحمدية، وذلك لأن لنا رحمان، الأول رحم جسمانى ، والثانى رحم نورانى، وهو الذى به التزكية وبه التعلية وبه التصفية وبه الترقية، أما الرحم الجسمانى فكما سمعتم ! !،ولا يظن واحد منكم أننى أنادى بعدم صلة الأرحام لا ولكن أوصلهم على قدر الضرورة .

إذاً يا إخوانى مخالطة الأنام تستلزم الحرص التام وهو التحرز من الذنوب والآثام وعند شعورى أن الجلسة ستتجه إلى الذنوب والآثام أستأذن فوراً متعللا بأن لى مصلحة أريد قضائها ، حتى ولو كنت سأذكر الله فهى أكبر مصلحة، وعندما يصدق الإنسان مع الله تجد أن الله يوجد له مخارج عظيمة بلا تفكير .

حرص المؤمن على الوقت

فالمؤمن أحرص الناس على وقته، لأن الوقت إما فى قربة إلى الله، وإما فى عمل صالح ينال الإنسان به رضاه، وإما فى غفلة ! وذلك والعياذ بالله ! مقت، وإما فى ذنوب وآثام، وهذا شر دائم ! والعياذ بالله عز وجل فى الدنيا ويوم الزحام، وقد قال سيدى الإمام الشافعى عن الوقت:

{ صحبت الصوفية سنتين فتعلمت منهم كلمتين الوقت، كالسيف أن لم تقطعه قطعك ، ونفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل } [١٥]

فنحن فى كل يوم جديد عندما يطلع النهار ويمر اليوم، أكون قد قطعت يوما وليله من عمرى، وقربت من الله مقدار هذا اليوم فماذا قدمت ؟

إذاً شعار الصالحين هو الحرص على الوقت ، ولذلك تجد أن بعض الصالحين كانوا يفرون من الخلق من أجل هذه الأشياء ،فمنهم ضعفاء . . فكان هناك من يفر إلى جبل ! ومنهم من يفر إلى الصحراء !، أما الأقوياء منهم يفرون من الخلق وهم بينهم ! . . ويفرون من أحوال الخلق وهم وسطهم ! . . فالواحد منهم فى وسطهم ! لكن ليس معهم لأنه مشغول بالله .

ع

وللإمام أبى العزائم رأى وجيه فى قول الله تعالى (٢٦-٢٧ الاسراء):

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾

قال أن أشد التبذير هنا هو التبذير فى الأنفاس . . لأن المال يروح ويجئ ! لكن النفس الذى يخرج لن يرجع مرة أخرى، فإذا بذرت نفسا واحدا فى غفلة أو فى بعد عن الله ؟ فكيف يرجع هذا النفس مرة أخرى ! ! وكيف أتداركه ؟ ! ! إذاً فهو أشد التبذير لأن أنفاسك نفائسك ! !

وعندما نحسب متوسط عمر الإنسان على ستين عاماً، وعلى اعتبار أن الإنسان ينام فى اليوم ثمانى ساعات؛ نجد أن الإنسان ينام من الستين عاماً عشرين عاماً، وإذا اعتبرنا أيضاً أنه يقضى ثمانى ساعات فى اللهو واللعب؛ لوجدنا أنه يقضى عشرين عاماً أخرى فى اللعب واللهو، فماذا يبقى ؟ إنك لو حسبت الفرائض التى

---

١٥ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لإبن القيم الجوزيه.

تؤديها لله في كل يوم تجد أنها أقل من ساعة ! ! ولا تأتي المشاغل إلا في هذه الساعة ! ! فماذا خلص منها لله ؟ إذاً يا أحباب لا بد أن يحرص السالك على وقته.

ومن الأمثلة في الحرص على الوقت أن سيدي كمال الدين الأخميمي رضي الله عنه كان يزور سيدي عبد الرحيم القنائي رضي الله عنه في مرقده، وكانوا من أهل المكاشفات فعندما يزور الواحد منهم رجلاً صالحا يراه في برزخه ويكلمه، وبعد أن تكلم سيدي كمال الدين الأخميمي مع سيدي عبد الرحيم القنائي قال يا سيدي أوصني، فقال:

{ يا بني لا تضيع نفساً بغير ذكر الله عز وجل فأنا كما ترى في روضات عالين ومع ذلك أقول يا حسرتا على ما فرطتُ في جنب الله }.

وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف:

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ إِلاَّ عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا } [١٦]

ولذلك فإن أحرص ما يحرص عليه الإنسان في هذه الحياة هو الوقت فإذا اجتمعنا فعلى ما نجتمع ؟ الطاعة تجمعنا نتعاون على طاعة الله:

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (٢المائدة)

كما كان أصحاب رسول الله، وكذلك أصحاب العارفين في كل زمان ومكان، لكن إذا جلسنا لنتكلم في السياسة والاقتصاد أو في الكرة أو في المسلسلات ؟ كما يحدث في هذا الزمان ! وماذا بعد ذلك وفي النهاية ماذا ستفعل بذلك ؟ فلو أن رأيي في هذه الأشياء يفيد أعرضه ! ! أما إذا لم يكن من ورائه فائدة ؟ فلتكن مع الله أفضل ! ! !

١٦ (طب هب) عن معاذٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

كأن أكون في سياسة النفوس التي تقربني إلى المليك القدوس، وبدلاً من أن أشغل نفسي بالحديث عن طابور الخبز اشغل نفسي بالحياة التي يقول فيها الله:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (٢٤الأنفال)

ومن يبحث منكم عن أنفاسه يصبح كما يقول الإمام أبو العزائم ﷺ

وليس الكل مطلوبا لهذا ... ولكن خص لبعض أفراد

فداري أهل عصرك واجتنبهم ... وواصلهم على قدر الضرورة

فمنكرهم يسئ ومن يسلم ... فقربه ولا تأمن شروره

٤

فأنا يا أخواني كما تعلمون أعيش في بلد ريفي، ويتمنى الجميع مصادقتي ومجالستي، لكن ليس لدي وقت، لأن من يريد مجالستي يريد أن يتكلم عما هو فيه.. إن كان في الكرة أو المسلسلات ولا وقت لدي لمثل ذلك !!

وكما تعلمون فإن منزلي أمام المسجد، ومع ذلك لا أخرج إلى الصلاة إلا بعد إقامة الصلاة، لكي لا اضيع وقتي مع هذا أو ذاك ! وعندما تنتهي الفريضة أخرج مسرعا، متعللاً بأني منتظر تليفون. أما لو أراد أحدهم أن يسأل سؤالاً شرعياً أو فتوى أو نصيحة فأهلاً وسهلاً ! أما غير ذلك فلا وقت لدي لأني أخش من القيل والقال فهي المصيبة التي حذر منها النبي ومما تجرُّ إليه وقال:

{ أَتَدْرُونَ مَنِ المُفْلِسُ»؟ قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ، وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ: «المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هذَا، وَقَذَفَ هذَا، وَأَكَلَ مَالَ هذَا، وَسَفَكَ دَمَ هذا، وَضَرَبَ هذَا، فَيُعْطَى هذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وهذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ

حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ } ١٧

فيقول أحكم : نجلس ولا نتكلم !، يعنى مستمع ، قال إبن عمر ﷺ :

{ نهانا رسول الله ﷺ عن الغِيْبَة وعن الاستماع إلى الغيبة }[١٨]

ومما اشتهر من الحكمة: { المُغْتَابُ وَالمُسْتَمِعُ شَرِيكَانِ فِي الإِثْمِ }

وفى مثل هذه الحال على أن استأذن، وأترك المجلس ! ! لأن بنى إسرائيل عندما وصفهم الله فى القرآن بالصفات السيئة قال:

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ (٤٢المائدة)

والكذب فى هذا الزمان هو آفة العصر، فأين الصادقون الآن ؟

فعلى الإنسان فى هذا الزمان أن يكون على أهبة الاستعداد للسفر منتظراً للنداء فى أى وقت وإذا كان كذلك فسيمشى على الطريق المستقيم

إذاً يا أحباب علينا الإقلال من مخالطة الأنام إذا كانت المخالطة تجرنى إلى الذنوب والآثام أو على الأقل بها غفلة عن الله ﷻ .

واغنم الوقت فى نوال نفيس بجهاد لمحت فيه رضاه

تلك هي الأشياء التى نستعين بها للوصول إلى الله الإقلال من الكلام، الإقلال من الطعام، الإقلال من المنام، الإقلال من مخالطة الأنام، . . . فماذا نفعل إذا: علينا بذكر الله ﷻ على الدوام، وهذا هو موضوع الباب القادم .

وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

١٧ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، رواه مسلم والترمذي وغيرهم، الترغيب والترهيب
١٨ عن ابن عمر فى مجمع الزوائد ، وأخرجه الطبرانى.

الفصل الخامس

ملازمة الأوراد باب الفتح والإمداد

٥

- ملازمة الأوراد
- الدرجات حسب المجاهدات
- متى تصبح النافلةُ .. نافلةً بحق ؟
- من هو المريد ؟
- الفتح الباطنى
- من لا ورد له لا ورود له
- البدن للأكوان والقلب للرحمن !
- آداب سورة الحجرات
- ذكر القلب

ملازمة الأوراد [١]

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

كان من آخر ما أنزل على سيدنا رسول الله ﷺ آيات سورة النصر، وذلك بعد أن جاهد في الله حق الجهاد:

فقد جاهد في تصفية نفسه قبل تكليفه بالرسالة بالخلوة الأيام المتتالية في غار حراء، ثم اختاره الله ﷻ لوحيه فجاهد في نشر دين الله وتحمل في سبيل ذلك ما لم يتحمله أحد من أنبياء الله ورسل الله، ثم هاجر إلى المدينة، وفتح الله عليه الفتوح، وانتقل الجهاد بذلك إلى طور آخر وهو جهاد الأعداء بالسلاح، وجهاد النفس للوصول إلى المقام المحمود .. بقيام الليل حتى تتورم منه الأقدام، والمداومة على الصيام، صيام الوصال، وذكر الله على كل حال، وبعد ذلك كله يقول له ربه في سورة النصر:

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾

الدرجات حسب المجاهدات

وإني أرى إخواني المحبين بارك الله فيهم .. ونحن جميعاً محبين، ونطمع في فضل الله بدون جهاد ولا مشقة، ونريد من الله أن يلبسنا ملابس الأولياء، وينزلنا في مقامات الأنبياء، ونكون في العطاء الإلهي من الأغنياء، في الدنيا من الأثرياء وفي الدار الآخرة من الوجهاء !! بدون تعب ولا عناء فهل يصح ذلك ؟

إن حال بعض إخواننا المحبين كما أراه الآن !! يدل على أنهم يظنون بصحة ذلك ! .. مع أن ما عرفناه أن أهل الله يقول فيهم الله:

---

[١] الجمعه ١٤٢٩/٦/١٦، ٢٠٠٨/٦/٢٠م، الدرس بعد الجمعة بنها قليوبية

﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (١٦٣آل عمران)

وهذه الدرجات تكون على حسب المجاهدات، فالسالك فى بدايته لتحقيق أمنيته نضع له روشتة بسيطة، ولا ينتقل منها إلى ما بعدها إلا إذا فتح الله قفل قلبه، وكان ذاكراً لله بقلبه بعد أن كف اللسان، أما إذا كان القلب لم يتحرك بالذكر بعد؛ فيجب عليه ألا يتخلى عند الورد طرفة عين على الأقل، وهذا الورد باختصار شديد .. أوله وقبل كل شىء:

هو المحافظة على الفرائض فى وقتها فى جماعة فى بيت الله، كما سأل سيدنا عبد الله ابن مسعود يا رسول الله:

{ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ ﷺ: الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا }[٢]

وذلك فى جماعة، وخاصة صلاة الفجر! فأين الذى يصلى منا فى جماعة فى بيت الله وخاصة الفجر؟

إن حالنا جميعاً يقول لسنا محتاجين لهذه الأشياء!! فأينما أدركتك الصلاة فصلِّ وحسب!!، ويقول الواحد منهم فى نفسه إن الأذان قد أذن وأنت فى المنزل! والماء موجود فى المنزل! وسجادة الصلاة أيضاً .. فصلِّ فى البيت! ولا داعى للذهاب إلى المسجد! فالجو حار ورطب!! هذا! ويعتقد فى نفسه أنه من المحبين، وأن المحبين سيكونون مع الصالحين، مع أن الشرع يقول:

{ إنّ العَبْدَ لَيُصَلِّي الصّلاةَ فَلا يُكْتَبُ لَهُ مِنْها سُدُسُها وَلا عُشْرُها وَإنّما يُكْتَبُ لِلعَبْدِ مِنْ صَلاتِهِ بِقَدْرِ ما عَقَلَ مِنْها)[٣]

فماذا تفعل إن تكون قد أخذت نصف الصلاة أو أقل! ماذا أفعل؟ رقِّعها!

---

٢ صحيح مسلم، عن عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُود
٣ بداية الهداية، ومراقى العبودية، وكثير بزيادات ونقصان.

كيف ؟ بالاستغفار بعد الصلاة . . . وبختام الصلاة . . . وبالنوافل القبلية والبعدية . . .وأرى أن بعض إخواننا يقولون ماذا نفعل بختام الصلاة ؟

يدعون أنه ليس ضرورة وتكفى الفريضة وآخرون يقولون لماذا النوافل ؟ علينا بالفرض وحسب ويتمسكون بشدة بحديث حضرة النبى الذى فيه:

{ قال: لا، إلاّ أن تَطَوّعَ. قال فأدْبرَ الرّجُلُ وَهُوَ يقولُ: وَاللّهِ لا أزِيدُ عَلَى هذا ولا أنقُصُ. قال رسولُ اللّهِ ﷺ: أفْلَحَ إنْ صَدَقَ } [٤]

حتى أنى أرى بعض إخوان لى يصلى معى فى المسجد أحياناً وبمجرد أن يسلم الإمام يخرج مسرعاً !، ويقف أمام المسجد ليتجاذب أطراف الحديث مع فلان وفلان لنصف ساعة ! ويحرم نفسه ركعتين سنة لله ! أو ختام الصلاة ! ومع ذلك يطمع أن يكون من أولياء الله فكيف ذلك ؟

إن ما تعلمناه فى روضات الصالحين . . من البدايات ! ! أن أصلى الفرض فى جماعة، ثم أختم الصلاة، وأنا فى المسجد لأنه، ربما إن خرجت قبل ذلك فإن شياطين الإنس لن يمكنونى من ختام الصلاة

متى تصبح النافلة . . نافلة بحق ! ؟

وثانى هذا الورد كذلك أن أصلى النوافل لله . . .

بل إن النوافل التى قبل الصلاة وبعدها لا تكفى السالك فى طريق الله، فلم نسمع من قبل أن هناك من سجّل فى ديوان الصالحين ! ! ولم تكن له قومة فى الليل !

---

٤ صحيح البخاري عن طَلْحَةَ بنَ عُبَيدِ اللّهِ ، وأوله :{ جاءَ رَجُلٌ إلى رسولِ اللّهِ ﷺ مِنْ أهلِ نَجْدٍ ثائرَ الرأسِ يُسمعُ دَويُّ صَوتِهِ ولا يُفْقَهُ ما يقول، حتى دَنا، فإذا هُوَ يَسألُ عنِ الإسلام، فقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: خَمسُ صَلَواتٍ في اليَوْمِ والليلةِ. فقالَ: هَل عَلَيّ غَيْرُها؟ قالَ: لا، إلاّ أنْ تَطوّعَ. قال رسولُ اللّهِ ﷺ: وَصِيامُ رَمَضانَ. قالَ: هلْ عَلَيّ غيرُهُ؟ قال: لا، إلاّ أن تَطوّعَ. قال وَذَكرَ له رسولُ اللّهِ ﷺ الزّكاةَ، قال هلْ عَلَيّ غيرُها؟.}

فى وقت السحر بين يدى رب العالمين ولم يدخل فى قول الله:

﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الذاريات)

أما الآن فإن إخواننا أيضاً يقومون الليل . . كيف ؟ ! قليلاً من الليل ما يهجعون لكن أمام التليفزيون وأمام النت ! ويا حبذا المباريات الأوربية ! التى يحرصون عليها أكثر من حرصهم على الصلاة الفجرية! وذلك لأنه حظ النفس والنفس ما زال فيها بقية ! ! !

لكن ما سمعناه وعرفناه من الصالحين أن قيام الليل عليهم فرض قد فرضوه على أنفسهم ولم يعتبروا قيام الليل نافلة لأنه سبحانه قال ﴿ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ أى هو ﷺ فقط أما هؤلاء فلم يتموا حق الفرائض لكي تكون لهم نافلة:

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (٧٩الإسراء)

الخطاب . . لك وحدك لأنك أتممت الفرائض أما نحن فمن منا يستطيع إتمام الفرائض ؟ . . فمن منا عندما يكبر تكبيرة الإحرام إلى نهاية الصلاة ولا يلتفت قلبه عن الملك العلام ؟ ومن يفعل ذلك يكون فى الملكوت الأعلى على الدوام لأن صاحب هذا الحال عندما يكبر تكبيرة الإحرام فإن يد من يديه للدنيا واليد الثانية للآخرة أى أن الدنيا والآخرة وراء ظهرى وها أنا مع ربى ! ويصبح فى مناجاة ومحادثة مع الله حتى ينتهى من الصلاة ! !

هل هناك أحد من الصالحين السابقين أو المعاصرين تفوته صلاة الضحى ؟لم أسمع عن ذلك وقد كانوا يدعون بعدها ويقولون: ﴿ إن الضحى ضحائك والبهاء بهاؤك والجمال جمالك ﴾ فصلاة الضحى هى التى تكمل الإنسان، وتجمل قلبه بالجمال والنور والبهاء، وهى التى يحظى بها الإنسان بـ

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ (الضحى)

إذاً الصالحون دائماً يؤدون الفرائض فى وقتها فى جماعة فى بيت الله، ويشعرون دائماً بالافتقار إلى الله، كذلك يؤدون النوافل والرواتب مع الصلاة، وختام الصلاة، وصلاة القيام، وصلاة الضحى ،وهى فرائض عليهم قد فرضوها على أنفسهم لكي يكملوا الصلاة لله جل فى علاه

وثالثاً . . الأوارد بعد ذلك . لماذا ؟ . يقولون من الجائز أن تكون هذه النوافل ! لم تكمل الفرض ؟ فعلينا أن نستغفر الله مائة مرة بالنهار ، ومائة مرة بالليل، لأن حضرة النبي الذى قال له ربه

﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٢الفتح)

كان يقول حاثا للأمة كلها من أولها لإلى آخرها:

{ إنِّي أتوبُ إلي الله واستَغْفِرَهُ فى كُلِّ يومٍ مَائة مرَّة } [٥]

أما إخواننا فيقولون لا نحتاج إلى الاستغفار بالمرة ! !، وإن استغفر الواحد منهم يوماً ! يترك الاستغفار بعدها أسبوعاً أو شهراً، وكأنه مستغنى ويشعر فقط أنه محتاج لملء الجيب وليس لستر العيب، أو أنه غير محتاج إلى ملء القلب من عالم الغيب ! ولكنه يريد أن يملأ الجيب بزهرة الدنيا وشهواتها وحظوظها الفانية ! ! وهى الداهية والمصيبة القاتلة التي سيطرت على إخواننا ! ! وجعلتهم مع أهل الدنيا وطلابها ! ! الذين ابتعدوا عن طريق رب العالمين ﷻ

أما نحن فنحتاج إلى ستر العيوب بالاستغفار، والدوام عليه لحضرة علام الغيوب، لأنك عندما تقرأ فى دواوين الصالحين تجد أنهم يتفننون فى الاستغفار لرب العالمين، . . . وتجد أن لكل واحد منهم صيغة خاصة به، وعلى سبيل المثال منهم من يقول وهذا كلام نردده بين يدي الله أثناء السجود :

---

٥ صحيح الألباني

{ يا عالم السر منا لا تكشف الستر عنا وعافنا وأعفو عنا واغفر لنا حيث كنا }

أما إخواننا فيعتقدون أنهم مستورين لأنهم محبون للصالحين ! وصحيح أنكم مستورون وستكونون معهم في الآخرة إنشاء الله، لكن في الدرجات لا ! لماذا ؟

لأن الدرجات بالمجاهدات :

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (فصلت)

إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ! فهو لا يريد أن يغير ما بنفسه ومع ذلك يريد أن يكتسب أنسه ويصبح من أصحاب التجليات والفتوحات ! !

من هو المريد ؟

والمصيبة الكبرى أن تسعة وتسعين في المائة من المريدين تسكن بداخلهم المشيخة !، ويري كل واحد منهم في نفسه أنه شيخٌ كبير، وإن كان يتظاهر بالتواضع، وعلامة المشيخة . . أن لا يريد أن يكون هواه مطابقاً لهوى سيدنا رسول الله، ويمشي على حسب حظه وهواه، وكل من على هذه الشاكلة تكون نفسه هي شيخه ! ! من المريد إذاً ؟ . . . . هو الذي سلم نفسه وهواه للحميد المجيد :

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ } [6]

لكن ما نراه الآن أن كل مريد بداخله شيخ عتيد ! ولذلك يعيش في الأوهام ! ويحاول أن يثبت لنفسه ولغيره هذه المشيخة على الدوام .

بل ومن الجائز أن يسخر به الشيطان، ويصور له منامات، ويعتقد بذلك انه مع

---

٦ السنة لأبي عاصم ، عن عبدالله بن عمرو

الصالحين، وهم منه براء ! !، ومن الجائز أيضاً أن يضحك عليه الشيطان، ويأتي له بوساوس وهلاوس فيعتقد أنه من أهل الإلهام ! ! ولو أنه فعلاً من أهل الإلهام لكان أول إلهام يأتيه أن يتخلص من نفسه على الدوام ! ! ويسلم نفسه وكله للمصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، قال تعالى (٦٥ سورة النساء):

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

وثمن الرياسة مصيبة كبرى ! ! ! وذلك لأن سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه قال فيه:

{ آخرُ داءٍ يخرجُ منْ قُلوبِ الصّدّيقين حُبُّ الرِّيَاسَةِ }

وبعض المريدين إن لم يجد من يترأس عليه؟ فانه يترأس على زوجته وعياله، ويعطيهم أوامر وتعليمات! ويصر على تنفيذ هذه الأوامر والتعليمات! مع أنه يجب أن يشاورهم في الأمر - كما قال الله - ولا مانع من أن يكون هناك قضية الرأي فيها لزوجتي، وقد فعل الحبيب ذلك في صلح الحديبية عندما أخذ برأي السيدة أم سلمة، وفي المعارك كان يأخذ برأي أصحابه، ! !

فمن منا يرضى أن يتنازل عن رأيه من أجل رأي إخوانه ؟ لا يوجد ومع ذلك يريد أن يبلغ المنى كيف ؟

هل كسرت الأصنام التي في فؤادك لكي تنل مرادك ؟ أبداً ! فالأصنام موجودة ! وانظر إلى الشهوات والحظوظ ! وانظر عندما يناديك أحد الناس ياسيدي الشيخ ! ماذا يحدث لك من الزهو ! والفخر ! كذلك عندما يقول لك أحدهم ادعوا لي ماذا يحدث بداخلك ؟، وانظر عندما يقبل واحد يدك ماذا

يحدث لك ؟ تشعر بنشوة عظيمة ! ! وهذه مصيبة المصائب التى هى سبب فى كل المعاطب ! ! ! لأن أى إنسان يشيخ نفسه . . يكون كالعنب الذى لم يطب ! وكل من يأكل منه يمرض .

الفتح الباطنى

لذلك يجب أن نلتزم بالأوراد التى يعطيها الصالحون للمريد فى البداية وهى:

- أن يستغفر الله مائة مرة بالنهار ومائة مرة بالليل .
- ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير مائة مرة بالنهار ومائة مرة بالليل .
- ويصلى على حضرة النبي مائة مرة بالنهار ومائة مرة بالليل .
- ثم يقول سبحان الله العظيم استغفر الله العظيم مائة مرة بالنهار ومائة مرة بالليل .
- وأن يكون له ورد يومي من القرآن على الأقل جزء

وهكذا يا إخوانى لأنهم قالوا:

{ من لا ورد له فلا وورد له }

وإلى متى أحافظ على هذه الأوراد ؟

إلى أن يفتح الله على فتحاً باطنياً، وليس فتحاً ظاهرياً، لأن الجميع يريد الفتح الظاهري ! مثلاً فلان فتح الله عليه أي أعطاه المال أو أعطاه درجة بين النفوس فى الدنيا ! أو نجح العيال ! وهكذا نعتقد أنها الفتوحات ! ! وهى ليست كذلك بالنسبة لنا: . . . فهل فتح الله لك فى قلبك باب تطالع منه وجه النبي ﷺ بلا حجاب ؟

فهذا هو الفتح ! وإن لم تكن قد وصلت لذلك ! فعلى من تكون شيخاً ؟ فى هذه الحالة يجب أن تضع نفسك تحت الطوب والطين لكي تبلغ المراد .

﴿ إدفن نفسك فى أرض الخمول؛ حتى تشرق عليك أنوار الوصول ﴾ و ﴿ وكل من رأى نفسه فوق التراب ضل ﴾ .

هل فتح الله ﷻ على قلبك فأصبحت ترى أن:

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (النور ٣٥)

وتسمع تسبيح الكائنات بأصناف اللغات ؟ وفقهك الله ﷻ تلك اللغات ؟ فإذا لم تصل إلى ذلك فأى فتح عندك ؟

هل فتح الله ﷻ على قلبك وكشف لك عن خزائن العلم الوهبى بعد أن طالعت وتعمقت فى العلم الكسبى لكى يعلمك ما لم تكن تعلم ويغمرك به !

﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (النساء)

هل كاشفك الله ﷻ بحقائق مملكتك ؟ فصرت ترى ما فيك من أغيار وما فيك من أنوار !وما فيك من أسرار وما فيك من حقائق أودعها فيك عالم الأسرار ﷻ ؟ فإذا لم تعرف بيتك !وهو نفسك فماذا تعرف بعد ذلك ؟ عندما أسأل واحد كم غرفه فى بيتك فيقول لا أعرف ما العمل ؟ إنك لا تعرف بيتك وهو قلبك فأنت حتى لا تعرف حدود مملكتك الظاهرة فكيف تطلع على أنوارها الباهرة ؟ وبالتالي كيف تكشف لغيرك ولم تكشف عن نفسك بعد الحجاب ؟

يا من لم يكشف عنه الحجاب ولم يرزق بمواهب الأحباب كيف تكشف عن غيرك الحجاب وأنت محجوب بالأسباب بعيد عن حضرة الوهاب ﷻ وتظن أنك من الأحباب وهو ظن يقول فيه الوهاب:

﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (١٢الحجرات)

فنحن والحمد لله كما قلت " محبون " وسنحظى بقوله ﷺ وبشراه:

{ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَلَهُ مَا اكْتَسَبَ } [7]

فبالمحبة نكون مع بعضنا يوم القيامة، ولكن تختلف المقامات بقدر المجاهدات . . لكلٍ ما اكتسب.

وأغلبنا تكون قيامة الواحد منهم عندما يخرج من الدنيا، ولكن هناك آخرون يقولون أننا مشتاقون ! !ولنجعل قيامتنا ونحن هنا فى الدنيا:

{ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ } [8]

وذلك لكي يحظوا بهذه الأنوار ويحظوا بصحبة الأخيار ،وبمعية النبى المختار وهم فى هذه الدار، وهؤلاء هم وراث الأنوار ! !

والباب مفتوح يا أحباب ! وما قلت لكم هذا القول على سبيل العتاب ! ولكن لأخبركم أن الباب مفتوح للأحباب ! وكل المطلوب أن يعلي الإنسان من همته وعزيمته ! وينظر بعين قلبه ويحاول أن يجاهد نفسه فى ذات الله ﷻ .

من لا ورد له لا وارود له

إذاً عليكم بالأوراد !

وإضافةٌ إلى ما تقدم من الصلوات والأذكار . . فلابد وأن يكون للإنسان ورد من الصيام، وأقله للعجزة والمرضى ثلاثة أيام من كل شهر، أما

٧ سنن الترمذي، عن أنس بن مالك ﷺ
٨ وتمامه { وَاعْبُدُوا اللَّهَ كَأَنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، وَاسْتَغْفِرُوهُ كُلَّ سَاعَةٍ } ، ابن لال في مكارم الأخلاق عن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ

للشباب فالاثنين والخميس تشبهاً بالمصطفى عليه الصلاة و السلام، ولا يصوم الشاب الاثنين والخميس ثم يأتي عند الإفطار ويعوض ما لم يأكله بالنهار !، لأنه بذلك قد ضيع نفسه ! ولن يحظي بمعية النبي المختار، فطعام السالك وقوته ذكر الله على الدوام، فلا يرى إلا ذاكراً، ولا يرى قلبه إلا وهو مع الله حاضراً، لسانه ذاكر، وقلبه بين يدى الله حاضر، وبدنه لنعم الله شاكر.

فهل هناك مريد لديه وقت للقيل والقال ! والتحسس ! والتجسس على الناس ! وعلى الأخبار وعلى الأسرار ؟ وكلما رأي أحداً قال ما أخبارك ؟ وما أخبار زوجتك وعيالك ؟ يريد أن يتحسس ! ! ويتجسس ! ! ويتلمس أخبار المسلمين والمسلمات ! ! !

وطالب أسرار الخلق لا يحظي أبداً بأسرار الحق ﷻ ! !

ابحث عن أسرار أخبار وأنوار سيد الأولين والآخرين ! ! ماذا كان يفعل فى المقام المحمدي ؟ وماذا كان يفعل فى المقام الأحمدى ؟ وكذلك المقام المصطفوي ؟ وراث الكتاب ما عطائهم من الله ؟ ما نصيب الأولياء من الله ؟

ومن يريد أسرار الحق ؟ . . عليه أن يبحث عن أسرار الرجال أهل الكمال ! أو أسرار الأولياء والصالحين ! أو أسرار المقربين مع سيد الأولين والآخرين ! أو أسرار الوجهاء فى قاب قوسين أو أدنى مع رب العالمين ! ! .

من منكم يحاول أن يذهب إلى قاب قوسين لكي يطلع فيها على أسرار الرجال ؟ إن كل ما يريده أن يطلع على أسرار الخلق فماذا تفعل بها ؟ لو فعلت ذلك فقد شغلت نفسك بما يشغلك عن ربك ﷻ ؟ ويهبط بك إلى أودية القطيعة ؟

فالإمام مالك ﷺ يقول في مذهبه أن من شغل نفسه بمن عن يمينه ومن عن شماله فى الصلاة عامداً متعمداً بطلت صلاته، لأنه هنا مشغول بالخلق عن الحق،

والإمام سعيد بن المسيب مكث أربعين عاماً لا تفوته تكبيرة الإحرام في مسجد المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وفى ذلك يقول: ﴿ مكثت أربعين عاماً لم تفوتني تكبيرة إحرام واحدة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علمت مرة منها من عن يميني أو من عن شمالي ﴾

وذلك لأنه مشغول بالله {الله في قبلة أحدكم}[٩] كما قال الحبيب ﷺ، ومثل هذا عندما يلتفت يأتيه الخطاب :عبدي إلى من تلتفت عنى ؟؟ هل هناك من هو أعظم عندك منى ! ! فتلتفت إليه عنى ؟ ! . . وهذا هو خطاب الأحباب فى مقام القرب من الوهاب ﷻ من منكم الذى سمع هذا الخطاب ؟

ومن منكم الذى سمع رد السلام فى التحيات والإنعام من المصطفى ؟ ألا تسلم على حاضر وهو يرد عليك السلام لأن السلام سنة ورده فرض .

البدن للأكوان والقلب للرحمن

أما نحن فمشغولون بأمور الدنيا ونريد أيضاً معها أن نكون كبراء فى الدين وأولياء وصالحين وهذا لا يكون أبداً إذ لا بد للإنسان أن يفرغ القلب لحضرة الرحمن

{ اجعل البدن للأكوان ولبنى الإنسان ولا تجعل فى القلب ذرة لغير الرحمن ﷻ }

وهذا هو جهاد العارفين والصالحين .

إذاً لا بد وأن يكون له صيام وأن يكون ذاكراً لله على الدوام، والأهم من ذلك أن يكف نفسه عن الذنوب والآثام ! ! . . فنحن لم نسمع عن أحد من أتباع الطرق أو من رواد الصالحين وينطق لسانه بغيبة أو نميمة أو سب أو

---

٩ روح البيان والعهود المحمدية ، وروى بأوجه أخرى بنفس المعنى تقريباً.

شتم أو لعن وما شابهها من الذنوب والعيوب ! ! وذلك لأن أتباع الصالحين المفروض أنهم أشبه الناس بالسلف الصالح الطاهرين الطيبين .

فهؤلاء يكون الواحد منهم مجملاً بالصمت، لا يتكلم إلا إذا رأى للكلام موضعاً ! ولا تخرج الكلمة من فيه إلا إذا تحقق بإخلاص النية أولاً في هذا الكلام لخالقه وباريه ، وتحقق ثانياً أن هذا الكلام سيرفعه عند الله ولن يكتب عليه به ذنب يضره أو يؤذيه ! ، أما أن يلقي الكلام على عواهنه فلا شأن له بالصالحين ! ! لأن قطط الصالحين وكلابهم مهذبة، فعندما دخلوا الكهف وقف الكلب على باب الكهف ورفع يديه ليسد الباب حتى لا يفسد أحد عليهم هذه الخلوة مع الوهاب ﷻ

قد فاز كلب بحب آل كهف . . فكيف لا أفوز بحب آل النبي

ولذلك ذكر الكلب معهم في القرآن :

﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ (١٨الكهف)

باسط ذراعيه ليسد الباب، لكي لا يدخل أحد من الأغيار يفسد عليهم خلوة الأنوار ! ، لكن عندما يأتي الأخ وهو الذي يدخل الأغيار للصالحين والأطهار ! ! عندما يقول لهم فلان فعل كذا وكذا ! وفلان صفته كذا وكذا ! فما لهذا وحضرات الصالحين ؟

لا شأن له بهذا بل إن عليه أن يجلس في مقهى أو في كافيتريا أو ما شابه ذلك ! لأن حضرات الصالحين يعلن عليها سيد الأولين والآخرين ويقول:

{ لا يُبْلِغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئاً فإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُم وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ } [١٠]

---

١٠ سنن أبي داود ، عن عبدالله بن مسعود.

أما هموم الدنيا فلا شأن للصالحين بها ! ! وعليكم أن تبثوا شكواكم فيها لمن يقول للشئ كن فيكون أقصد ته يوماً ورددك ؟أدعوته مرة ولم يعطك ؟ حتى عندما قال البعض ﴿إن من داوم قرع الباب يفتح له ﴾ قالوا إن هذا الكلام مغلوط لأنه متى أغلق الباب حتى يحتاج إلى من يقرعه .

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ (٦٠غافر)

والدعاء هنا مفتوح، إن كان بأدعية القرآن، أو بأدعية النبي العدنان، أو بلسان حالك فهو لا يحتاج إلى ترجمان ! ! وقد قال ﴿ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ ولم يقل أنظر فلماذا لا تذهب إليه في أي مكان ؟

فلإنه سبحانه لم يقل ادعوني في المسجد ! أو على عرفات ! أو أمام الكعبة ! ولكن في أي زمان ومكان وبأي نموذج !أين أنت يا رب ؟

﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾ ﴾ (الحديد) ٥

فلا يخلو منه زمان ولا مكان إذاً لا تشكو إلا لمولاك فالإجابة محققه وفورية حتى ولو كنت خطاء ومذنب وكلك ذنوب وعيوب:

﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ ﴾ (٥٣الزمر)

فماذا هنا لك بعد ذلك ؟

فإذا قلت: تبت . . يقول: وأنا قبلت !

وإن قلت: إلى حضرتك رجعت . .

يقول: وأنا بكل الفضل والعطاء والخير إليك عدت .

آداب سورة الحجرات

وبدلاً من أن يكون الإنسان مع الصالحين ! !

عليه أن يكون من الصالحين ، بالمحافظة على الجهاد ! ويحافظ على الأوراد ! ويجاهد النفس أولاً في البعد عن الفتن والمعاصي ما ظهر منها وما بطن ! وخاصة فتن اللسان من الغيبة والنميمة والتحسس والتجسس .

وأطلب من إخواني العلماء أن يذكروا إخوانهم في المجالس بسورة الحجرات، ويتناولوا في كل مرة خلقاً من الأخلاق المباركات فيها، وكذلك يعيدوها في المساجد للناس:

﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ وهي خطبة جمعة، ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ خطبة أخرى، ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ﴾ خطبة ثالثة، ﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (١١الحجرات)، ﴿ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾ (١٢الحجرات) خطبة رابعة، ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ ﴾ خطبة خامسة ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (الحجرات) . . وفي السورة آداب غالية وراقية وعالية . . . .

وهكذا لأني أرى الأحباب خلواً من هذه الآداب . . ولا يعرفونها ! وذلك لأن السابقون منهم يقعوا في هذه الأوحال فماذا يفعل اللاحقون ؟ إن أفضل عبادة هي ما تكسبك الورع هي حفظ النفس والجوارح من المخالفات وفيها قال ﷺ :

{ لاَ وَرَعَ كَالْكَفِّ } [١١] فأول عبادة هي أن يكف الإنسان لسانه ويكف يده ويكف كل أعضاءه عن الأذى وهي العبادة الحقة:

{ كُنْ وَرِعاً، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ } [١٢] والورع هو من اتقى المحارم . . :

{ اتَّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ } [١٣]

ذلك لأنك لو داومت على الأوراد ليل نهار ! ومع ذلك لا يكف لسانك عن الكلام ! فانك كمن يكسب في اليوم ألف جنية ! ونفقاته في اليوم خمسة آلاف جنية ! ! بذلك يظل مديون . . لكن الإنسان الذي كف اللسان والجوارح لو أنه لم يعمل في اليوم إلا حسنة واحدة فهو الفائز ! !

وبقي أمران أن يكون له نصيب من مدارسة العلم لقول الحبيب:

{إِذَا أَتَىٰ عَلَيَّ يَوْمٌ لاَ أَزْدَادُ فِيهِ عِلْماً يُقَرِّبُنِي إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ فَلاَ بُورِكَ لِي فِي طُلُوعِ شَمْسِ ذٰلِكَ الْيَوْمَ } [١٤]

والثاني أن يفك يده بالعطاء، ويتصدق على الفقراء، لقول الحق:

{ أَنْفِقْ يُنْفِقِ اللَّهُ عَلَيْكَ } [١٥]

وكل ممسك بيده ؟ يمسك الله ﷻ عنه الفضل، فكيف يأتيه فضل الله ؟ ورسول الله ﷺ يقول ويكشف السر عن ذلك لكل المسلمين :

{ مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ. فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ

---

١١ (الحسن بن سفيان، حب، حل، كر)، جامع المسانيد والمراسيل.
١٢ سنن ابن ماجه، عن أبي هريرة ﷺ.
١٣ سنن الترمذي، عن أبي هريرة ﷺ.
١٤ (طس عد حل) عن عائشة رضيَ اللَّهُ عنها، جامع المسانيد والمراسيل.
١٥ { عَنْ قَيْسِ بْنِ سِلْعٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ إِخْوَتَهُ شَكَوْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالُوا: إِنَّهُ يُبَذِّرُ مَالَهُ، وَيَنْبَسِطُ فِيهِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ آخُذُ نَصِيبِي مِنَ التَّمْرَةِ فَأُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَلَى مَنْ صَحِبَنِي، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدْرَهُ وَقَالَ: { الحديث } ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذٰلِكَ خَرَجْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَعِي رَاحِلَةٌ، وَأَنَا أَكْثَرُ أَهْلِ بَيْتِي الْيَوْمَ وَأَيْسَرُهُ.} رواه الطبراني في الأوسط، الترغيب والترهيب.

أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً. وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً } [16]

فكيف يعطي الله ممسكا ؟، إذ لا بد

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ (سورة البقرة)

ذكر القلب

وعلى الإنسان أن يواصل ذلك إلى أن يحتيي القلب . . .

فإذا إحتيا القلب . . فياهناه . . . عندها يذكر الله نائماً . . وقائماً . . وماشياً ... وقاعداً . . . وصامتاً . . . ومتكلماً . . . ويسمع قلبه وهو يذكر الله . . . . . وبذلك ينتقل إلى ذكر القلب .

وعلى الشيخ هنا أن يعطيه اللطائف القلبية، التي يذكر بها، لكي ترفع عنه الحجب، ويصبح من أهل المشاهدات . . . والمواجهات .

أين نحن يا أحباب من ذلك كله ؟

أردت أن أذكّر نفسي وإخواني بذلك؛ حتى لا يشكوني أحد إلى الله يوم القيامة بسبب ذلك فليس على إلا البلاغ

أسأل الله ﷻ أن يرزقنا جميعاً الانتفاع . .

وأن يعلمنا ما ينفعنا . . وأن ينفعنا بما علمنا . . وأن يرزقنا علماً نافعاً . . وعملاً رافعاً . . وقلباً خاشعاً . . ونوراً ساطعاً

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ

---

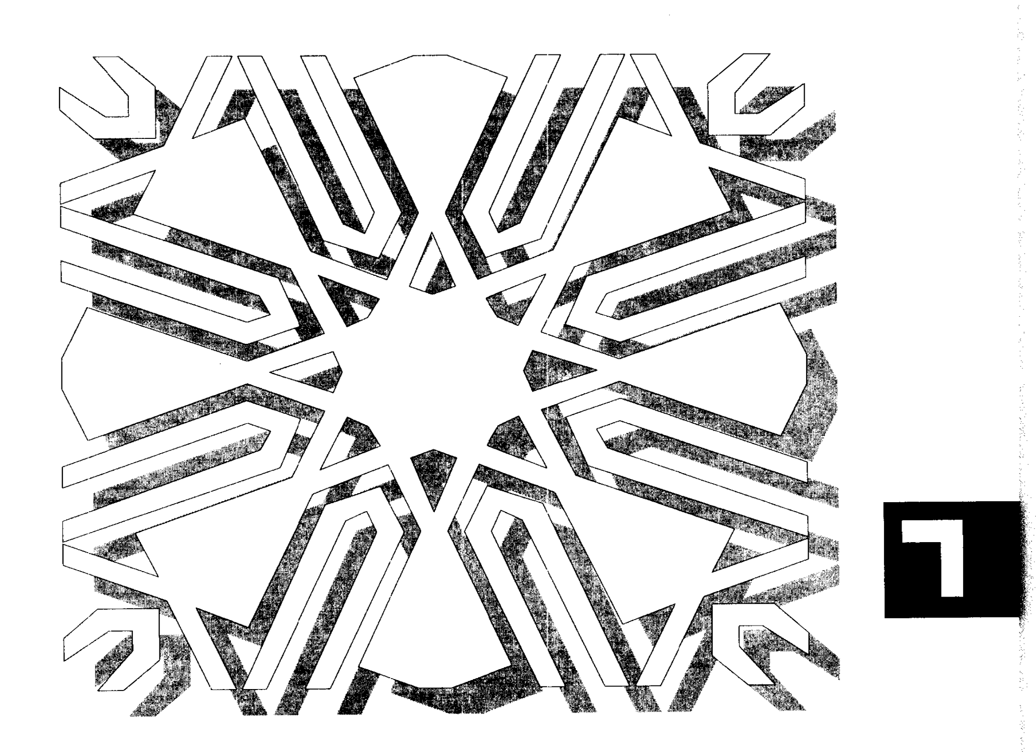
١٦ صحيح مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، والحديث له روايات عدة.



كُنُوز الفَتَّاح

- أولاً: الكنوز الحسية
- كنوز الفتاح
- ثانيا : كنوز المعانى
- كنوز الهداية والرعاية
- كنز الكنوز
- العبد الربانى
- من كنوز المعانى
- تخلية القلب للوصول إلى الله
- روحانية الرجل الصالح

٦



٦

كُنُوزُ الفَتَّاح[1]

أولاً: الكنوز الحسّيّة

الكنوز يا أحباب . . . كنوز الله ﷻ . .

منها كنوز حسية، ومنها كنوز معنوية.

وإن شئت قلت منها كنوز المباني . . ومنها كنوز المعاني.

وإن شئت قلت منها كنوز ظاهرة تراها عيون الرؤوس، ومنها كنوز باطنة لا يطلع عليها أهل النفوس . . وإنما يكشفها الله لمن اصطفاهم، ونقاهم، ورقاهم، ونظروا بعين القلب إلى معاني جمالات الرب ﷻ .

الكنوز الحسية أو الأرضية أو المُلْكِيَّة هي كنوز الخير الموجودة في عالم الدنيا، مثل كنوز الذهب، وكنوز الفضة، وكنوز الماس والزمرد، وكنوز البترول، وكنوز المعادن المعروفة أو النادرة والنفيسة كلها بأنواعها وأصنافها، وهي كنوز لا يصنعها الإنسان . . وإنما الذي يصنع الكل ويهيأه ويجهزه هو الرحمن ﷻ .

هل هناك من يستطيع الآن أن يصنع الذهب؟! التكنولوجيا العلمية هل تستطيع الآن أن تصل إلى سر صناعة الذهب؟ من يستطيع أن يصنع الذهب في أي أمة من أمم الأرض؟

١ يوم الجمعة ١٥/٨/٢٠٠٨م الموافق ليلة نصف شعبان ١٤٢٩هـ بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بالمعادى.

هل هناك من يستطيع أن يصنع البترول ؟ !هذه المواد لا يصنعها إلا الصانع ﷻ:

﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [٨٨النمل]

ويكشف الله ﷻ هذه الكنوز لمن يحب ومن لا يحب، لأوليائه ولأعدائه، لأهل الإسلام ولأهل الكفر، هل يحرِمُ الله ﷻ منها أحد ؟ أبداً ! !

وطريقة الوصول إليها العلم، واستخدام العقل والفكر، والأدوات الحسية الظاهرية، وهي الجسم والمعدات . . وكلما استطاع الإنسان أن يُعمل فكره أكثر، كان وصوله إلى هذه الكنوز أعظم وأكبر.

ولذلك كانت الأمم الكفرية، مع كفرها ! ! . . إلا أنها لها أوفر حظاً ونصيباً فيها ! !لأنها استخدمت الأسباب التى توصلها إليها كما اقتضت السنن الكونية التى أبدعها الله وجعلها نواميساً للكون الظاهر.

ثانيا : كنوز المعانى

لكن الله ﷻ خصّ المؤمنين والمتقين بكنوز المعانى . .

وكنوز المعانى يا إخوانى القراء الكرام . . . لا يستطيع أحد من الأولين والآخرين عدّها ولا حدّها . ! فكنوز الأرض عددها الآن معروف ومحدود، وتنفذ !، فالكنز الذي يكتشفونه . . يظل حتى يستنفذوه ! . لكن كنوز المعاني ليس لها عدٌ ولا حدٌ ولا مقدار ولا نفاد ! ! !

كنوز المعانى . .منها ما يشعر به الإنسان، ولا يحسُّه !،ولا يمسُّه !، ولا يلمسه !،ولا يستطيع النظر إليه !، لكن يلمس آثاره ويتمتع بوصوله إليه . . .

كنوز الهداية والرعاية

وأعظم كنوز المعاني . . كنز الهداية؟ . . ما وصفها؟

ليس لها وصف . . !، نحسُّ بها . . لكن هل نستطيع أن نلمسها؟ نحسُّها فقط !. لكن لا نمسّها . . ولا نلمسها . .، نشهد فينا آثارها . . ويتفجّر في باطننا؛ وليس لعيون ظواهرنا أنوارها، فأنوارها تراها عيون السويداء والقلب !

هذه الكنوز كنوز الهداية، كنوز العناية، كنوز الرعاية أي رعاية الله للعبد، فيها كنوز لا يستطيع أحد من الأولين ولا من الآخرين أجمعين ذكر أنواعها ! أو تعديد صنوفها، مثلاً قال تعالى [١٢٨النحل]:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

هذا كنز رعاية ! ! وهو المعية – كيف؟

هل فينا من يستطيع أن يعيش بدون رعاية الله ﷻ طرفة عين أو أقل؟

لو تخلت عناية الله ﷻ عنا طرفة عين لكنا في ألم وبين أشد من كل أنواع عذاب السعير، وكل ما جهزه الله في جهنم للكافرين والمشركين ! ! لكن بفضل الله علينا يوالينا بكنوز رعايته.

وكنوز العناية هي التى تحيط بنا من البداية للنهاية، فبسر العناية جعل أرواحنا نورانية، وجمعنا قبل القبل على حضرة خير البرية، وجعلنا بسر من عنده نشاهد أنوار ذاته البهية، ووضع فينا قبل القبل الاستعداد والتأهل لأن نكون مؤمنين صادقين بحضرته إذا جئنا إلى هذه الدار الدنية، أليس هذا كنزُ عناية؟

ما دورنا فيه؟ هل للعقل في هذا الكنز دور؟ هل للحس فى هذا

الكنز نصيب ؟ هل للعلم الظاهر إطلاع على هذه الكنوز وهذه المعانى ؟

لا يوجد ، وكنز العناية يلاحقنا فى النهاية حتى نخرج من الدنيا مسلمين مؤمنين ويلحقنا بالصالحين .

أين شركات التأمين ؟ ؟ . . . . التى تخرج لك وثيقة . . تضمن لك الخروج من الدنيا على هذا الدين ؟ !

إنها كنز عناية من الله ﷻ جعله للمؤمنين فى البداية وفى النهاية . . .

- كنوز العلم الإلهى .
- كنوز الإلهام التى يلهم بها الصالحين والمقربين . .
- وهذه كلها وأمثالها وأشباهها تسمى كنوزٌ معنوية لا ترى، ولكن يُرى آثارها ويستدل عليها ، لكن يستحيل على إنسان مهما كان أن يمسّها أو يلمسها أو يطّلع عليها [٥٦ القصص]:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾



كنز الكنوز

هل أحد معه مفتاح هذا الكنز ؟

الهادى ﷻ

هل أحدٌ يملكه من الأولين والآخرين حتى لنفسه ؟

لا يستطيع فما بالك لغيره ؟ !

ومن كنوز المعانى كنوزٌ تراها عين الفؤاد ، وعين القلب إذا خرج

الإنسان من سفل المباني، واتصل بعالم القرب والتهاني . .

منها كنوزٌ نورانية . . يشاهد الذوات النورانية كذوات الملائكة وهم نور، كحضرات الجنة وهي نور، كعوالم القدس الأعلى وهي نور.

وأعظم هذه الكنوز وسرُّ كل هذه الرموز هو نور الحبيب الأعظم ﷺ، لذلك يسمى الكنز المطلسم، من الذي يفك طلسمه؟

عبدٌ رباني لا شرقي ولا غربي:

﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ [٨٢الكهف]

من الذي عرف هذا الكنز؟

العبد الرباني

العبد الرباني . . ، هذه اسمها كنوز نورانية وهناك كنوز روحانية أيضاً من كنوز عالم المعاني تراها الأرواح بعد صفاة المشكاة من عالم الأشباح، فترى السر الساري في كل الكائنات، حياة الكائنات بماذا؟

بسر فيها من مبدع الكائنات، الذي يشهد هذا السِّر فقد شهد السِّر الروحاني الذي قامت به كل العوالم:

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٣٥النور)

وبسرّ حياته حييت، وبسرّ قوته قويت، وبسرّ نوره أبصرت ومشيت، أستمد منه ﷻ حياتي . . ولولا حياته ما كانت حياتي، فبحياته تظهر حياتي، وإذا قطع عني سرَّ حياته كان ذلك يقيناً مماتي.

من الذي يستطيع أن يعيش ويحيا من نفسه بدون :

﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ (٢٩الحجر) ؟ !

حتى الهوامش التى في الدنيا ! ! !

لا تستطيع أن تحيا ! إلا إذا نفخ فيها الحيُّ، وكل نفخة على قدرها، وأعلاها نفخة الروح في الإنسان، لأنه صاحب التكريم في هذه الأكوان:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [٧٠الإسراء]

لكن كل شيء في الوجود . . .

ليس له وجود ! . . إلا إذا أفاض عليه الربُّ المعبود سراً من أسراره عز وجل، به يستمد منه الوجود . . .

وبه يكون قائماً في هذا الوجود .

من الذي سيرى هذا ؟

يرى هذا من تفضل عليهم الفتاح فأضاء لهم حقيقة المصباح :



وجعلهم أرواحاً تحرك هذه الأشباح !

وليس أشباحاً تستمد حياتها من هذه الأرواح.

كنوزٌ يقول فيها الإمام أبوالعزائم رضي الله عنه للسيد الأعظم صلى الله عليه وسلم:

فتحت كنوز الهدى والأيادي   فقربت فضلاً بعيداً جهولا

ومن قبل كنا ظلاماً وجهلاً   فصرنا بطه رجالاً فحولا

وتحت هذه الكنوز رموز.

من كنوز المعاني

- فهناك كنوز النبي العدنان، ولا يستطيع فك شفراتها أحدٌ حتى لأهل العرفان.
- وهناك كنوز القرآن وقل ما شئت فيها، منها كنوز للبيان، ومنها كنوز للعيان، ومنها كنوز للوصل، ومنها كنوز للاتصال، ومنها كنوز للحكمة العالية، ومنها كنوز للعرفان.

وهذه الكنوز هي مقصد الصالحين، ومطلب المتقين، وطلبة الأفراد الروحانيين في كل وقت وحين، لأنها كنوز لا يستطيع أن يشاركنا فيها أحد من الأولين والآخرين..

من الذي سيشاركنا في هذه الكنوز؟!

من الذي يستطيع أن ينقل علومك الوهبية التى خصك بها ربُّ البرية، وجعلها لك أنت عطية ويعطى منها غيرك من أهل الخصوصية؟

لا أحد من الأولين والآخرين، لكن أيُّ علم في أي كتاب يستطيع أن ينقله ويضع عليه اسمه مع شيء من التصرف فيه، لكن العلم الوهبي::

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الكهف]

حتى النبي والرسول الذي من أولى العزم، لم يستطع أن يطلع على هذا العلم إلا بإذن من صاحبه[٢]، فهذه خصوصيات عاليات يقيم فيها الله عز وجل الرجال الصالحين في أعلى الدرجات.

[٢] إشارة إلى قصة سيدنا موسى والخضر عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام

من الذي يستطيع أن يمنع ما يلوح للقلب والفؤاد من مشاهد .. في حالة القرب والوداد ... إن كان من الحبيب الأعظم ! أو من العوالم القدسية ! أو من العوالم العلوية ؟ .. من الذي يستطيع من الجن أو الإنس أن يمنع عنك هذه المشاهد ؟

لا يوجد أحد !

لأنها مشاهد فردانية جعلها الله ﷻ منزلة لأهل الخصوصية، ميزهم بها في حضرته البهية، لا يشاركهم فيها غيرهم:

﴿ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ [٨الحجرات]

إن الكنوز الأرضية التى نريد أن نعيش فيها هى تَبَعٌ، فإذا وجهت كلك لله .. وخصك الله ببعض عطاياه .. فإن كنوز الأرض الحسية كلها .. تنادى عليك لتعطيك ما لك عندها ! وما كتبه لك الله !

ولذلك فإن كنوز سيدنا سليمان ليس كما يقول الجاهلون والغافلون أنها كنوز حسيَّة فقط، لكن كنوز سيدنا سليمان الأعظم كنز:

﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾ [٧٩الأنبياء]

٦

كنز الفهم عن الله:

﴿ وَكُلاًّ ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [٧٩الأنبياء]

كنز حكم النفس ،، لأن الإنسان إذا حكم نفسه تصرف في كل شيء بربه ﷻ.

وكنز العلم الوهبي الذي خصه به مولاه جل في علاه، فكنوز سليمان الأعظم معنوية، أما تسخير الجن والشياطين وكنوز الأرض فهى تأتى تبعاً.

لكن أنت جهّزك الله، وجعل في باطنك كل الأجهزة النورانية والروحانية والإلهية والقدسية، التي تليق بهذه الجمالات والكنوز الربانية، والعطاءات الإلهية، حتى أن الله قال في الكافرين:

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾ (١٧٩الأعراف)

فهي موجودة معهم ! . . لكن عطّلها المهندس الكبير ﷻ، لكن أنت معك المعدات وشفرات التشغيل، ومعك المهندس الأعظم الذي كلفه الجليل أن يعلمك ! . . ويعطيك الخبرة لتقوم بهذا التشغيل:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩ ﴾ [الفرقان]

به . . وليس عنه . . ، هل هناك أحد تائهٌ عنه حتى يسأل عنه ؟ !

حتى الكافرين ، قال تعالى في [٢٥ لقمان]:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾

فهل هناك أحدٌ لا يعرفه ؟ !

لكن اسأل به لتصل إلى جماله . . وكماله . . الذي خصه فيك ولك الخبير، فأنت معك الأجهزة والمعدات ! !، فتستخدم صنفرة الذكر لتكشف الصدأ الذي ران عليها . . من الغفلات . . والجهالات . . والمعاصي والذنوب . . والهفوات . . فهي التي تصدأ المعدات الباطنية الإلهية النورانية !

ثم تزيتها وتشحمها بالصلاة والتسليم على سيد السادات، فهذا هو زيت القلوب، وهو الزيت الذي تعمل به أوعية الغيوب . . ، وعند ذلك يتجلى الخبير

٦

فيكشف لك عن سر التشغيل الخطير، فتجد نفسك في طرفة عين . . . أو أقل إنساناً كبير . . وكل ما في الكون في أصبع يديك:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام)

مثل زملائه الموقنين . . وليس وحده ! !

فكشف له سرّ التشغيل . . وأذن له بالتشغيل:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٥٣ فصلت]

كل ذلك وقبل ذلك وبعد ذلك لمن ؟

لمن يولي وجهه نحو الله !

ويجعل الدنيا وهواه تحت قدمه !

ولا ينشغل عن الله ولا حبيبه طرفة عين ولا أقل !

ويكون همه كله لله ! وفي رضاء الله . . .

لا لدنيا . . ولا لعلو . . ولا لمشيخة . . ولا لمنصب . . ولا لرؤية منامية ولا لظهور بعلوم وهبية أو لدنية . . وإنما يريد أن يكون كتاباً مسطوراً سطّره الله ﷻ بالنور، لا يطلع عليه ولا يراه إلا لمن أذن لهم اللطيف الخبير ﷻ .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

٦

تخلية القلب للوصول إلى حضرة الله[3]

العامة يريدون الجنة، وطريق ذلك البعد عن المعاصي، والمحافظة على الفرائض المفترضة، والقيام بالآداب والحقوق والواجبات، فستصبح في أعلى الجنات . . ، أما الخاصة؛ فنقول لهم:

أقبل على القلب، ثم صفّيه . . ، ونقّيه . . ، وتملأه بذكر الله . . فيحلّيه لك الله . . ، فنحن علينا التخلية والله هو الذي يحلّيه.

كثير من المريدين يقولون هو يعمل كل شيء ؟ ؟أين دورك . . إذاً ؟

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت]

فعليك التخلية، أن تخلي البيت من الشواغل الكونية، فإذا أخليت البيت من الشواغل الكونية والحظوظ النفسية والأهواء الدنية، وجعلته جاهزاً لرب البرية، فوراً ينزل الله أنواره . . ليجهزه . . ثم ينزل أسراره لينمّيه، ويقويه . .

ثم يأتي قائد العناية الأعظم ﷺ، ينزل فيه !، ثم تأتي بعد ذلك التجليات، والفيوضات، والتنزلات، ونسمات القدس، وحضرات الأنس، وبواده اللطف . .

بعد ذلك أصبح هذا القلب جاهزاً لمنشأه ومبدعه وباريه، يحل ﷻ بجمالاته وصفاته العالية فيه، وهذا الذي يقول فيه:

{ إِنّ السّموَاتِ والأَرْضَ ضَعُفْنَ عَنْ أَنْ يَسَعْنَنِي، وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي المُؤْمِنِ الوَادِعِ اللّيِّنِ }[4]

---

٣ مدينة السادس من أكتوبر يوم الجمعة ٢١ من شعبان ١٤٢٩هـ الموافق ٢٢ أغسطس ٢٠٠٨م

٤ الدرر المنتثرة ، أحمد في الزهد عن وهب بن منبه

الذي جهزه المولى عَجَلَكَ وجمله وحلاه ورقاه وحباه وأدناه.

إذاً الذي عليك تعمله !، ثم بعد ذلك تطلب الله، وتستغيث بالله، وتلح على حضرة الله وتقول له:

عملت بجهدي ما علي ! ولم أعمله إلا بمعونتك ! وتوفيقك !وليس بمهارتي أو شطارتي، إذاً لا بد للإنسان من دور وهو التخلية، والتخلية هي حجر الزاوية.

هناك من العارفين من خلا قلبه في سبع سنين !!، ولم يخل إلا عندما أخذ نفسه.. وذهب إلى جبل.. وأخذ يحلي قلبه... ويخليه...

أولاً: يكسر الأصنام التي فيه، سيدي أبي العباس المرسي قال:

{ إنما الفتى من كسَّر الأصنام، لأنهم قالوا: ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنبياء] }

وكما كسَّر إبراهيم الأصنام الحسية، فلكي تبلغ مقام الفتوة لا بد أن تكسر في قلبك الأصنام المعنوية: الحظ صنم...، والهوى صنم..، والشهوة صنم...، بالفأس.. وهي قوة العزيمة التي نأخذها ونستمدها من الشريعة المحمدية.. والحضرة الأحمدية.

٦

ثانياً: يجهز القلب بصفاء، ونقاء.. لحضرة الرحمن جلَّ وعلا.. بالمداومة على الذكر، قال ﷺ:

{ مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلاً أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ } ٥

مداومة الذكر والاستغفار، والصلاة على حضرة النبي المختار، مع الاستحضار... وهذا هو الجوهر الذي يعترض عليه الأشرار !!!

---

٥ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ أخرجه ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالطَّبَرَانِيُّ

وهي كلمة السر التي يعتمد عليها الأخيار ! !

لماذا ؟

لأنني من الممكن أن أذكر آناء الليل وأطراف النهار؛ وسأكتب من الذاكرين وسيوضع لي في سجلات الذاكرين الأجر والثواب عند ربِّ العالمين ! !

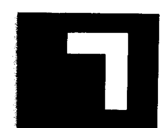
لكن ما الذي سيوصلني إلى رتبة الصالحين ؟

روحانية الرجل الصالح

لا بد أثناء الذكر، والفكر، والعمل، . . لا بد من أن أستحضر روحانية رجل من الصالحين. . .

روحانية هذا الرجل تمنع عني إبليس. . والتلبيس . . والخواطر المردية، حتى تتنزل في قلبي جنود اللطف الإلهية.

هذا الكلام لا يقال للغافلين لأنهم يقولوا كيف تستحضر واحد ؟



الذي أمر بذلك الواحد ﷻ :

﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ [٢٤يوسف]

ما هو برهان ربه ؟

قيل رأى صورة أبيه وهو سيدنا يعقوب، وهذا هو الذي منعه، لذلك سيدي أبي الحسن الشاذلي ﷺ في درس من دروسه يقول:

{ لا يكون الرجل رجلاً حتى يمدَّ مريديه من وراء حجاب }

أحد الجالسين كان اسمه الشيخ ماضي أبوالعزائم (جد الإمام محمد

ماضى أبوالعزائم الأعلى) لم يهضم هذه الكلمة . . فانظر ماذا حدث ! !

يحكي عن نفسه فيقول:

ذهبت أتريض على شاطئ البحر، وقعدت عند القلعة، ووضعت رأسي في حجري، وإذا بفتاة تأتى فهممت بطردها، فقالت لي: لا بد لي منك، قال: وأخذت تلعب بي كما يلعب الإنسان بالعصفور، حتى هممت بإتيانها، وجلست بين فخذيها، وإذا بيد تمتد وتنتشلني.

قال: فأخذني همٌّ عظيم، لأنى علمت أن هذه يد الشيخ، وأني أصبت من اعتراضي في باطنى على الشيخ.

فذهبت إلى المنزل، ولم أستطع الخروج.

وإذا بالشيخ يسأل أين ماضى؟ فقالوا: إنه مريض، فقال: لا بد أن تأتوا به، قالوا: لا يستطيع الحركة، قال: احملوه وأتوا به إلي.

قال: فحملوني وأخذوني إلى الشيخ فأخلى المكان، وإذا به يقول لي: ياماضي! ما اليد التى امتدت إليك لتنقذك؟ قال: فسكتُّ، قال: يا ماضى ! لا تعترض على قولي "لا يكون الشيخ شيخاً حتى يمد مريديه من وراء حجاب".

فلا بد للإنسان إذا أراد الدرجات، وأراد أن يكون من أهل المقامات . . لا بد له أن يستحضر صورة الشيخ فى باطنه . . حتى يستمد !

فإذا أكرمه الرحمن يحسُّ بأنه يتفسخ ! . . ويتحلل ! . . والذي يظهر فيه الشيخ، فتكون يد الشيخ هي التى تمتد، ولسان الشيخ هو الذي ينطق، فيكون دخل في دائرة الفناء ! وبسرِّ هذا الفناء . . ينال النور والبهاء بسرِّ قوله ﷺ :

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ ليس في الآخرة ولكن هنا ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [١٢٢الأنعام]

وهذا هو سرُّ الأسرار . . . سرُّ الأسرار الذي ينال به الأخيار مقام القرب عند العزيز الغفار .

وهؤلاء:

لا يخافون من نار ! ولا يطلبون جنة !

وإنما لا يطلبون من الله إلا الله ! ولا يرجون من الله إلا رضاه !

ولا يتعشمون في وجه الله . . إلا ليكونوا قريبين من حضرته ! ! ! ويتملون بنوره . . وجمال وجهه ! ! وبهاه !

لا يطلبون كرامات ولا يطلبون مريدين ! ولا مريدات !

ولا يطلبون ظهوراً بين الخلق ! ولا يطلبون شهرة بين الناس !

إنما كل ما يريدونه هو وجه الله:

"رضاك محبوبي ووجهك مقصودي وكلك مطلوبي"

هذا هو السرُّ، من الذي يبوح بهذا السر أمام أحد الجهلاء ؟

حتى أن السرّ لا يباح للإخوان، لو كان فيهم واحداً غريب . . لأن الإمام أبو العزائم ﷺ علمنا هكذا فقال:

{ لو كان في المجلس ألف رجل من مقام الإحسان ورجل واحد من

أهل مقام الإسلام فلا على الداعي أن يضيع ليلة بأكملها يتحدث في مقام الإسلام حتى لا ينكشف السر لغير أهله }

لأن هذه خصوصية لمن أرادوا أن يكونوا من أهل الخصوصية فقال فيها:

{ صورة المرشد تمنع واردات الحسِّ عن القلب، فيكون الحسُّ تحت سلطان القلب، والقلب يتلقى من الله ﷻ }

فصورة المرشد تمنع كل الواردات الحسية التى تؤجج فيك الشهوات والحظوظ والأهواء لأنها مفتوحة . . . لكن هذه الستارة التى تستر الحواس ! تجعل القلب متجهاً كله إلى وجه رب الناس ﷻ .

فهذه أحوال العارفين . . .

ولا تذكر إلا للصادقين الطالبين الذين يريدون الأحوال العالية .

لذلك هم يريدون الإختصار، لأن النفس الواحد عندهم أغلى من النفيس، ليس عندهم وقت فالمطلوب عظيم، وأنفاسك نفائسك . . .

لأن النفس الواحد من الممكن أن يبكي عليه عشرات السنين لأنه سيحجبه عن ربّ العالمين ﷻ .

٦

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل السابع

الصيام بابٌ للفتح العرفانى



- إعجاز خطاب الله
- صيام الخواص للفتح
- الصيام عن اللهو
- الصيام عن اللغو
- لا وصول لأهل الفضول
- الصيام عن السهو
- سرُّ صوموا لرؤيته
- من يسأل عن الله ؟
- مبطلات صيام الخواص

أولاً : صيام المؤمنين ، ثانياً : صيام المحسنين

ثالثاً : صيام خاصة الخاصة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن كنتَ أظهرِ غيباً هل عندكم تسليم
غيباً وغيباً عليا لم يبده تعليـــم

سنتحدث فى هذا الفصل عن بعض الإشارات في خطاب الله ﷻ للمسلمين، والمؤمنين، والمحسنين، والموقنين . . في آيات الصيام

وسيكون حديثا منصبا على كون الصيام باباً عظيماً من أبواب الفتح العرفانى ، الذى هو موضوع كتابنا هذا . . . كيف يكون ذلك ؟

إعجاز خطاب الله

إعجاز خطاب الله– فى كتاب الله– أن نفس الخطاب يخاطب جميع الطلاب، في جميع الدرجات الإلهية، بنفس الألفاظ والعبارات القرآنية . .

لكن كل واحد منهم، يلتقط من المعاني الغيبية، والإشارات الرحمانية، والأسرار القرآنية ،ما يليق بمرتبته عند رب البرية ﷻ :



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾

فهم منها قومٌ أن الخطاب لكل المسلمين، وهذا حق في علم التشريع .

وخص بها قومٌ الحقائق التي بها الإيمان عند المتقين، وكأن الله ﷻ يخاطب فينا القلب . . والفؤاد . . والروح . . والسر . . والخفا . . والأخفي . . ونفخة القدس . . لأن هذه هي الحقائق التي آمنت إيماناً كلياً يقينياً ، بكل الحقائق

القرآنية وبكل البيانات الإلهية:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (١٨٣البقرة)

كما كتب علي الجسم، والجوارح، والنفس، وهذا صيام العوام.

صيام الخواص للفتح

أما صيام الخواص فهو للفتح.

فهناك صوم للأجر والثواب، وهناك صوم للفتح عند الكريم الوهاب.

أما الصوم الذي للأجر والثواب فصيام الجسم والجوارح إذا أناب العبد لله ﷻ ليعظم أجره، فإذا صام بجسمه أطاع، وإذا صام بجسمه وجوارحه نال أعظم الأجور عند الله ﷻ لمن أطاع.

وأما صيام الفتح وأهل الفتح ذكره الله في كتاب الله فمنهم من قال:

﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ ما صيامك؟ ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ (مريم)

هذا صيام . . ، والصمت ممنوع في دين الله، إذاً مع من يتكلم ؟

يتكلم مع الروحانيين ! والنورانيين ! والملائكة الكروبيين ! وأهل عالين ! وعليين . . أو يتكلم مع من علت روحانيتهم علي بشريتهم ! ! فأصبحوا وهم في الأجساد الآدمية أرواح إلهية ! ! تسكن في هذه الأجساد الآدمية . . وتتحرك بين الناس . . وإن كانت تسوح بالقلب ! والروح !

في ملكوت رب الناس ﷻ .

ومنهم من قالوا له إذا كنت تريد الفتح فلك آية:

﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (١٠مريم)

تصوم عن الكلام مع الأنام لتتكلم مع الله ﷻ . . يأتيك الله في ظلل من الغمام، ونعود فنكمل آية الصيام . .

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾

الصيام عن اللهو

أي الصيام ؟ صيام العوام عن الشراب . . والجنس . . والطعام . .

ولكن يتركون لأنفسهم الحبل على غاربه ! تلهو وتلعب وتسرح وتمرح وتشاهد المسلسلات ! وتقضي الوقت في اللهو وفي الدومينو وفي الكوتشينة وفي الطاولة ! بحجة أن هذا تسالي للصيام وتقطع الوقت في القيل والقال ! ولو في غيبة أو نميمة !ولا يحاسب نفسه علي ذلك ! !

إنه بذلك دخل في قول المصطفي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام:

{ ورُبَّ صائمٍ حَظُّهُ من صيامِهِ الجوعُ والعَطَشُ } [1]

٧

هذا صيام العوام ! !، ومن هنا فبداية الصيام لمن أراد رضاء الملك العلام، أولاً الصوم عن اللهو بكل أنواعه وكافة أشكاله، يصوم عن جميع الملاهي التي تلهي الإنسان عن طاعة الله . . حتى قال الله:

---

١ عن أبي هريرةَ سنن الكبرى للبيهقي

﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٩المنافقون)

حتى ولو كان المال والولد، كل شيء كما قال الإمام الداراني ﷺ :

"كل ما شغلك عن الله حتي ولو مال أو ولد فهو عليك مشئوم"[٢]

فالصيام لأهل البدايات هو الصيام عن اللهو، ليس عند المؤمن وقت للهو لأن الحياة الدنيا لعب ولهو، والمؤمن يعيش في الدنيا في الآخرة وهو بين الأنام منزاحه حق ولهوه حق وكل أعماله يثيبه عليها الحق لأنه تأسي فيها بالمصطفي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ولا عبرة له بما يفعله بقية الأنام لأنه يعمل بقول الله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ ﴿ (٢١) سورة الأحزاب ﴾، إذاً متي يضع الإنسان قدمه قدم الصدق في طريق الصائمين الصادقين؟ إذا صام عن اللهو.

إذاً من يجلس يضيع الساعات في نهار رمضان في مشاهدة المسلسلات ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، أو تسجية الوقت بمشاهدة الأفلام ويعتقد أنها مباحات ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، أما من يقضي وقته بشيء من اللعب فهذا يدخل في قول الحبيب:



{ اللاَّعِبُ بالنَّرْدِ كَوَاضِعِ يَدِهِ في لحْمِ الخِنْزِيرِ، وَالنَّاظِرُ إِلَيْها كَوَاضِعِ يَده في دَم الخِنْزير }[٣]

والنرد لغة فارسية تشمل الطاولة والدومينو والكوتشينة و الشطرنج، فاللعب بكل هذه الألعاب للتسلية فسيكون كغامس يده بلحم الخنزير، وحتى تضييع الوقت بمشاهدتها ففيه مافيه ! أما إذا كان يلعب فيها ويتسابق علي شيء محدد فهذا قمار

٢ حلية الأولياء ، وتفسير روح البيان وغيرها.
٣ عن ابن عمر، رواه الطبراني في الأوسط، والأحاديث فيها عديدة

وحرمة القمار معروفة، والمؤمن ليس عنده وقت يضيعه، فما بالنا لو صائم ! !

الصيام عن اللغو

إذا أراد أن يكون له عند الله مقام لا بد أن يرتقي درجة عن هذا المقام، فبعد أن يصوم عن اللهو لا بد أن يصوم عن اللغو، عن لغو الكلام، وهذا هو الصوم الذي يوصل العبد إلي مراقي الصالحين، متي يقف العبد علي أول طريق الصالحين ؟

إذا استطاع أن يصوم عن اللغو في كل وقت وحين، ليس في رمضان وإنما في كل الأحوال:

{ إذا كانَ يومُ صومِ أحدِكم فلا يَرفُثْ ولا يَصخَب } [٤]

والتوجيه الآخر موجه للصالحين وطلاب مصاحبة ومرافقة الصالحين:

{ إذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ، وَبَصَرُكَ، وَلِسَانُكَ عَنْ الْكَذِبِ، وَالْمَآثِمِ، وَأَذَى الْخَادِمِ وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ وَلا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَيَوْمَ صَوْمِكَ سَوَاء } [٥]

وهذا هو بداية الفتح، ففى سورة مريم :

﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾



بكلام يغضب الله، لكن إذا وصيته أو نصحته أو وجهته فليس هذا بالكلام الذي يفسد أو يبطل الصيام، لكن المقصد في الآية الكلام الذي يبطل الصيام وهو اللغو الذي نهى عنه الله.. :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ (المؤمنون)

٤ عن أبي هريرة، صحيح البخاري.
٥ شعب الإيمان وفضائل الأوقات للبيهقى، قاله جابر بن عبدالله.

لكن إذا كان الكلام في الغيبة والنميمة والسب والشتم فهذا كلام يبطل الصيام، وهذا ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش.

لكن اللغو هو التسلية أي نتكلم كلام لا يسئ إلي أحد، لكن ينسي المرء ذكر الواحد الأحد، مثل الكلام في الكرة والكلام في السياسة والكلام في أي موضوع حتي يضيع الوقت !!، هل المؤمن عنده وقت يضيعه؟! أحرص ما يحرص عليه العبد في حياته أنفاسه التي يتنفسها في هذه الحياة !! فإن النفس الواحد أغلي من الدنيا كلها من أولها !! إلي آخرها !! بما فيها !! عند الله جل في علاه !!.

فالصيام عن اللغو هو بداية صيام أهل الفتح.

ولذلك إذا وجدت نفسك لا تستطيع إمساك لسانك عن لغو الكلام !! فاعلم أن طريق الفتح عليك مسدود، وإذا أردت أن تسود وتفتح لك الكنوز ويواجهك الله ﷻ بما واجه به الصالحين؟ فعليك بقول سيد الأولين والآخرين:

{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ ، وَابْكِ عَلَىٰ خَطِيئَتِكَ }[٦]

وبيتك هنا أي قلبك، ويسعك بيتك أي تعكف علي قلبك تصلحه وتنظفه وتطهره وتعمره بما يحبه الله .. لأنه الموضع الذي يتجلي فيه الله لأحباب الله بالفتح الذي أعده للصالحين من عباد الله.



لا وصول لأهل الفضول

وهنا علامة صغيرة من علوم سيميا العارفين، نحن نقول:

{ إذا رأيت المرء لا يكف عن الفضول فاعلم أنه لا أمل له في الوصول!}

---

[٦] عن عقبة بن عامر ، جامع المسانيد والمراسيل،(حل، هب)

ما هو الفضول ؟

يريد أن يعرف كل شيء ! !، مثلاً أحد جيرانه خرج، يريد أن يعرف لماذا خرج وسبب خروجه ؟ ولو طلب أحد جيرانه رؤية أحد !، يريد أن يعرف لماذا طلبه ؟ وفي أي شيء سيكلمه ؟

إذا لم يستطع الإنسان أن يقطع هذا الفضول ! فلا أمل له في الوصول .

سيدي ذي النون المصري ﷺ جاءه رجل من جدة (الحجاز)، وقال له: ياسيدي سمعت أنك تعرف إسم الله الأعظم فجئت إليك طامعاً أن تعلمنيه .

فقال له امكث عندنا، فمكث إحدي عشر عاماً والشيخ يراقبه ! لعله يقطع فضوله، ووجد أن الفضول لا يقطع من عنده، ولا يستطيع أن يبيح له بشيء من سره ما دام الفضول كامن في نفسه !، والصالحون لا يبيحوا للمريدين شيئاً من علوم رب العالمين إلا إذا كان أعمي لا ينظر إلي أحد ! ولا تقع عينه إلا علي نور الواحد الأحد !، أصماً لا يسمع إلي الناس ! ولا تنتبه أذنه إلا إلي سماع كلام رب الناس أو سيد الناس، أخرص فلا كلام إلا إذا كان ذكر للملك العلام .

فجاء الرجل بعد الإحدي عشر عاماً، وقال ياسيدي قد طالت مدتي وأريد أن أرجع إلي أهلي فعلمني إسم الله الأعظم، فقال تريد أن تعلم إسم الله الأعظم، قال نعم، قال غداً إن شاء الله، وفي الغد جهز له صندوقاً وقال له خذ هذا الصندوق وأوصله إلي أخي فلان بالروضة — وكانوا في الجيزة .



حمل الرجل الصندوق ومشي علي كوبري الجيزة ،وإذا به يسمع خرخشة في الصندوق ومعه الفضول، فقالت له نفسه أتحمل الصندوق ولا تدري ما الذي فيه هذا لا يصح !، والمريد دائماً يستمع إلي خواطر النفس ويسارع في تنفيذها ومع ذلك يطمع أن يفوز بمراد الله ﷻ وهذا عجب العجاب ! ! ﴿ وخالف النفس

والشيطان واعصهما ﴾ فأين مخالفة النفس ؟ ! ! !

فكشف غطاء الصندوق- وكان الشيخ قد وضع فيه فأرة- فقفزت الفأرة في النيل ولم يستطع إرجاعها، فرجع الرجل إلي الشيخ حزين كاسف البال، فعرفه لشيخ عندما رآه، قال أوصلت الأمانة ؟ فسكت، قال: يا أخي تريد أن تعرف إسم الله الأعظم وأنت لم تؤتمن علي فأرة ! !

إذا كنت لم تؤتمن علي فأرة فكيف تؤتمن علي إسم الله ﷻ الأعظم ؟ ! . ، لا بد لمن يريد الفتح:

هذب النفس إن رمت الوصول   غير هذا عندنا علم الفضول

ونحن نقول ثانية وبطريقة أخرى علنا نسمع فنعقل ! ! :

{ من معه الفضول لا يسمح له بالوصول }

كان المريد من المريدين الصادقين يصحب الشيخ سنين وربما يمتحنه بعض إخوانه الصادقون فيقولون له: تعرف فلان الملازم للشيخ - ما الذي كان يلبسه اليوم ؟ فيقول لا أدري، صف لنا شكله ؟ فيقول لا أدري ! !، أي . . أنا لا شأن لي إلا بالشيخ ! ولا أشغل نفسي بما حول الشيخ ! ولا ما عند الشيخ ! .



عندما أراد الله ﷻ أن يواجه إبراهيم وإبنه إسماعيل بجمال الله وكمال الله وفضل الله، أرسلهما إلي مكان ليس فيه شيء من مشاغل هذه الحياة . . ليتفرغا بالكلية ! ! إلي فضل الله وعطاء الله:

﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾ لماذا ؟ ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ﴿ ٣٧ إبراهيم ﴾

كيف يقيم القلب الصلة بالله ! ! وهو مشغول بالشهوات والحظوظ

والأهواء في هذه الحياة؟ هذا لا يكون ! !، وَحِد حتى تنل المقصد ! !

فلا بد من الصيام عن الفضول، والفضول يلخصه لنا الحبيب ﷺ فيقول:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يعْنِيهِ } [٧]

ما دام شيء لا يعنيني لماذا أشغل نفسي به ؟ ! أشغل نفسي بما ينفعني أو بما يرفعني، بما ينفعني في الدنيا أو بما يرفعني عند الله ﷻ، أما الذي يدفعني عن الله ﷻ وعن طريق الله وهو شغلي بخلق الله – فلان عمل إيه وفلان سوى إيه وفلان كسب إيه وفلان ركب إيه – مالي ولهذا الأمر ! ! ! إذا كنت مُعيناً في الجهاز المركزي للمحاسبات فمارس وظيفتك، لكن لماذا أنت تعين نفسك ؟ ! عين نفسك في الجهاز المركزي للمحاسبات علي نفسك، حاسبها علي هفواتها، وعلي صغائرها، وعلي خطراتها، وعلي وارداتها، وعلي أفعالها، حتي تنال رضاء الله ﷻ، وهذا ما قال فيه الحبيب:

{ طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النّاسِ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ }[٨]

إذاً لمن يريد الفتح لا بد من الصيام عن اللغو ومعه الصيام عن الفضول لمن أراد الوصول . . فلكل شيء أصول . . . .

الصيام عن السهو

إذا صام الإنسان عن لغو الكلام، واختاره الله ﷻ واجتباه ليكون من أهل الفتح العرفاني، وجهه نحو قلبه، ووجه قلبه إليه، وأعانه علي الصيام الموصل . .

---

[٧] سنن الترمذي ، وموطأ مالك وصحيح ابن حبان ، عن أبي هريرة
[٨] (فر) عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل

وهو الصيام عن السهو ! ! ! لا يسهو لحظة عن مولاه . . إن كان في نوم أو في يقظة أو في أكل أو في شرب أو في نكاح أو في عمل:

﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (٣٧النور)

هذا لا يسهو ! وإن سها الساهون ، ولا يغفل ! وإن غفل الغافلون، وإنما هو المقصود بقول ربّ العالمين:

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (١٩١آل عمران)

ومعناها الظاهر نحن نعرفه، لكن معناها الحقيقي لأهل الحقيقة قياماً بحقوق العبودية لله، وقعودا عن رؤية النفس وفعلها، وعلي جنوبهم ماتت نفوسهم وفنيت في الله فاحتيوا بالله وأصبح الذاكر علي لسانهم هو الله جل في علاه .

إذاً هناك الصيام عن اللهو ثم الصيام عن اللغو ثم الصيام عن السهو، وهذه هي الروشتة لمن أراد الفتح العرفاني وهي التي يقول فيها الشيخ ابن الفارض ﷺ :

وإذا خطرت لي في سواك إرادة ... علي خاطري نَفَساً قضيت بردّتي



سر صوموا لرؤيته

هذا الصيام وهو صيام أهل الفتح حدده الله:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٨٣البقرة)

ولعل في القرآن بمعني اللام، أي لتتقون ، أي لتصلوا إلي مقام من مقامات التقوي، تصل إلي مقام الإحسان ، أو مقام الإيقان ، أو مقام المعية ، أو مقام العندية ،

أو مقام اللدنية، أو مقعد صدق عند مليك مقتدر . . .

أو تصوم الصيام الذي يقول فيه الحبيب:

{ صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وأفْطِرُوا لِرُؤْيَتِه، فإنْ غُمّ عليكُم فأكْمِلُوا عِدّةَ شَعْبَانَ ثلاثينَ } [9]

صوموا من أجل رؤيته ﷻ ! والفطر هنا لا يكون إلا بعد رؤيته ﷻ ، فإن غُمَّ عليكم: أي لم تصلوا إلى هذه الحقيقة، فأكملوا عدة شعبان: أي شعّبوا الجهاد وأكملوا العدة ثلاثين يوماً، شعّب أنواع الجهاد وكثّر أنواع الجهاد حتى تنال المراد، وهذا الذي يقول فيه في نص الحديث: - وما الجزاء:

{ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلاَّ الصَوْمُ هُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. } [10]

يعني أنا ! . . رؤية جمالي وكمالي . . هي جزاء الصائمين:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ (القيامة)

وهذا الصائم له فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، لأن فطره لا يكون إلا بعد لقاء ربه ﷻ ، وهو ما تشير إليه الآية ! ويفقهها أهل العناية، فلم يقل الله ﷻ "فمن حضر منكم الشهر فليصمه" وإنما قال:

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ لعدم استطاعته جهاد نفسه ! ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ (١٨٥ البقرة) . . ما زال يجاهد للوصول إلى ربه وهو مسافر إلى ربه لكنه لم يصل في سفره إلى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ (النجم) ماذا يفعل ؟ ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يجاهد فيها نفسه ويصفي فيها قلبه ليفوز بما يبغيه من العطاء والنوال من ربه ﷻ .



٩ متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، مشكاة المصابيح.
١٠ عن أبي هريرة، صحيح البخاري و مسلم

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ . . أي يصومونه ولكن النفس تغالبهم وتنازعهم فـ . . . ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ . . . من وجد أنه غير قادر علي جهاد نفسه فليفتح لنفسه أبواب الصدقات والعطاءات للفقراء والمساكين، إطعام مسكين فإن زاد فهو خيرٌ له، لأنه أسرع ما يوصل الإنسان إلي رضا الرحمن الإنفاق !، وكان ﷺ أجود بالخير في رمضان من الريح المرسلة حتى قيل فيه:

تعوَّد بسط الكفِّ حتَّى لو أنه .. طواها لقبض لم تطعه أنامله

كان يعطي عطاء من لا يخشي الفقر ! ! وهذا أمر الصالحين:

من أعطي البعض أخذ البعض ومن أعطي الكل أخذ الكل ومقامك عند الله علي قدر عطائك للفقراء من خلق الله، حتى فرض الله ﷻ علي أهل الفتح ليفوزوا بالمناجاة أن يقدموا بين يدي نجواهم صدقة:

﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ والمناجاة هنا أي المصافاة في وقت الخلوة والسر . . ﴿فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾، وكان الذي يحافظ علي هذا الأمر أهل الفتح، فكان الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه لا يذهب لمناجاة حضرة النبي ﷺ إلا إذا قدم الصدقة ويقول بقول الله تعالي: ﴿فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾ (المجادلة)



لكن الذي معه لا بد أن يقدم:

﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ ثم بعد ذلك لا تري نفسك أنك أنفقت كثيرا ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾ من التقصير في الإنفاق ومن عدم بلوغ المراد في الإنفاق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠﴾ (المزمل)

فإياك أن تقل أنا عملت وأنفقت ! فإنك لن تبلغ بعض ما بلغ الأولون ولا الموفقون من الآخرين ! لأن الله تولاهم بولايته وشملهم بعنايته في كل وقت وحين.

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ (١٨٥البقرة)

ونزّه الله ﷻ عن الزمان والمكان، واحضر بروحك بين يدي الرحمن، لتفقه سرّ الكلام من المتكلم به ﷻ، فإن القرآن لم ينزل كله في رمضان، ولكن كما قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

هيكلُ المختار ليلٌ جامع ... كلُّ أنواع الملائك والعباد

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾ (القدر)

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (١٨٥البقرة)

من يسأل عن الله؟

ولذلك قال له الله وقال لنا في شأنه صلوات ربي وتسليماته عليه:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ (١٨٦البقرة)



"وإذا" .. للقلّة، "سألك" .. لم يقل وإذا سألني .. أو .. وإذا سأل، ولكن قال "وإذا سألك"، فلابد إذاً أن يكون السؤال له ﷺ، "وإذا سألك" مَن؟، "عبادي" ..، عن مَن؟ "عني"، .. فالذين يسألون عن الجنة .. كثير! والذين يسألون عن التشريعات كثير .. ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ﴾

(٢١٩البقرة)، و . . ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ ﴾ (٢٢٢ البقرة) . . و ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ﴾ (٢١٥البقرة) . .

كل هذه تشريعات، لكن الذي يسأل عن الله قلة قليلة هم المصطفون من خلق الله ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ . . قريب ! ! أين؟ . . . عنده ﷺ . . . ما الدليل ؟ . . لأنَّ الله تعالى قال لحبيبه ﷺ :

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (٦٤النساء)

بمعاني التواب ومعاني الرحمة متجلياً فيها على حضرة الرسول ﷺ .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ ﴾ من ؟ . . هو ﷺ . . ﴿ إِذَا دَعَانِ ﴾ . . قرَّب الله لنا المسافة ! ويسر لنا الأمر ! وأعلمنا أن الدعوة المستجابة فوراً من الله . . ما هي؟ . . هي دعوة حبيب الله ومصطفاه ! فمن أراد طلباً محققاً ودعاءاً مجاباً ورجاءاً واقعاً لا محالة . . فعليه أن يتوجه إلي رسول الله . . ويسأله ليسأل له مولاه . . . فإنه إذا سأل ﷺ فالجواب من الله . . ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (الضحى) ، فإن الله وعده أن يعطيه في كل سؤال حتي يرضي، فآخر الآية في البقرة ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾





مبطلات صيام الخواص

أولاً : صيام المؤمنين

مبطلات الصيام للخواص كثيرة، قال ﷺ في أولها :

{ خَمْسُ خِصَالٍ يُفَطِرْنَ الصَّائِمَ: الْكَذِبُ، وَالْغِيبَةُ، وَالنَّمِيمَةُ، وَالنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ، وَالْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ }[١١]

هل هؤلاء الخمس مذكورون في التشريع ؟

فهذه أول المبطلات، إذاً الصائم من الأحباب . . لا بد أن يصوم عن هؤلاء الخمس، ويؤيد ذلك ويعضده قوله ﷺ :

{ مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ بهِ، فليسَ للهِ حاجـةٌ في أن يَدَعَ طعامَهُ وشَرابَه }[١٢]

أي أن صيامه باطل، فلو طبقنا هذا الحديث علي المسلمين الصائمين الآن كم نجد نسبة الصائمين من المسلمين ؟ ! . . هذا في مقام الإيمان .

ثانياً : صيام المحسنين

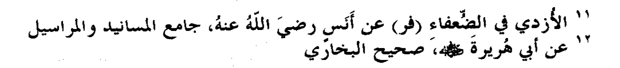
أما في مقام الإحسان من شهد شيئاً من غير يد المحسن فقد أفطر، فلا بد أن يشهد كل عطاء من العاطي ﷻ ولو كان علي يد فلان أو علي يد الآخر أو علي يد الثاني لكن العاطي في الحقيقة هو الله:



اشهد يد المعطي تفز بالإجتبا ... تعطي شراب الحب في أعلي مقام

ولذلك قال الصالحون في ذلك :

{ منْ أكلَ ولمْ يشهدْ المنعم فكأنّما قدْ سَرق }



[١١] الأزدي في الضّعفاء (فر) عن أنَس رضيَ اللّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل
[١٢] عن أبي هُريرةَ ﷺ، صحيح البخاريّ

لا بد أن يشهد أن هذا الطعام من المنعم، لأنها كلها عطايا المنعم، وإن كانت علي يد سبب من الأسباب لكن أين مسبّب الأسباب؟

من يشهد الغير فعَّالاً فمنقطعٌ ... لأنه مشركٌ قد مال للسفل

فيشهد أن الخير كله الواصل له وإليه أو لمن حوله هو من الله ﷻ، ومع ذلك حفظاً للمرتبة لا بد أن يشكر الأسباب لأن الله يسأل عبده إذ اصْطَنَعَ إِلَيْهِ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِهِ تعالى مَعْرُوفاً، فيخاطبه يوم القيامة . . ياعبدي !:

{ فَهَلْ شَكَرْتَهُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! عَلِمْتُ أَنّ ذَلِكَ مِنْكَ فَشَكَرْتُكَ، فَيَقُولُ: لَمْ تَشْكُرْنِي إِذَا لَمْ تَشْكُرْ مَنْ أَجْرَيْتُ ذَلِكَ عَلَى يَدَيْهِ } [١٣]

حفظاً للمرتبة ! لا بد أن أشكر السبب، ولكن أعلم علم اليقين أنه سببٌ وأن الأمر من المسبب ﷻ، إذاً أشكر المسبّب أولاً، و السَّبَب ثانياً، ولا أشكر السبب فقط وأنسي المسبب، كما يفعل معظم الخلق ! !، يشكرون السبب وينسون شكران المسبب ﷻ .

ثالثاً : صيام خاصة الخاصة



أما أهل مقام خاصة الخاصة، فالصيام عندهم إسمه الصيام عن السوي:

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (١١١البقرة)

لا يشهدون في الكونين سواه، ولا يسمعون إلا كلامه، ولا يرون إلا فعاله، ولا يشهدون إلا أنواره، يرون صفات الله ﷻ هي السارية في كل الكائنات، وهي التي تفعل ! ، فيشهدون الحيَّ إذا نظروا إلي حي، ويشهدون السميع

[١٣] (هب)، عن عائشة ، جامع المسانيد والمراسيل

إذا استمع إليهم سميع، ويشهدون المتكلم إذا نطق إليهم لسان، ويشهدون أوصاف الله هي التي تحرك الأكوان وتحرك من بالأكوان ! ! !

وهذا مقام شهود وليس مقام فكر ! ولا كسب ! ولا كلام ! وإنما هي حالة يحياها الإنسان، حياة روحانية نورانية يقول فيها الله آمراً المؤمنين:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾

ولم يقل إذا دعاكما لأن الذي يدعوا واحد :

﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (٢٤الأنفال)

وهي الحياة الشهودية الإحسانية الإيقانية التي يقول فيها أبو العزائم ﷺ:

وإن نظرت عيني إلي أي كائنٍ ... تغيب المباني والمعاني سواطع

ويقول فيها في قصيدة أخري:

الكل مني والكل عني ... فاشهد جمالي بكل عيني

فيشهدون جمال الله في الأشياء ! !

وتغيب عنهم المباني ! ! لأنهم يشهدون فيها جمال المعاني .

المفطرات كثيرة للصائمين . . .



علي حسب المراتب !، لكن بداية جهادنا نحن الخمس التى فى الحديث الشريف الذى سبق ، فنجاهد في تلك الخمس . . .

ونلاحظ كتاب أفعالنا ! ! وسجل أعمالنا ! ! .

الفصل الثامن

خدمة الصالحين وسر الفتح العرفانى[1]

- خدمة ساحات الصالحين
- النفس الحيَّة .. حيَّة ..
- البدوى والجوهرى
  ذللتها فأعززناك
- نماذج من الصحابة
- جهاد النفس لا ينتهى

١ بعد صلاة الجمعة ، حدائق المعادي ، ١٠ من شوال ١٤٢٩ هـ ، ١٠/١٠/٢٠٠٨ م،

بسم الله الرحمن الرحيم

أوصاف الأنبياء هي الأمانة والصدق والبلاغة والفطانة، ولذلك نجد دوماً أهل الطريق الله لماحين أذكياء .

فالإخوان الذين يخدمون إخوانهم فى مختلف بلاد المسلمين، فإن عملهم هذا هو عمل الملائكة ! ! لأن الجنة العالية التي يخدم فيها هم الملائكة:

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الرعد)

فالذي يريد أن يصل إلي درجة الملكوتية، ويكون من الملائكة يسارع للخدمة في روضات الصالحين . . . . لأنها روضة من رياض الجنة . . . التي يخدم فيها الملائكة الكرام .

لكن إذا كنت تري في نفسك كبراً . . ولا تريد أن تخدم فجاهد نفسك حتي يعينك الله علي محو هذا الكبر وتصبح مثل هؤلاء الملائكة . .

وقد وصل كمل الصالحين لله ﷻ بخدمة الصالحين السابقين، لأنهم قالوا:

{ مَنْ خَدَم يُخْدَم }

وخدمة الصالحين هي التي تدل علي أن النفس قد ماتت ! ! ! وكون النفس تردد في ذلك ! وتقول له كيف تقوم بالخدمة؟ دليل علي أن النفس ما زالت حية وتحتاج إلي جهاد شديد ! !

ولذلك كنا نري دائماً في روضات العارفين التنافس في الخدمة، لأنه أساس التنافس في الوصول إلي الدرجات العالية . . فالملائكة ليس لهم نفس، كذلك الذي يخدم هذه الأعمال ليس له نفس .

هذه بعض الأعمال التي يظن البعض أنها ليست من طريق الله لا من قريب ولا من بعيد، كيف؟ ! فقد قال ﷺ في عمل واحد واسمعوا وعوا:

خدمة ساحات الصالحين

{ مَنْ سَقَىٰ الْمَاءَ فِي مِوْضِعٍ يَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَلَهُ بِكُل شُرْبَةٍ يَشْرَبُهَا بَرّاً كَانَ أَوْ فَاجِراً عَشْرُ حَسَنَاتٍ تُكْتَبُ لَهُ وَعَشْرُ دَرَجَاتٍ تُرْفَعُ لَهُ، وَعَشْرُ سَيئَاتٍ تُحَطُّ عَنْهُ، وَإِنْ شَرِبَهُ الْعَطْشَانُ فَعِتْقُ نَسَمَةٍ، وَإِنْ شَرِبَهُ الْعَطْشَانُ الَّذِي قَدْ هَجَمَ عَلَى الْمَوْتِ فَعِتْقُ سِتينَ نَسَمَةً، وَمَنْ سَقَىٰ الْمَاءَ فِي مَوْضِعٍ لاَ يَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً } [٢] وزاد المحاملى : { قلت له: وما أحيا الناس جميعا. قال: " أليس إذا أحييت نفساً فثوابك الجنة وكذا من أحيا الناس جميعاً فثوابه الجنة }، وروى أيضاً عنه ﷺ :

{ إذا كثرت ذنوبك فاسق الماء على الماء تتناثر كما يتناثر الورق من الشجر في الريح العاصف } [٣]

ولذلك نجد أن الكل يسارع في سقيا الماء، حتي كنا نجد لوقت قريب رجالاً كهولاً يحملون القرب علي ظهورهم، ويسقون في المساجد الكبري في أيام الجمع والزحام، لأنهم يعملون بهذا الحديث، الذي يريد الحور العين ماذا يعمل؟ قال ﷺ :

{ إِخْرَاجُ الْقُمَامَةِ مِنَ الْمَسْجِدِ مُهُورُ الْحُورِ الْعِينِ } [٤]

حتى ولو قام بالنظافة بمكنسة المسجد ، فهذا العمل هو مهور الحور العين

٢ الخطيب عن أنس رضيَ اللَّهُ عنهُ ، جامع المسانيد والمراسيل
٣ (خط) عن أنس، كنز العمال للمتقى الهندى
٤ عن وروى أبو قِرْصَافَةَ الكنانى فى معرفة الصحابة لأبي نعيم، وورد فى تفسير الثعالبي

يوم القيامة، وهذا الذي جعل الناس السابقين وكان عندهم فقه في الدين يتنافسون في هذه الأعمال.

وكان الرجال الصالحون أهل التربية يُخرجون المريدين من دائرة النفس وهيمنتها وسيطراتها بالخدمة، ولذلك وهذا سرٌّ من أسرار الطريق نبيح به..:

{ إذا ولاك الشيخ خدمة فاعلم أنه يريد أن يرفعك، وإذا صرفك عن خدمة فاعلم أن نفسك ما زالت تخدعك }

لأنها ما زالت متحركة ومتحرجة فالمرض الذي يحرم الإنسان من الذوق السليم ومن المشاهدات والفيوضات هو مرض الكبر ويقول فيه ﷺ:

{ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ } [٥]

وقال في ذلك الإمام أبو العزائم ﷺ:

ألا من يكن في قلبه بعض ذرة من الكبر والأحقاد ما هو ذائق

الكون فيه منازل للصالحين، من أعظمهم أربعة يسمون الأربعة الأوتاد، أوتاد الأرض.. من أين يتخرجون؟

كان في السابق ولا زال في بعض دواوين الصالحين في جميع بقاع الأرض.. رجال يجلسون عند الباب، يعملون علامات، ويأخذون الأحذية من الأحباب، ويرصونها ويضعون فيها علامات ويعطون له علامة، وعند الخروج يعطونهم أحذيتهم، أكثر الأوتاد يخرجون من هذا العمل لأنه لا يرى نفسه، وقد قال سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ:

{ ادفن نفسك في أرض الخمول تشرق عليك أنوار الوصول }

---

٥ صحيح مسلم، وغيره عن ابن مسعود

من يعمل هذه الأعمال تصنُعاً . . ليُري الناس فهذا غافل ! أو مغفل، لأنه لا يري حدود رؤية الصالحين ! ولا ينظر إلا بالعين الحسية . . ، لكن هؤلاء الصالحون . . أقلهم ينظر بنور الله ! فهو ينظر إلي ما بداخلك وليس إلي ظاهرك، ينظر إلي نواياك وطواياك ليري همتك في هذا العمل ! أتقصد به الله ؟ أم تقصد به خلق الله ؟ فمن كان يقصد به خلق الله فقد ضاع:

﴿ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ﴾ [الحج : ١١]

فمعظم الأوتاد يتخرجون من هذا العمل، كيف ؟ إن الوتد شرطه . . ألا يري نفسه فوق التراب، لا يري لنفسه حولاً ! ولا طولاً ! ولا قولاً ! ولا عملاً ! ! وإنما يري نفسه آلات . . يحركها رب الأرباب ﷻ ، يقول قائلهم:

أراني كالآلات وهو محركي   أنا قلم والإقتدار أصابع

أنا قلم ! والقادر هو الذي يمسك بهذا القلم ! ويحركه بقوته وإرادته وعظمته وأوصاف حضرته ﷻ .

ولذلك سيدي أبويزيد البسطامي ﷺ وأرضاه، صحبه رجل من الفقهاء فترة طويلة، ولم يجد ثمرة الفتح التي يسمعها من أهل الفتح، فذهب إليه مرة يشتكي ! ويقول يا سيدي أريد الفتح الذي يتحدث عنه إخواني والشيخ يعرف من أين أتي ؟

النفس الحَيَّة . . حيَّةٌ



ما زالت نفسه حية ،والفتح لا يأتي لمن نفسه حية، لأنهم قالوا:

{ من كانت نفسه حية فهي حية }

وحية أي مسها ناعم ! ولكنها تلدغ ! !

{ ومن نفسه ماتت! فكل الأعمال عليه هانت }

خالد بن الوليد ﷺ كان قائداً للجيش، وعندما جردوه من كل رتبه وأصبح جندياً هل حدث عنده شيء ؟ لا ! . . لأن نفسه ماتت . ، ولكن قائد الجيش في بلدة من أصغر بلاد المسلمين ، والذي جيشه كله ليس إلا عدة كتائب ! ! ، عندما عزله رئيس الدولة . . قام بإضراب وثورة ! !

انظر إلي الفارق بين هذا وذاك ! !

فالشيخ أبويزيد البسطامي يعلم بما ألهمه الله ما في نفسه ! فقال له:

تريد أن يفتح الله عليك ؟ قال نعم ! ، قال: املأ جيبك جوزاً ولوزاً واجلس علي قارعة الطريق، وادع الاطفال . . وقل لهم من صفعني صفعة ! . . أعطيه جوزاً ولوزاً، قال أنا أصنع هذا ؟ (مستنكراً ومستعظماً نفسه ! !) ، ! قال له الشيخ : إذاً لا يفتح عليك .

لأنه يري نفسه ! ، فمن أين يأتي الفتح ؟ ! لا يأتي الفتح إلا:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ . . أنت تميتها ! . . ونحن نحييها !

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [١٢٢الأنعام]

الإمام أبو حامد الغزالي ﷺ كان كان يحضر مجلس علمه في بغداد عشرة آلاف نفس، منهم مائة من أكابر العلماء يحضرون المجلس ليستفيدوا ، ومنهم سبعون من الأمراء ، ولما أراد الله له طريق العناية واختار له منهج الهداية دله علي ولي من أولياء الله . . .

فذهب له وقال: يا سيدي أريد الفتح ! . . قال: إن أردت الفتح فاخرج مما أنت فيه ! وانظر إلي الأسواق التي حولنا ، واجعل لنفسك نظاماً للمرور بها . .

وتتزي بزي سقاء، وتخرج إلي كل سوق يوماً تسقي فيه طلباً لوجه الله ولا تأخذ شيئاً من أحد، ولا تأكل إلا مما أطعمك ! . . فكان يذهب إلي السوق، ويسقي الناس، ويذهب إلي شيخه في المساء ليطعمه بضع لقيمات يقمن صلبه . . والبلد الذي يُعرفه الناس فيه ! يهجره ! ولا يذهب إليه مرة أخري ! ! حتي فتح الله عليه ! !

فقال ﷺ في كتابه الذي ساق فيه قصته في ذلك وسماه (المنقذ من الضلال) أي أن الذي كان فيه مع العلم الواسع . . وهذه الجماهير سماه ضلال، وقال فيه بعد شرح حاله: لم أترك علماً إلا وحصلته، ولم أترك فقيهاً إلا وحصلت ما عنده، ولم أترك فيلسوفاً إلا وحصلت ما لديه، ولم أترك كتاباً إلا وقرأته . هذا حاله الأول . . ثم بعد ذلك يشرح حاله مع الصوفية فيقول ﷺ:

فوجدت حالهم أعلي الأحوال ومنهجهم أكمل المناهج، ما بالك في قوم أول ما يشاهدون يشاهدون أرواح الملائكة عياناً ويشاهدون أرواح الرسل والنبيين ويقتبسون منها فوائد، أما ما وراء ذلك:

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

لماذا ؟ لأنه جاهد نفسه حتي ماتت .

البدوي والجوهري ذللتها فأعزناك

كان علي هذا الجهاد من العارفين، سيدي أحمد البدوي ﷺ وأرضاه كان في تربيته لمريديه ينهج هذا السبيل .



منهم من كلفه برعي أغنامه، ويسمي إلي وقتنا هذا الشيخ الراعي، وطريقته طريق الراعي فالراعي هو الذي كان يرعي أغنام سيدي أحمد

البدوي ﷺ وأرضاه، ومنهم من كان يطهي الطعام لجلاسه ومحبيه، ومنهم من كان يقوم بخدمة الزاوية التي بناها لطلابه.

وأسوق لكم قصة تلخص الأمر وتبينه . . وأعيروني خالص إنتباهكم . . بارك الله فيكم أجمعين . . من قراء ومستمعين:

مر سيدى أحمد البدوى ﷺ ذات يوم في سوق الذهب، فتبعه رجل يعمل بتجارة الجواهر يسمى الجوهري نسبة إلي الجواهر، والذى عرف فيما بعد بسيدى الجوهري ﷺ ، وهو صاحب مقام مشهور في بلدة تسمي محلة مرحوم بجوار طنطا، فقال: يا سيدي أريد أن يفتح الله ﷻ لي على يديك ! !

قال: يا عبد الوهاب لا تستطيع ! ! فلما ألح عليه قال: احضر جواهرك وذهبك وتعال، فلما جاء قال له: ألق ما جئت به من الجواهر في بئر الساقية، وهي التي تخرج الماء لرواد الزاوية، وكان لها ثور يديرها ليخرج الماء، فألقي الجواهر والذهب في البئر فعلم صدقه، وهذا إمتحان للمريدين يقول فيه الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

{ أول ما نمتحن به المريد بالمال!، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجو منه فما بعده أشدُّ منه }

فإذا كان المال ساكناً في القلب فلا يساكنه الله ! ! ولا حبيب الله ومصطفاه ! ! لأن الله يقول في حديثه القدسي:

{ أنا أغْنَى الأغنِيَاءِ عن الشِّركِ ، من عملَ عملاً؛ أشْركَ فيهِ غَيْرِي، تركْتُهُ وَ شِرْكَهُ } [٦]



٦ تفسير اللباب في علوم الكتاب، وتفسير الرازى ، وتفسير السراج المنير للشربينى

لا يسكن الله في قلب بصفاته وكمالاته وجمالاته وأنوار حضرة ذاته، إلا إذا فرغته من الشهوات والحظوظ والأهواء والملذات لحضرته ﷻ، لكن طالما في القلب شهوة لغير الله . . . فلا يدخله الله جل في علاه، فلا بد أن تطهر القلب بالكلية لحضرة الله:

فرغ القلب من سوانا ترانا   يا مريداً جمالنا وبهانا

فأراد الشيخ أن يرقيه فقال: يا عبد الوهاب تنظر إلي هذا الثور؟ قال: نعم، قال إن أردت الفتح فعليك أن تريحه فيعمل مرة وتعمل أنت مكانه مرة! !فظل علي هذه الحالة فترة ! !

وفي مرة حدثته نفسه ولامته كيف كنت في الترف والعلو، وتعمل في هذا العمل؟ ! وإذا بالشيخ أمامه، وقال له: يا عبد الوهاب، قال نعم، قال املأ هذا الدلو من البئر، فملأه، قال: أفرغه، فأفرغه فإذا ذهبه وجواهره كلها علي الأرض، قال: خذ ذهبك وجواهرك ولا حاجة لنا بك، قال: لِمَ يا سيدي؟ قال: إن الله ﷻ لا يحب في القلب معه شريك "أنا أغني الأغنياء عن الشرك"، قال: تبت يا سيدي، فلما تبين صدقه قال: ألقه مرة أخري !!

ولما استمر علي ذلك ووجد منه لذة وراحة في ذلك، جاءه في يوم وقال: ياعبد الوهاب، أردنا أن نرقيك فدع إدارة الساقية، وعليك أن تكنس المراحيض وتغسلها وتجهزها للمريدين وللواردين — ودورات المياه في السابق لم تكن مثل التي في عصرنا — ولكن هذا لترقية المريدين.



وهنا قصة عارضة . . الشيخ الشعراوي رحمة الله عليه وكان من أئمة الصادقين لما حاضر في جامعة القاهرة في مؤتمر عام، وأطلق الله لسانه بالحقائق لمدة أربع ساعات، أفحم فيها الملحدين، وكانت أصواتهم عالية في هذا

الوقت والحين، وكبّر الصادقون مراراً وتكراراً !!، وهو راجع في الطريق طلب من السائق وابنه كان معه، أن يقف أمام أحد المساجد لحاجته لقضاء الحاجة، ودخل المسجد وأطال ! فلما أطال، ذهب ابنه ليبحث عنه، فوجده قد خلع عمامته وجبته وأخذ يمسح المراحيض ويغسلها، قال: لِمَ هذا يا أبت؟

قال ﷺ: إن نفسي حدثتني أني أصبحت اليوم شيئاً !! فأردت أن أعرّفها مكانتها . . . لماذا؟ ذلك لأنه يلاحظ نفسه دائماً .

ونعود للقصة مرة أخرى . . فأمره سيدي أحمد البدوي أن ينظّف المراحيض، وفي يوم حدثته نفسه أيضاً ولكنه كان قد انتبه إليها فطأطأ رقبته ليمسح المرحاض بلحيته !! وإذا به يجد يداً تمتد تحت لحيته فتمنعه . . ، وبعد برهة إذا بالشيخ يطلبه ويقول له:

{ ذَلَّلْتَهَا.. فَأَعْزَزْنَاكَ.}

نماذج من الصحابة

وهكذا العارفون والصادقون مثل أصحاب رسول الله فكانوا على هذه الوتيرة، سيدنا عمر في يوم دعا الناس وقال: الصلاة جامعة !وصعد المنبر، وقال:

"كنت أسمي عميراً وأرعي الغنم لأهلي بقراريط -أي بملاليم- في مكة !، واليوم صرت أُدعي عمر أمير المؤمنين"، ونزل !!!.

قالوا ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال:



{ إن نفسي حدثتني بأني ليس فوقي شيء فأردت أن أعرفها مكانتها.}

فعل ذلك . . وهو خليفة المسلمين . . لأنه ينتبه لنفسه !!!.

وسيدنا عثمان وهو خليفة أيضاً وكان من الوجهاء والأثرياء:

رؤي يوماً يحمل علي ظهره حملاً كبيراً من الحشيش آتياً به من البادية فذهب إليه الخدم وقالوا: يا أمير المؤمنين نحن نكفيك، قال:

أنا أعلم ذلك ولكن نفسي حدثتني أني شيء فأردت أن أعرفها مكانتها.

فلا بد لكل رجل أن ينتبه لنفسه . . .

وخاصة إذا اجتمع حوله قوم أو جماعة، ورأي أنه شيخ علي فلان وفلان ولكن أين أنت ؟ ! إلي أي محطة من محطات الوصول إلي الله وصلت ؟ ! إلي أي نور من الأنوار الإلهية اتصلت ؟ !

في أي مشهد تشهد فيه الحبيب الأعظم ﷺ حيث نزلت ؟ ! فإذا كنت مانزلت طوباً وطيناً وحولك بعض مريدين فأنت مسكين خدعك إقبال الخلق عليك وأنت لم تقبل بنفسك علي الحق ﷻ ، وإلا لو أقبلت بصدق علي الله لا يغرك الخلق جميعاً ولو أقبلوا عليك ! !، ولا يضرك لو التفتوا جميعاً وانصرفوا عنك ! !، لأنك تهتم بالقبول من الله وليس بالإقبال من خلق الله جل في علاه —

والنفس يا أحباب هذه وسيلتها، يقول الحبيب ﷺ في شأنها لأصحابه :

{ ما تقولون في صاحب إن أنتم أكرمتموه وأسقيتموه وكسوتموه أفضي بكم إلي شر غاية، وإن أنتم أهنتموه وأجعتموه وأظمأتموه أفضي بكم إلي خير غاية، قالوا يا رسول الله هذا شر صاحب في الأرض، قال فوالذي نفسي بيده إنها لأنفسكم التي بين جنوبكم } [7]



وكان أصحابه يتبارون في هذا الجهاد في زمانه، واسمعوا الحديث :

---

٧ ذكره القرطبي في تفسيره (٩/٢١٠)

{ ورد عن ليث بن طلحة أن رجلاً من أصحابه في يوم شديد الحرارة انطلق فنزع ثيابه وأخذ يتمرغ في الرمضاء ويقول لنفسه: ذوقي نار جهنم، أجيفة بالليل وبطالة بالنهار! قال: بينما هو كذلك إذ أبصر النبي في ظل شجرة، فأتاه فقال: غلبتني نفسي، فقال له النبي ﷺ :"أما بعد، لقد فتحت لك أبواب السماء، ولقد باهي الله بك الملائكة ثم قال لأصحابه: تزودوا من أخيكم، فجعل الرجل يقول: يا فلان ادع لي، فقال النبي ﷺ عُمَّهم، فقال الرجل: اللهم اجعل التقوى زادهم، واجمع علي الهدي أمرهم، فجعل النبي ﷺ يقول: اللهم سدِّده فقال: واجعل الجنة مأواهم ومآبهم } [٨]

فأعلمنا أن فتح باب الإجابة لا يكون إلا لأهل النفوس التي استجابت إلي الله، وجاهدت حتى تطهرت ودخلت على حضرة الله ﷻ، كما قال أحد الصالحين:

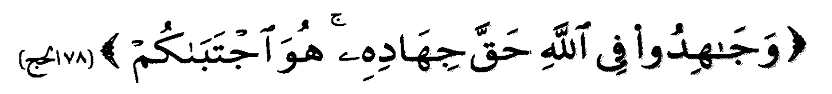
"مكتوب علي حضرة القدوس لا يدخلها أرباب النفوس"

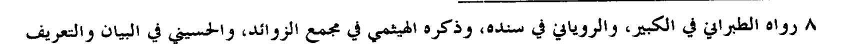
وقال لسيدي أبي يزيد عندما قال له يارب كيف آتي إليك ؟ قال:

{ يا أبا يزيد دع نفسك وتعالَ }

لا يدخل إنسان ونفسه معه حضرة من حضرات الفتح . . . فعليكم بالجهاد الأعظم:




﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ ﴾ (٧٨الحج)



٨ رواه الطبراني في الكبير، والروياني في سنده، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، والحسيني في البيان والتعريف

وهو جهاد النفس . . . جهاد النفس في طيّ نزعاتها، والوقوف عند نزغاتها، والإنتصاح لوساوسها الخفية ودسائسها الجلية، حتى يكون الإنسان علي نهج خير البرية ﷺ.

جهاد النفس لا ينتهي

هذه يا إخواني وظيفة الصالحين ومهمة السالكين . . .

وفيها يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ:

"لا ينتهي جهاد النفس حتى مع كمل العارفين حتى خروج النفس الأخير"

وأسوق لكم شاهداً واحداً . . .:

كثير منا يظن أنه وصل إلي مرحلة عظيمة عند الله لأنه صار له في الطريق خمسة عشرة عاماً أو عشرون عاماً، ولم يعد في حاجة إلي الأوراد العادية ولا الإكثار من الطاعات، فلا يحافظ علي ورد، ولا يحافظ حتى علي الفرائض في وقتها وكأن الله ﷻ أراحه من أول الوقت !!، ولا تؤنبه نفسه التي بين جنبيه وهذه هي مصيبة المصائب !!، يسمح لنفسه بالكلام مع كل الأنام إن كان كلاماً ينفع أو يرفع أو كلاماً يضر ويخدع . . . المهم أنه يتكلم ويظن أنه في مأمن !!



وسادتنا الصالحون لم يكونوا علي هذا الدرب، الإمام الجنيد ﷺ ويقولون عنه أنه سيد الطائفة كان في الوقت الأخير الذي سيلاقي فيه ربه، يسترسل في قراءته لورده من القرآن الكريم فقال له أحد الفضوليين بجواره ما تصنع ؟

قال: هذا وردي من القرآن أقرأه لأني لم أقرأه اليوم، قال أفي هذه الساعة ؟ قال: ومن أولي بذلك مني وها أنذا تطوي صحيفتي فيكون آخر ما فيها وردي من

القرآن الذي تعودت أن أقدمه لربي كل يوم !! لا يترك ورده من القرآن حتى في النفس الأخير!!

ولذلك وهذا محك العارفين إذا حكمت رجلاً من الصالحين في نفسك ولا تصنع شيئاً إلا عن إشارته فأبشر بنوال فتحك والوصول إلي كمال أنسك، وإذا كنت لا تسلم أي أمر لرجل من الصالحين فالحاكم فيك هواك، لأنه هو الذي يأمرك وينهاك، ولذلك تسعة وتسعون وتسعة من عشرة في المائة من المريدين الحاكم لهم هواهم.

من الذي خرج من سيطرة الهوي؟.. الذي ألقي نفسه بين يدي شيخ من العارفين وحكمه في نفسه:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٦٥النساء]

وهذا شأن الجميع الصغار والكبار، انظر إلي توجيه رسول الله ﷺ للصاحبين حيث يقول لهما في تلاوتهما للقرآن:

{ أن النبيّ ﷺ قال لأبي بكرٍ ؓ: مررتُ بكَ وأنتَ تقرأُ وأنتَ تخفضُ من صوْتِكَ فقال: إني أسْمَعْتُ من ناجيتُ، قال: ارفعْ قليلاً. وقال لعمرَ ؓ مررتُ بكَ وأنت تقرأُ وأنت ترفع صوتَك، فقال: إني أُوقظ الوسنَانَ وأطردُ الشيطانَ، قال: اخفضْ قليلاً } [٩]

هناك جماعة يقولون نحن منا لله مباشرة !!!

٩ عن أبي قتادةَ سنن الترمذي وفي الباب عن عائشةَ وأمّ هانِئ وأنسٍ وأُمّ سلمةَ وابنِ عباسٍ.

إذاً . . إن كنت صادقا فى دعواك ! ! أين الفتح الذي عندك ؟ ! كل شيء له علامة . . . ، أين اليقين الذي قال فيه الله لك:

﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر]

والمحك الأعظم هو الجهاد ! !

فلا يتم للإنسان الجهاد إلا إذا حكّم في نفسه شيخاً من شيوخ الإرشاد فلا يصنع شيئاً إلا بإشارته ولا يقوم بعمل إلا بإذن من حضرته، لكن إذا كان يمشي علي هواه، ويعرض الأمر علي الشيخ ليوافق هواه، وإذا قال له بغير ما يريد !، يضرب بكلامه عرض الحائط وينفذ هو ما يريد ، فشيخه هنا هو الهوي ! ، ولذلك أعظم جهاد للمريد ! . هو كيف يجاهد حتى يخرج من الهوي:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات]

ومتي ينتهي جهاد الهوي؟

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعَاً لمَا جِئتُ به }[10]

إذا كنت أمشي علي هواي وأحاول أن أجد لنفسي مخارج وحججاً وبراهين فهذا من دسائس النفس الخفية التي تجعلني في هذا المقام الهابط حتى أخرج من الدنيا وليس لي نصيب من الفتح عند الفتاح العليم ﷻ :



﴿ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (٧٨الحج)

فأول الجهاد هو جهاد الهوي . . فلا يتحكم فيك !، والهوي هو الذي

١٠ الحكيم وأبو نصر السجزي في الإبَانَةِ، والخطيب عن ابن عمرو رضيَ اللَّهُ عنهُ، جامع المسانيد والمراسيل.

يُصرِّف معظم الناس في الأكوان فيأمرهم بهذا وينهاهم عن هذا، لمآرب خفية ودسائس نفسية وأهواء مردية شيطانية، ويميل الإنسان لما يريد كما يريد !

لكن الشيخ لا مآرب له في أمر، ولا غرض له فيك، ولا ينصحك إلا رغبة أن يقوم بأمر الحبيب بالوصية والنصيحة لأتباعه كما أُمر حتى تطيب:

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾[٩الإنسان]

ولذلك أهل الفتح هم الذين سلموا من هواهم وسلّموا أنفسهم لأهل الفتح واتبعوا هداهم حتى يفتح عليهم خالقهم ومولاهم . .

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلّم بحمد الله تعالى فله الشكر والمنّة، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما فيه من نقص أو سهو فمني؛ أسأل الله العفو والمغفرة لكاتبه وقارئه .

مفتاح رموز كتب الحديث كما ورد بالجامع الصغير (نقلاً عن كنز العمال):

(خ) للبخاري، (م) لمسلم، (ق) لهما، (د) لأبي داود، (ت) للترمذي، (ن) للنسائي، (٥) لابن ماجة، (٤) لهؤلاء الأربعة، (٣) لهم إلا ابن ماجه، (حم) لأحمد في مسنده، (عم) لابنه في زوائده، (ك) للحاكم في مستدركه وإلا فمبين، (خد) للبخاري في الأدب، (تخ) له في التاريخ، (حب) لابن حبان في صحيحه، (طب) للطبراني في الكبير، (طس) له في الأوسط، (طص) له في الصغير، (ص) لسعيد ابن منصور في سننه، (ش) لابن أبي شيبة، (عب)لعبد الرزاق في الجامع، (ع) لأبي يعلى في مسنده، (قط) للدارقطني في السنن وإلا فمبين، (فر)للديلمي في مسند الفردوس، (حل) لأبي نعيم في الحلية، (هب) للبيهقي في شعب الإيمان، (هق) له في السنن، (عد) لابن عدي في الكامل، (عق)للعقيلي في الضعفاء، (خط)للخطيب في التاريخ وإلا فمبين.(إنتهى).



نبذة عن المؤلف الأستاذ فوزي محمد أبوزيد

تاريخ ومحل الميلاد: ١٨/١٠/١٩٤٨م ، الجميزة – مركز السنطة – الغربية

المؤهل: ليسانس كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٧٠م .

العمل: مدير عام بمديرية طنطا التعليمية.

النشاط : ١- يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة ،ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

٢- يتجول فى جميع الجمهورية لنشر الدعوة الإسلامية وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية بالحكمة والموعظة الحسنة .

٣- بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسلام .

٤- والتسجيلات الصوتية و الوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس على الشرائط و الأقراص المدمجة.

٥- وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت:

WWW.Fawzyabuzeid.com

دعــوته :

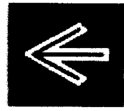
١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمع الصف الإسلامى وإحياء روح الإخوة الإسلامية ، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس.

٢- يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم .

٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين ، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن وعمل رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام .

هدفه :

إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية ، ونشر الأخلاق الإسلامية وترسيخ المبادئ القرآنية. وصلى الله على سيدنا محمد على آله و صحبه و سلم



قائمة مؤلفات الأستاذ فوزى محمد أبوزيد

أولا : من أعلام الصوفية

١- الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى ٢- الشيخ محمد على سلامة سيرة وسريرة.
٣- المربى الربانى السيد أحمد البدوى ٤- شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى

ثانيا : الدين والحياة :

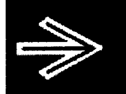
٥- زاد الحاج و المعتمر (٢ط) ٦،٧- نفحات من نور القرآن ج١، ج ٢
٨- مائدة المسلم بين الدين و العلم، ٩- نور الجواب على أسئلة الشباب
١٠- فتاوى جامعة للشباب، ١١- مفاتح الفرج (٦ط) (ترجم للأندونسية)
١٢- تربية القرآن لجيل الإيمان، (ترجم للإنجليزية والأندونسية)،
١٣- إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام ١٤- كيف يحبُّك الله (تحت الترجمة للأندونيسية)، ١٥-كونوا قرآنا يمشى بين الناس (تحت الترجمة للأندونيسية)
١٦- المؤمنات القانتات، ١٧- فتاوى جامعة للنساء، ١٨- قضايا الشباب المعاصر

الخطب الإلهامية : المجلد الأول : المناسبات

١٩- ج١: المولد النبوى، ٢٠- ج٢: الإسراء و المعراج،
٢١- ج٣ : شهر شعبان و ليلة الغفران، ٢٢-ج٤: شهر رمضان و عيد الفطر،
٢٣- ج٥ : الحج و عيد الأضحى، ٢٤- ج٦ : الهجرة و يوم عاشوراء.

ثالثا : الحقيقة المحمدية :

٢٥- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣طبعات). ٢٦- الرحمة المهداة.
٢٧- إشراقات الإسراء-ج١(٢ط)، ٢٨- إشراقات الإسراء (ج٢)،
٢٩- الكمالات المحمدية ٣٠- واجب المسلمين المعاصرين نحو الرسول ﷺ (ترجم للإنجليزية وجارى نشره بالموقع بعد تطويره وتحديثه).



رابعا : الطريق إلى الله :

٣١- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (ترجم للأندونسية)، ٣٢- أذكار الأبرار، ٣٣- المجاهدة للصفاء و المشاهدة، ٣٤- علامات التوفيق لأهل التحقيق، ٣٥- رسالة الصالحين، ٣٦- مراقى الصالحين ، ٣٧- طريق المحبوبين و أذواقهم

خامسا : دراسات صوفية معاصرة :

٣٨- الصوفية و الحياة المعاصرة، ٣٩- الصفاء والأصفياء

٤٠- أبواب القرب و منازل التقريب ٤١- الصوفية فى القرآن والسنة (٢ط) (ترجم للإنجليزية). ٤٢- المنهج الصوفى والحياة العصرية ٤٣- الولاية والأولياء

٤٤- موازين الصادقين ٤٥- الفتح العرفانى

سادساً: سلسلة ما قلّ و دلّ

٤٦- مختصر مفاتح الفرج (٢ط)، ٤٧- أذكار الأبرار (٢ط) ،

٤٨- أوراد الأخيار (تخريج وشرح).

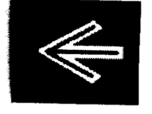
سابعاً: سلسلة شـــفاء الصدور

٤٩- علاج الرزاق لعلل الأرزاق ٥٠- بشائر المؤمن عند الموت

٥١- العبد الصالح وموسى عليه السلام

ثامناً: تحت الطبع للمؤلف :

السلسة	إسم الكتاب
١- من أعلام الصــــوفية :	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى
٢- دراسات صـوفية معاصرة :	حقائق التصوف النقيّة
٣- :	ســـياحة العارفين
٤- الحقيقة المحمديـــــة :	الصلوات الإلهاميّـــــــة
٥- الطريــــــق إلى الله :	كيف تكون داعياً إلى الله على بصيرة
٦- :	الحكم الإلهاميّـــــــة
٧- :	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (ط٢)
٨- الخطب الإلهاميــــــة :	المجلدالأول: المناسبات (ط٢،إقتصادية)



==



صفحة	الموضوع
٢	جدول الفهرسة للحفظ
٣	مقدمـــــــــــــة
٥	تمهيـــــــــــــد
١٥	الفصل الأول .... الطريقُ إلى ولايةِ الله
١٧	أوصاف الأولياء
٢٢	الطريق إلى ولاية الله
٢٣	المطعم الحلال
٢٥	من ورع الرسول ﷺ
٢٧	ورع الصديق ﷺ
٣٠	ورع الفاروق عمر ﷺ
٣٤	ورع ابن ســـــيرين ﷺ
٣٥	ورع عبدالله بن المبـــــارك ﷺ
٣٨	أثر المطعم الحــــــلال
٤١	الورع فى الكلام
٤٢	الحكمة فى الدعوة إلى الله
٤٤	ورع الجـــــــــوارح
٤٧	الفصل الثانى........... التأسى بالرسول وصحبه الكرام
٤٩	الثلة المباركـــــــة حول النبى
٥١	كان عمله ديمـــة ﷺ
٥٤	مناهج الرجال
٥٧	صلاة التراويح
٦٠	صلاة القيـــــام
٦١	وقت السحر وقت الفتوحات
٦٧	الأخُوَة فى الله نبع للفتح العرفانى
٦٨	شروط الأخـــــــوة الموصلة
٧٠	محاسن الأخـــــــــــوة
٧٥	الفصل الثالث .... أطوار الإنسان الظاهرة والباطنة
٧٧	الرِّجَالَ فِى الْقَــرْآن
٧٧	الطَور الأول
٧٩	الرُّجُوعُ إلى الله
٨١	جهادُ النفس عَلى نَهج السَّابقين

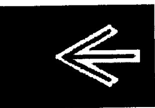






للحصول على مؤلفات الأستاذ فوزي محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهرة
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ ش جوهر القائد، الأزهر
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام، ميدان الحسين،
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ ش الشيخ ريحان، عابدين
دار الأحمدي للنشر	٢٥٧٤٠٥٠٣	٤٠ طلعت حرب أمام سينما مترو
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفر، الدراسة
نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة بجوار المسجد
المكتب المصري الحديث	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ ش شريف
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ ش التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، ش النصر مدينة نصر
النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ ش عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ ش دحجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الفاطمية	٠١٨٥٢٠٠٨٤٦	ميدان الأزهر، أمام الباب العباسي
أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ ش جوهر القائد- الأزهر
الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ ش الصنادقية بالأزهر
الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ش د.أحمد أمين، مصر الجديدة
مكتبة عبادة	٠٥٥٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق — ش نور الدين
		الإســـــــــــكندرية
كشك سونا	٠١٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
معرض الكتاب السكندرى	٠١٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسى	٠١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطـــة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر



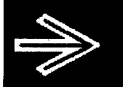
مكتبة سيبويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشير أحمد إسماعيل، سيدى جابر
		الأقـــــــاليم
كشك عبدالحافظ محمد عبدالحافظ	---------	الزقازيق، بجوار مدرسة عبد العزيز علي
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا أمام السيد البدوى
مكتبة قربة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	طنطا، ٩ ش سعيد مع شارع المعتصم – أمام كلية التجارة
مكتبة الإيمان	---------	فايد– الحاج أحمد غزالى بربرى
كشك الصحافة	---------	السويس– شارع الشهداء، الحاج حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	-٠٩٣- ٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج– ش احمد عرابي، أمام التكوين المهنى
كشك أبو الحسن	٠١٦٩٥١٨٦١٦	قنا – أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
دار الأحمدي للنشر	-٠٦٨ ٢٣٤٧٨٠٢	المنيا، أبراج الجامعة، أمام الشبان المسلمين

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار للتوزيع و دار الشعب والدور القومية للتوزيع والنشر ومن المكتبات الكبرى الأخرى بالقاهرة والجيزة والأسكندرية والمحافظات.

ويمكن الإطلاع إليكترونيا على نبذة مختصرة عن المؤلفات مع المقدمة والفهرست على أكبر موقع علمى للكتاب العربى على الإنترنت

www.askzad.com

كما يمكن تنزيل الكتب إليكترونيا بشروط الموقع.



=========== تمَّ بحمد الله وتوفيقه ===========

لملاحظاتك القيمة





صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

